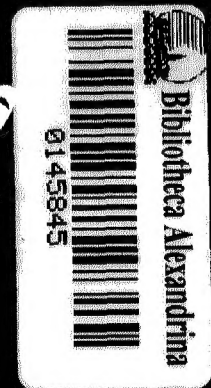


دراسات أدبية

نظرة جديدة
فن
موسيقى الشعر العربي

د. علي بيونس



نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي



د. علي يونس



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

نظرة جديدة
في
موسيقى الشعر العربي

الافراج الفنل والغلاف :

الحبيبة حسين

تمهيد

نظرة عامة في الدراسات السابقة

١ -

تكاد الدراسات القديمة في موسيقى الشعر العربي تنحصر في داخل الحدود التي رسمها «الخليل». وقد خالفه «الأحفش» وآخرون مخالفاً يسيرة^(١)، وخالفه «الجوهري»^(٢) وحازم مخالفاً كبيرة^(٣) ولكن يظل قدامى العروضيين ودارسى الموسيقى الشعرية - مع هذا وذاك - أتباعاً «للخليل»، ساروا على الطريق الذي رسمه. بل إن كثيراً من أعمال العروضيين التي ظهرت في عصرنا ما زالت تنحو هذا النحو^(٤)

-
- (١) الأحفش : كتاب العروض (تحقيق د. سيد البحراوى - مراجعة د. محمود مكى) - مجلة «فصول» - هيئة الكتاب - القاهرة - مارس - ١٩٨٦ .
- ، محمد العلمى : العروض والقافية ، دراسة في التأسيس والاستدراك - دار الثقافة ، الدار البيضاء - ١٩٨٣ .
- (٢) الجوهري : عروض الوردية (تحقيق د. صالح جمال بدوى) - نادى مكة الثقافى - مكة المكرمة - ١٩٨٥ م
- (٣) حازم القرطاجنى : منهاج البلغاء وسراج الأدباء (تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة) - دار الكتب الشرقية - تونس - ١٩٦٦ م .
- (٤) على سبيل المثال : محمود مصطفى : أهدى سبيل الى علمى الخليل ، العروض والقافية - مكتبة صبيح - القاهرة ط ١٦ - ١٩٧٦ م
- ، محمد عبد المنعم خفاجى : فن الشعر ، عروض الشعر العربى وقوافيه - القاهرة ١٩٤٩
- ، د. بدير متولى محمد : ميزان الشعر - دار المعرفة - القاهرة ط ٢ - ١٩٧٦ م .

هل نكتفى بالدراسات القديمة ؟

ربما أشبهت هذه الدراسات حاجات عقلية عند القدماء ، ولكنها لا تكفيها نحن أبناء هذا العصر ، ولا تتفق تماما مع أسلوبنا في التفكير للأسباب الآتية :

١ - لأنها لم تتمكن من تحديد العناصر التي تتكون منها الأوزان لتحديدا صحيحا . ومن المعروف الآن أن تقسيم أصوات اللغة إلى « متحرك » و « ساكن » لا يقوم على أساس صحيح . وكذلك التوحيد بين الصائت الطويل (حرف المد) والصامت غير المتبوع بصائت ، وإطلاق اسم « الساكن » عليها ، هو أيضا مخالف لما استقر عليه علم الأصوات اللغوية .

٢ - ولأنها لم تحاول وضع الوزن في مكانه بين العناصر الموسيقية الأخرى وعناصر العمل الشعري عموما ، ولا سيما المعنى .

٣ - ولأنها كانت تصف الظواهر العروضية باستقراء الأعمال الشعرية ، ولكن هذا الوصف مشوبا بالحرص على تكوين بناء نظري متسق . وفي سبيل هذا الحرص غَضُوا النظرا أحيانا عن الواقع الشعري نفسه ؛ فافترضوا - مثلا - أوزانا « مثالية » لا وجود لها في الواقع الشعري ، وافترضوا أن بعض الأوزان الحقيقية صور مشتقة من هذه الأوزان المثالية . ويتضح ذلك إذا قارنا مثلا بين صورة « المديد » في الدائرة ، وصورته في الشعر . وكذلك الوافر والهزج والرمل والسريع والمنسرح والمجثث وغيرها .

٤ - ولأن كثيرا من أحكامها كانت ذاتية تفتقر إلى التبرير الموضوعي ، فاستقبحوا بعض الزحاف واستحسنوا بعضه ، بغض النظر عن مدى شيوعه أو ندرته في الشعر ، ومدى ما لقيه من قبول أو إعراض لدى المتلقين ، وبغض النظر - كذلك - عن أثره التعبيري .

٥ - ولأنها لم تكتف بما حصرت من التراكيب الوزنية المسموعة عن العرب ، وبالتقاليد التي أخذوا بها أنفسهم في شعرهم ، بل جعلت أكثر هذه التراكيب

وما حكمها من تقاليد نهاية المطاف ، شأنها شأن مفردات اللغة ونحوها وصرفها ،
فمنعوا الشعراء من الخروج عليها^(١) .

ويلاحظ أن بعض هذه السمات يناقض البعض الآخر ، فقد اتخذوا الشعر
القديم نموذجاً يستخرجون منه القواعد والمعايير ، ولكنهم في الوقت نفسه ينكرون
من هذا الشعر ما لا يتفق مع أذواقهم . وهم « يجرّمون » على الشعراء أن يخرجوا
على تقاليد القدماء ، ولكنهم — إن صح ما روى عنهم — ابتدعوا أوزاناً لم يعرفها
العرب قبلهم ، كالمضارع والمقتضب^(٢) .

وينبغي الاعتراف بأن هذه السمات لا تشمل كل آراء العروضيين القدماء ومن
تبعهم من المحدثين ، بل نجد بعض الاستثناءات متناثرة هنا وهناك . ولعلّ كتاب

(١) يفهم من قول « ابن عبد ربه » أن « الخليل » أجاز النظم على غير الأوزان التي جاءت عن العرب ، وأن
« ابن عبد ربه » يخالفه في ذلك . قال « ابن عبد ربه » بعد أن تناول الدوائر ويحورها :

هذا الذي جرّبه المجربُ	من كل ما قالت عليه العربُ
فكل شيء لم تقل عليه	فلنا لم نلتفت إليه
وانه لوجاز في الأبيات	خلافها لجاز في اللغات
وقد أجاز ذلك الخليلُ	ولا أقول فيه ما يقولُ
لانه ناقض في معناه	والسيف قد ينبو وفيه ماء
إذ جعل القول القديم أصله	ثم أجاز ذا وليس مثله

(ابن عبد ربه : العقد الفريد « شرحه وضبطه وصححه : أحمد أمين — أحمد الزين — إبراهيم
الإياري » — لجنة التأليف والترجمة — القاهرة ١٩٤٦ — ج ٥ — ص ٤٤ ، ٤٤٢ .
وإن صح ما رواه « ابن عبد ربه » عن « الخليل » فهذا لا ينفي أن العروضيين بوجه عام وقفوا غير هذا
الموقف . وما هو ذا « ابن عبد ربه » — يجعل الخروج على الأوزان القديمة نظيراً للخروج على اللغة
نفسها .

(٢) السيوطي : المزهرة في علوم اللغة وأنواعها — دار إحياء الكتب العربية — القاهرة — بدون تاريخ —
ج ٢ — ص ٤٠
، الدمنهوري : الغاشية الكبرى على متن الكافي — دار إحياء الكتب العربية القاهرة —
بدون تاريخ — ص ٦٣ — ٦٤ .

« حازم » أوضح مثال على ذلك . ولكن السمات التي ذكرتها هي الغالبة على أفكار « العروضيين الخليليين » قديما وحديثا^(١) .

٢ -

في العصر الحديث ظهرت محاولات « لإعادة النظر » في عروض الشعر العربي ، يهدف بعضها إلى التيسير والتبسيط ، ويهدف بعضها إلى مزيد من التعمق والتوسع في دراسة موسيقى الشعر خارج الحدود التي اقتصر عليها العروض التقليدي . والهدف في بعض هذه المحاولات غير واضح ، بل إن بعضها ما زال تقليديا في جوهره ، وإن كان ظاهره التجديد .

وفيما يلي عرض لأبرز هذه المحاولات :

(أ) اتجه عدد من الدارسين إلى تيسير قواعد الخليل ، بتقليل عدد المصطلحات ، والتخفيف مما لم يجدوا له فائدة تعليمية ، كالدوائر ، وترك الظواهر الشاذة ، كالخزم والخزم .

ومن هؤلاء : الدكتور « إبراهيم أنيس » ، والدكتور « صفاء خلوصى » و « جلال الحنفى » ، والدكتور « رجاء عيد » ، والدكتور « عبد الهادي الفضل »^(٢) وغيرهم .

ويلاحظ أنهم لم يتفوقوا على وسائل التيسير ، فالدكتور « خلوصى » مثلا يتمسك بدوائر الخليل ، في حين يرى غيره التخلص منها^(٣) .

(١) مآخذ المحدثين على عروض الخليل تشيع تردد في كثير مما كتبوا ، ومن ذلك على سبيل المثال :

— د . إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر العربي — مكتبة الأنجلو القاهرة — ط ٤ — ٩٧٢ م .

، د . شكرى عياد : موسيقى الشعر العربي — در المعرفة — القاهرة — ٩٦٨ م .

، محمد العياشى : نظرية إيقاع الشعر العربي — المطبعة المصرية ، تونس — ١٩٧٨ م .

A bdel - Malek, Zaki N., Towards a New Theory of Arabic prosody.

مجلة « اللسان العربى » الرباط — مجلد ١٦ — ج ١ — ١٩٧٨ م

، مجلد ١٨ — ج ١ — ١٩٨٠ م ، ١٩ — ج ١ — ١٩٨٢ م

، د . سيد البحراوى : نحو علم عروض عربى معاصر — مجلة « إبداع » — القاهرة — أكتوبر —

١٩٨٧ م .

(٢) « إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر . ص ٥٩ وما بعدها

، د . صفاء خلوصى : فن التقطيع الشهري الشعري والقافية —

(ب) وللدكتور « محمد طارق الكاتب » محاولة تتجه إلى التيسير وإلى تهئية المادة العروضية حتى يمكن معالجتها باستعمال الحاسب الآلى . ولكن هذه المحاولة تنهج نهجا مخالفا للأعمال السابقة .

« يترجم » د . « الكاتب » الحركات والسكنات إلى أرقام ، فيجعل المتحرك « صفر » والساكن « ١ » ، وعن طريق الأرقام يمكن معرفة التفعلية والبحر . وقد استعمل طريقة حسابية تجعل للتفعلية قيمة عددية واحدة سواء أكانت سالمة أم مزاحفة . فالتفعيلة (مستعلن) مثلا تتحول إلى الأرقام (١٠-١٠-١٠) وهذه تتحول إلى (٢-٢-٤)^(١) .

فإذا تحولت بالخبين إلى (متعلن) حذف الرقم الدال على الساكن الأول ، فتصبح الأرقام الدالة على التفعيلة المزاحفة (١٠٠ ١٠٠) أى (١٠٠-١٠٠) ، وهذه تتحول إلى (٤-٤) . وهكذا نجد أن حاصل ضرب الأرقام الدالة على التفعيلة السالمة هو حاصل ضرب الأرقام الدالة على التفعيلة نفسها بعد مزاحفتها .

ولكن هذه العملية الحسابية لا تطرد على الوتيرة نفسها ، فالأمر يختلف حين يكون الزحاف في آخر التفعيلة ، فمثلا « فعولن مفاعيلن » في الطويل تمثل بالأعداد على هذا النحو :

مفاعيلن	فعولن
١٠ ١٠ ١٠٠	١٠ ١٠٠
٢ ٢ ٤	٢ ٤ أى

= مطابع دار الكتب - بيروت - ط ٤ - ١٩٧٤ - ص ٤٦٠ وما بعدها .

، جلال الحنفى : العروض ، تهذيب وإعادة تدوينه - مطبعة العاني بغداد - ١٩٧٨ .

، د . رجاء عيد : دراسة موسيقى الشعر - الناشر والمكان غير مذكورين - ١٩٧٩ - القسم الأخير وهو بعنوان : العروض والقافية - ص ١٠٥ وما بعدها .

، د . عبد الهادي الفضل : في علم العروض ، نقد واقتراح - نادي الطائف الأدبي - الطائف - ١٣٩٩ هـ .

(١) تبعا لجداول وإوردها المؤلف ، تضع لكل رقم ثنائى مقابلا من الأرقام العشرية .

(د . محمد طارق الكاتب : موازين الشعر العربي باستعمال الأرقام الثنائية - مطبعة مصلحة الموانع العراقية - البصرة - ط ١ - ١٩٧١ م - ص ٢٧ ، ٤٦) .

وعندما تقبض « فعولن » تتحول إلى « فعول » ، فتكون التفعيلتان والأرقام كما

يلى :

مفاعيلن			فعول
١٠	١٠	١٠٠	١٠٠
٢	٢	٨	٤

أى أنه اضطر إلى إضافة الصفر في آخر التفعيلة الأولى إلى المائة في أول التفعيلة الثانية ، وإلى معاملة التفعيلتين كأنهما تفعيلة واحدة ، حتى تظلّ عملياته الحسابية صحيحة . (العلامة الدالة على ضم الصفر إلى المائة من عندى) .

ومن ناحية أخرى ظنّ د . « الكاتب » أن بعض الزحافات تأتي دائما في الحشو ، أى أنها لا تكون في العروض ولا في الضرب . وهذا غير صحيح ، فالقبض مثلا يأتي في عروض « المتقارب » ، والكف يقع في عروض « الهزج » ، والمؤلف لم يضع ذلك في حسابه ، فلم يدلنا على طريقة حساب التفاعيل في هذه الحالة .

ومن ناحية ثالثة نجد زحافات لا تخضع لهذه الطريقة ، وهى الزحافات التى تصيب حرفا متحركاً بالتسكين أو الحذف (الإضممار والعصب والوقص والعقل) .
أى أن حاصل ضرب الأرقام الدالة على التفعيلة السالبة لا يساوى حاصل ضرب الأرقام الدالة على التفعيلة المزاخفة في كل الحالات^(١) .

والدكتور « أحمد مستجير » له محاولة تشبه من بعض الوجوه محاولة د . « الكاتب » ، فهى أيضا تهدف إلى تيسير العروض وتطويعه للحاسب الآلى ، وتعتمد على الأرقام . يفترض د- « مستجير » أن كل حرف متحرك غير متبوع بساكن (مقطع قصير) هو فى الأصل سبب خفيف حذف ساكنه ، ويضع لكل سبب حذف ساكنه رقما يدلّ عليه . فمثلا ، التفعيلة « مستعلن » بها سبب خفيف حذف ساكنه ، هذا السبب هو الثالث بين أسباب التفعيلة ، فإذا كان الشطر مكونا من (مستعلن مستعلن مستعلن) ، كانت الأسباب التى حذفت حروفها الساكنة هى

(١) د . الكاتب — السابق ص ٥٥ ، ٥٦ .

الثالث والسابع والحادى عشر بين أسباب الشطر ، فتكون الأرقام الدالة على هذا الوزن هى (٣ - ٧ - ١١) وهكذا (١).

وهى طريقة سهلة حقا ، لولا أنها لا يمكن أن تطبق على «الكامل» أو « الوافر » . وقد اضطر « د . مستجير » إلى أن يعدّهما صورتين مشتقتين من « الرجز » و « المهرج » . وثمة صعوبة أخرى هى أن الزحاف قد يؤدى إلى زيادة رقم بين الأرقام الدالة على الوزن . فإذا كانت الأرقام هى (٢ - ٥ - ٧ - ١٠) لم نجد فى القائمة التى وضعها « د . مستجير » بحرا دليله هذه الأرقام . وهنا نبحت عن بحر دليله (٢ - ٥ - ٧) أو (٢ - ٥ - ١٠) أو (٥ - ٧ - ١٠) أو (٢ - ٧ - ١٠) ، وسنجد أن المجموعة الأخيرة من الأرقام هى وحدها التى تدل على أحد البحور وهو الخفيف .

ومعنى ذلك لك أن الرقم (٥) يدل على ساكن حذف نتيجة للزحاف (٢) فإذا كثرت الزحافات كثرت الصعوبات (٣) .

هل نجحت هاتان المحاولتان أو إحداهما فى تيسير العروض ؟

مهما تكن الإجابة فاتباع مثل هاتين الطريقتين - فيما أرى - لا يساعد الدارس المبتدئ على تنمية إحساسه بموسيقى الشعر وتذوقه إياها واستماعه بها

واللجوء إلى الأساليب الحسائية والآلية قد يكون مفيدا لمن يتصدّون لدراسة الشعر العربى دون قدرة على الإحساس بموسيقاه ، وبخاصة غير المتكلمين بالعربية. أما القادرون على الإحساس بهذه الموسيقى فلا حاجة بهم إلى هذه الأساليب ، فما زال الاعتماد على الأذن الحساسة المحبة المدربة أفضل الطرق وأيسرها فى الوقت نفسه .

(١) أحمد مستجير : فى بحور الشعر - الأدلة الرقمية لبحور الشعر العربى مكتبة غريب - القاهرة - بدون تاريخ .

(٢) د . مستجير : السابق ص ٦٥ .

(٣) أجرى د . مستجير تعديلات على هذه الطريقة فى كتاب آخر . ولكنها ليست بالتعديلات الجوهرية . ويقال عن هذا الكتاب ما قيل عن سابقه من ملاحظات .

(د . أحمد مستجير : مدخل رياضى إلى عروض الشعر العربى - المكتب الدولى للتصوير العلمى -

القاهرة - ط ١ - ١٩٨٧ م)

(ج) قام « عبد الصاحب مختار » بمحاولة أخرى لم يتمكن من الوقوف على تفصيلاتها ، لأنها — فيما أعلم — لم تنشر كاملة إلى الآن ، وإنما نشر لها بعض التلخيصات^(١) .

تقوم المحاولة على افتراض أن عناصر الألحان (الأوزان) هي النقرات (دَنْ دَنْ دَنْ) ، ومن هذه العناصر تتكون سبع تفاعيل هي (مفاعيلن — فاعلاتن — مستفعلن — مفعولات — فعولن — فاعلن — مفعولن — مفعول) ، أما التفاعيل الأربع الأولى فتتكون كل منها بحذف أحد السواكن ، وأما التفاعل الثالث الأخيرة فبحذف ساكن وفتحة . ثم يرتب « عبد الصاحب » الوحدات في دائرة يقول إنها تشمل كل الأوزان العربية ، بل تشمل كذلك كل الصور المختلفة للأعاريض والأضاريب . الخ .

ولا أدري هل كان التيسير هدفا من أهداف الدائرة أم لا . ولكن هذه الدائرة لا تؤدي إلى تيسير ، فلن نستطيع أن نتبع العلامات الدالة على بحر من البحور في الدائرة إلا إذا كنا نعرف مكونات هذا البحر ، لأنها تشير إلى أوله ولا تشير إلى آخره .

ومن الواضح أن هذه المحاولة تحذف العروض التقليدية في تطويع الواقع للنظرية ؛ فهي مثالا لا تعترف باستقلال تفعيلتين أساسيتين هما متفاعلين ومفاعلتين ، وتدرجهما في إطارى مستفعلن ومفاعيلن ، وتجعل بين التفاعيل السبع واحدة مهمة هي « مفعول » ، كما أن الدائرة تشمل الأوزان المهمة كدوائر الخليل .

ويبدو أن لصاحبها أهدافا تتجاوز حدود العروض والشعر . يقول « عبد الصاحب » : (إن هذه الدائرة تصلح لأن تكون أساسا لقوانين اللغة والموسيقى

(١) أحمد كشك : محاولات للتجديد في إيقاع الشعر — مطبعة المدينة — القاهرة — ط ١ — ١٩٨٥ — ص ١٣ وما بعدها . وقد وجدت في نادي مكة الثقافي أوراقا تفضل أحد الإخوة المسئولين بالنادى وسلمنى صورة منها . وتتضمن هذه الأوراق تلخيص للنظرية منسوين « لعبد الصاحب » ، أحدهما يحمل اسم مجلة « الباحث » دون ذكر لتاريخ العدد ، والآخر لا يتضمن إشارة لمصدره . ولم يستطيع المسئول بالنادى أن يدلنى على المصدر وقد تضامنت هذه الأوراق مع العرض الذى قدمه « د . كشك » فى صنع الصورة التى تكونت عندى ، حتى ينشر العمل كاملا .

والغناء ونبض الانسان مما لا يدخل في اختصاصاتى^(١) .

وشبيه بمحاولة « عبد الصاحب » ضم الدوائر في دائرة ، محاولة د . « إبراهيم أنيس » أن يجعل « فاعلاتن » أصلا لكل التفاعيل مع زحافات المشهورة وعللها ، وذلك بإجراء تغيير أو أكثر من التغييرات الآتية عند تحويل فاعلاتن إلى غيرها :
التقصير — الحذف — التأخير — التقديم — الإلحاق — السبق^(٢) .

ولا جديد يضاف إلى عام العروض بهذه المحاولة ، فهي تشبه القول إن رقم ٥ أو ٨ أو غيرهما هو أصل الأعداد كلها ، لأنه بالجمع أو بالطرح أو الضرب أو القسمة يمكن أن يتحول إلى أى عدد آخر . ولا تفسير لفكرة د . « أنيس » هذه إلا بأنه كان يقصد الرد على محاولة « عبد الصاحب » . وقد أشار إلى شيء قريب من هذا في مقدمة مقاله .

(د) واتجه بعض الدراسات إلى البحث في أسس الأوزان العربية وطبيعتها ، وقد بدأ المستشرقون هذه المحاولات ، فحللوا الأوزان العربية في ضوء مفهوم المقطع^(٣) . وتابعهم في ذلك بعض الدارسين العرب مثل :
د . « إبراهيم أنيس »^(٤) ود . « عبد الله الطيب »^(٥) د . « شكرى عياد »^(٦)
و « محمد العياشى »^(٧) و « زكى ن . عبد الملك »^(٨) .

(١) د . كشك : محاولات للتجديد — ص ٢٠ .

(٢) د . إبراهيم أنيس : فاعلاتن — مجلة (الشعر) — تصدر عن دار مجلة الإذاعة والتلفزيون — القاهرة — يناير سنة ١٩٧٧ م .

(٣)

Wright, William, A Grammar of The Arabic

Language, The University Press, Cambridge, 1967, 4th. Part, P. 361.

(٤) د . أنيس — موسيقى الشعر .

(٥) د . عبد الله الطيب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها — دار الفكر — بيروت — ط ٢ — ١٩٧٠ م .

(٦) د . عياد — موسيقى الشعر العربى .

(٧) العياشى — نظرية إيقاع الشعر العربى .

Abdel - Malek, Towards a New Theory

(٨)

وحاول بعضهم أن يفرض على الأوزان العربية التفاعيل المصطلح عليها في بعض اللغات الأوروبية^(١) . وأقحم بعضهم على الشعر العربي ما لا يتفق وطبيعة اللغة العربية ، إذ جعل للنبر في الأوزان وظيفة أساسية ، كما فعل « فايل »^(٢) و تابع هذا الاتجاه بعض العرب ، على تفاوت بينهم في تقدير وظيفة النبر . ومن هؤلاء :

د . « محمد مندور »^(٣) ود . « محمد النويهي »^(٤) ود . « عبدي الرؤف »^(٥) ود . « كمال أبو ديب »^(٦) . أتماد . « إبراهيم أنيس » فقد أراد أن يجعل للنغمة المقطع وظيفة أساسية في الأوزان العربية^(٧) .

هـ - وأراد « جويار » أن يقحم على الأوزان العربية بعض نظم الموسيقى (بالمعنى العام) ، فقسم كل وزن إلى مقادير (مازورات) متساوية الزمن ، وافترض سكانات لكل منها قيمة زمنية . . . الخ^(٨) .

وتشبه محاولة « جويار » إلى حد ما محاولة « محمد العياشي » ، فقد حاول كذلك أن يفرض على الأوزان العربية بعض مبادئ الموسيقى (بالمعنى العام) ، فحلل الأوزان إلى عناصر ثقيلة « كم » وعناصر خفيفة « سر » ، وغير ذلك . وقد كان

(١) Wright, Loc. cit. وقد أتى ذلك إلى كثير من التعسف ؛ من ذلك على سبيل المثال أن تعدّ التفعيلة المزاخفة النادرة هي الأصل ، مثل « مفاعلن » في حشو الطويل .
د . د . عياد : موسيقى الشعر العربي ص ٦٢ وما بعدها .

2- Well, in Encyclopedia of Islam, Londo, 1960, Arud.

(٣) د . محمد مندور : الشعر العربي - غناؤه ، وزنه - مجلة كلية الآداب - جامعة فاروق الأول - الاسكندرية - مجلدا - سنة ١٩٤٣ م .

د . محمد مندور : في الميزان الجديد - نهضة مصر - القاهرة - ط ٣ - بدون تاريخ - ص ٢٥٦ وما بعدها .

(٤) د . محمد النويهي : قضية الشعر الجديد - مكتبة الخانجي ودار الفكر - القاهرة - ط ٢ - ١٩٧١ م .

(٥) د . عبد الرؤف : بدايات الشعر العربي بين الكم والكيف - القاهرة ١٩٧٦ م .

(٦) د . كمال أبو ديب : في البنية الإيقاعية للشعر العربي - دار العلم للملايين - ١٩٧٤ م .

(٧) د . إبراهيم أنيس : عناصر الموسيقى في الشعر العربي - مجلة الشعر - القاهرة - أبريل ١٩٧٦ م .

(٨) د . عياد : وسيقى الشعر العربي - ص ٦٨ وما بعدها ، عبد المحسن عبده أبو عالية : العروض العربي بعد التحليل - مجلة « الشعر » دار مجلة الإذاعة والتلفزيون - القاهرة - يناير ١٩٨٠ م .

وفيتا لتصوير مسبق أكثر من وفائه لواقع الشعر ، حتى إن كثيرا من الأوزان التي مارسها الشعراء قرونا كثيرة ، وما زالوا ، هي في نظره « تحريف » لأوزان أصلية يرى أنها كانت قائمة في الشعر الجاهلي . بل يرى أن كل الناس يخطئون في أداء الإيقاع الشعري . ولكن كتاب « العياشي » لا يخلو من محاولة لتصحيح بعض مفاهيم العروض التقليدية^(١) .

و — أما « زكي ن . عبد الملك » فقد اتبع منهجا منظما في دراسته : Towards a New Theory of Arabic Prosody ، وحاول بهذا المنهج أن يصل إلى المبادئ التي تحكم العلاقات بين التفاعل ، وأن يفسر بعض الظواهر العروضية ، مثل الزحاف والعلل ، وشيوع بعض الأوزان وندرة بعضها ، وإثارة التفاعيل الكبير (السباعية) على التفاعيل الصغير (الخماسية) في تكوين الأوزان ، وإهمال بعض التكوينات الممكنة واستعمال بعضها الآخر^(٢) .

ولكن دراسته جاءت موازية لعمل « الخليل » حين افترض صبيغا أصلية اشتقت منها التفاعيل (فاعولاتن — فاعولن) ، وحين تركزت نظريته في الأوزان الوافية دون المجزئات والمشطورات والمنهوكات ، (بعض هذه لا يتفق مع بعض المبادئ التي توصل إليها ، كمبدأ المعاودة أو التردد الذي جعله أساسا للعلاقات بين التفاعيل) ، وحين عدّ بعض الأوزان (المنسرح) صورة مشتقة من وزن آخر (مستفععلن فاعلن مستفععلن) ، لأن الوزن الأول لم يتسق مع نظريته .

وبعض النتائج التي انتهى إليها الباحث يحتاج إلى مناقشة ، كنظريته في الزحاف والعلل .

ي — أما كتابا « د . أنيس » و « د . عياد » فهما دراستان رائدتان . والمنهج الذي تنهج كل منهما أقرب إلى التفكير العلمي . والمجال الذي خاضته الدراستان أوسع من المجال الذي جال فيه عروض الخليل ، فهما بحق محاولان دراسة « موسيقى الشعر » لا « عروضه » فحسب

(١) محمد العياشي : السابق .

Zaki N. Abdel - Malek, Towards a New Theory

(٢)

وليس هذان العمالان وحدهما ، فهناك أفكار تومض هنا وهناك ، تضيف إلى عروض الخيل إضافات قيمة .

٣ -

بعد كل ما تقدم ما زال في الحقل متسع لمزيد من الجهد ، وما زال الطريق بحاجة إلى حث الخطأ . وهذا البحث يحاول أن يخطو خطوة أو خطوات على الطريق الطويل الذي فتحه ومهده رواد كبار . ومن نافلة القول أن خطوة أو خطوات لا يمكن أن تكون نهاية المسيرة .



الفصل الأول

الأسس

١ -

كثير من كتبوا عن الوزن في العربية يجعلون الإيقاع مرادفا للوزن ، أو يجعلون الوزن صورة من صور الإيقاع^(١) . وكذلك في الإنجليزية يقرنون بين الوزن Metre والإيقاع Rhythm^(٢) .

ويمكن تعريف الإيقاع بأنه (تتابع منتظم لمجموعة من العناصر) . وهذه العناصر قد تكون أصواتا ، مثل دقات الساعة ، وقد تكون حركات مثل نبضات

(١) على سبيل المثال :

عبد الله العياشي : نظرية إيقاع الشعر العربي .

د . أبو ديب : في البنية الإيقاعية للشعر العربي .

د . أحمد كشك : محاولات للتجديد في إيقاع الشعر .

(٢) على سبيل المثال :

-- Reaves, James, Understanding Poetry,

Pan Books, London and Sydney, third Print, 1975, P. 127.

-- Scholes, Robert, Elements of Poetry, poetry University Press, London, Toronto,

Fifth Printing, 1977, P. 60.

-- Drable, Margret, (Editor), The Oxford Companion to English Literature, Oxford

University Press, Fifth Edition. 1985, Metre .

نظرة جديدة على الشعر - ١٧

القلب . وفي الفنون يتكون الإيقاع من حركات (الرقص) ، أو أصوات (الموسيقى) ، أو ألفاظ (الشعر) .

والفنون « الزمانية » هي التي توصف عادة بأنها إيقاعية . ومع ذلك قد توصف الفنون التشكيلية أحيانا بهذه الصفة^(١) . ولعل المقصود بها عندئذ نوع من التناظر بين الأجزاء .

وقد يفهم من ربط الوزن بالإيقاع أن الوزن يجب أن يكون دائما مثل دقات الساعة وما شابهها . ولذلك يجب التمييز بين نوعين من الإيقاع ؛ النوع الأول يتمثل في دقات الساعة ، وحركات البندول ، والأصوات أو الحركات التي تصدرها بعض الآلات كأصوات عجلات القطار . ويتمثل أيضا في بعض الظواهر الطبيعية كحركات التنفس ونبضات القلب . وكذلك في أنواع من الفنون ؛ فهو يظهر مثلا في فنون الجماعات التي لم تمض شوطا طويلا في طريق الحضارة ، كالرقص ودقات الطبول .

والنوع الثاني يتمثل في أنواع من الفنون أكثر تركيبا من الأنواع الأخرى ، كالموسيقى الحديثة والشعر في مستوياته الراقية . وبين النوعين فروق :
(١) فالعلاقة بين العناصر في النوع الأول ظاهرة بسيطة يسهل قياسها . أما في النوع الثاني فهي أخفى وأكثر تركيبا .

(ب) والعلاقات في النوع الأول توشك أن تكون حسية خالصة . ولهذا لا يتفاوت الناس في إدراكها ، وإن تفاوتوا في الثقافة أو العمر أو غير ذلك . بل إن من صور هذا الإيقاع ما يدركه بعض الحيوان وينفعل به ويحاكيه .

أما العلاقات في النوع الثاني فهي عقلية حسية ، ولا تكفى الحواس لإدراكها ، بل نحتاج كذلك إلى الفكر . ولذلك يتفاوت الناس في فهمها وتذوقها وتقديرها . ولا بد أن تتوافر في متلقيها درجة من النضج العقلي والثقافي .

(١) د . أحمد محافظ رشدان ، د . فتح الباب عبد الحليم : التصميم — مطبعة نجيم — القاهرة — بدون تاريخ . (المقدمة بتاريخ ١٩٧٠ م) — ص ٨٢ وما بعدها .
، جيروم ستولنيتز ، النقد الفني — دراسة جمالية وفلسفية (ترجمة د . فؤاد زكريا) — الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة — ط ٢ — ١٩٨١ — ص ٣٠١ .

(ج) والعلاقات بين العناصر في النوع الأول تنتظم انتظاما تاما أو شبه تام ، أما في النوع الثاني فتجتمع بوضوح بين النسق والخروج على النسق .

والنوع الأول من الإيقاع يغلب على الفن كلما كان « تجريديا » ، وكلما غلب على أثره ان يكون استمتاعيا حسيا ، مثل الزخارف الهندسية والعمارة في طرزها التقليدية ، والغناء الفلكوري ، كأغاني الأطفال ، وأغاني العمل ، وأغاني الأفراح . أما إذا غلب على أثر الفن أن يكون عقليا أو « عاطفيا » فهو أقرب إلى النوع الثاني من الإيقاع . وكأن العمل الفني إذا أراد التعبير عن الحياة اتجه إلى محاكاة بعض صفاتها . وحياة الإنسان — إذا تجاوزنا الجانب البيولوجي — خضم مضطرب ، لا يخضع لإيقاع من النوع الأول . وكأن المتلقى يرضى بأن يتخلى عن قدر كبير أو صغير من المتعة الجمالية الحسية لقاء ما يجده ، في العمل الفني من المعنى ومن التعبير . ولهذا ينصرف المتلقى العادي عن العمل الفني إذا وجد مفتقرا إلى عوامل الإمتاع الحسي ، مفتقرا في الوقت نفسه إلى المعنى والتعبير . وهذا ما حدث لبعض أعمال التصوير الفني مثلا .

إذا عرفنا النوع الأول من الإيقاع بأنه (تنابع منتظم لمجموعة من العناصر) أو (تناظر بين الأجزاء) ، فكيف نعرف النوع الثاني ؟

لا بد أن نجد صعوبة في ذلك ، لأن العلاقات بين العناصر في هذه الحالة ليست من البساطة والوضوح بحيث يمكن وصفها بسهولة ، وإن كنا نشعر بها . ويمكننا أن نقول إن الإيقاع في الحالة الثانية هو تأليف بين مجموعة من العناصر ، يجمع بين النسق والخروج على النسق ، ويقيم بين هذه العناصر علاقة أو علاقات فإذا خلت العناصر من النسق ومن العلاقات فهي كذلك خالية من الإيقاع ؛ فالأصوات التي نسمعها في شارع مزدحم لا تكون إيقاعا ، ولا يعدها السامع إلا ضجيجا ، فليس فيها أي قدر من النسق ، ولا علاقة تجمع بينها .

فإذا كان تنابع العناصر في الحالة الأولى يشبه الخط الهندسي ، فتتابع العناصر في النوع الثاني شبيه بخط تتخلله بعض التعريجات غير المنتظمة ، ولكنه في جملة يتخذ اتجاهها ، أو يحتفظ بشكل ما .

وإذا استثنينا المنظومات البسيطة ، كأغاني الأطفال ، قلنا إن أوزان الشعر

تندرج في النوع الثاني من الإيقاع . بل ذهب بعض الدارسين إلى أن الوزن ليس صيغة معيارية ، وإنما هو مجرد اصطلاح بين أبناء اللغة ، كغيره من ظواهرها ، فلا يحسّ بالوزن الإنجليزي إلا من تعلم الإنجليزية^(١).

١/٢

ما العناصر التي تتركب منها الوحدات العروضية ؟

ينبغي ألا نتمسك بمصطلحيّ المتحرك والساكن اللذين استعملهما القدماء ؛ أما المتحرك فهو صوت صامت متبوع بصائت قصير ، مثل حرف الجر « لِر » وحرف الاستفهام « أ » ، فهو إذن مرادف لمصطلح « المقطع القصير » . وأما مصطلح « الساكن » فله معنيان ؛ المعنى الأول : الصائت الطويل ، مثل الألف في حرف النفي « ما » ، والمعنى الثاني : الصوت الصامت غير المتبوع بصائت ، مثل اللام في حرف الاستفهام « هَلْ » . والمعنيان مختلفان تمام الاختلاف ، فشتان بين الصائت والصامت . فما الذي أوهم القدماء أنها شيء واحد ؟ يبدو أن ذلك راجع إلى أن كليهما لا « يحمل » حركة (ضمة أو فتحة أو كسرة) في صورته المكتوبة ، لأن كليهما لا يتبعه صائت ، فتوهموا أن الحرف الذي لا يحمل « حركة » هو بالضرورة « ساكن »^(٢) .

ويبدو سوء الفهم الناتج عن استعمال هذين المصطلحين (الساكن والمتحرك) إذا تأملنا تحليلهم لكلمة مثل (سَمَا) ، فهم يقسمونها إلى حرف متحرك هو (سَ) ، وحرف متحرك آخر هو (مَ) ، وحرف ساكن هو أَلَف المَدِّ . وكأنهم تصوروا فتحة بين الميم وألف المَدِّ . وهذا أيضا خلط بين المستوى الكتابي والمستوى الصوتي للغة ،

Chatman, Seymour : The Component of English

(١)

In: Donald C. Freeman:

Linguistics and Literary Style, Holt, Rinehart and Winston, Inc. New York, 1970, P 312 .

(٢) د . رمضان عبد التواب : فصول في لفقة العربية — مكتبة الحانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض — ط القاهرة — ١٩٨٣ م — ص ٤٠٨ وما بعدها .

فقد أومهم استقلال الفتحة عن الألف كتابة أن ثمة فتحة مستقلة عن الألف صوتياً .

واستعمال مصطلحي الساكن والمتحرك قد يؤدي إل الإخفاق في تفسير بعض الظواهر العروضية ؛ فمن قواعد الزحاف أن لا يحذف الساكن الأخير من « مفاعَلَتُنْ » إلا إذا سكن الحرف الخامس المتحرك (لَ) . أى أن « مفاعَلَتُنْ » لا تتحول إلى « مفاعَلْتُ » ، ويمكن أن تتحول إلى « مفاعيلُ » طبقاً لقواعد الزحاف . فكيف نفسّر ذلك ؟ (١) .

إذا أخذنا بمفهوم المتحرك والساكن قلنا إن « مفاعَلْتُ » تتضمن ثلاثة متحركات متتالية هي : (عَ - لَ - تَ) ، وأن الهدف من تسكين اللام عند حذف النون هو التخلص من توالى هذه المتحركات الثلاثة . ولكن هذا التفسير يصطدم بظاهرة أخرى هي توالى متحركات ثلاثة في كثير من التفاعل مثل (متفاعلن - مفاعلتن - فعلاتن - مستعلن) ، وهي حسب مفهوم المتحرك والساكن تشبه « مفاعَلْتُ » من هذه الناحية .

فاذا أخذنا بمفهوم المقطع لم نجد في الأمر مشكلة ، فتقاليد الشعر العربي تنفر من توالى ثلاثة قصيرة أو أكثر في تفعيلة ، إلا تفعيلة « مُتَعِلَّنْ » التي تتوالى فيها ثلاثة مقاطع ، وهي ترد في « الرجز » لأن له وضعاً خاصاً يميزه عن سائر البحور (٢) . وزعم العروضيون أنها ترد كذلك في البسيط والسريع والمنسرح ، ولكن الشواهد

(١) في كتاب « العروض » المنسوب للأخفش : (ولم يسقطوا نون « مفاعلتن » لأن فيها ثلاثة أحرف وبعدها حرفان متحركان ، نتجمع خمس متحركات) ص ١٥٠ .

ولكنّ هذا القول لا يصدق على مفاعَلَتُنْ إذا كانت عروضاً في مجزوء الوافر (مفاعلتن مفاعلتن - مفاعلتن مفاعلتن) ففي هذا الموضع لا يؤتى حذف النون إلّا إلى توالى ثلاثة متحركات .

(٢) على يونس : النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجليلد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٥ م ص ١٢٤ وما بعدها .

التي يوردونها تبدو مفتعلة أو شاذة ، مثل هذا البيت الذي يتردد في كثير من كتبهم
وزعموا أنهم لقيهم رجل فأخذوا ما له وضربوا عنقه (١) .

ولهذا قبلت « مفاعلن » وما شابهها ، إذ لا يتوالى فيها ثلاثة قصار

فالأفضل أن نستبدل بمصطلحي المتحرك والساكن مصطلحي علم الأصوات اللغوية ، فنجعل وحدات التراكيب الوزنية الأصوات Sounds ، ثم المقاطع . والمقطع ليس مجرد افتراض نظري ، بل ظاهرة صوتية لها أساس عضوي . فمن تعريفات المقطع أنه ملفوظ Utterance يصدر خلال حدوث نبضة صدرية واحدة ، أى خلال حدوث ضغطة من العضلات الباطنية في أثناء إخراج الزفير من الرئتين . وعلى ذلك يكون المقطع هو أصغر « كمية » صوتية يمكن إصدارها خلال نبضة صدرية واحدة (٢) .

وللمقطع في اللغة العربية حدود واضحة بحيث يمكن تقسيم الكلمة إلى مقاطع دون أدنى لبس ، فالمقطع لا يبدأ بصائت ، ولا يحتوي على صامتين متتالين إلا في نهاية كلمة عند الوقف .

(١) صاحب بن عباد : الإقناع في العروض وتخريج القوافي (تحقيق محمد حسن آل ياسين) منشورات المكتبة العلمية - بغداد ط ١ - ١٩٦٠ م - ص ٢٠ .
الجوهري : عروض الوردية - ص ٦٤ .
ابن القطاع : البارع في علم العروض (تحقيق د . احمد محمد عبد الدايم) - المكتبة الفوصلية - مكة المكرمة - ١٩٨٥ م - ص ١١٥ .
الزنجشيري : القسطاس في علم العروض (تحقيق د . فخر الدين قباوة) - المكتبة العربية - حلب - ط ١ - ١٩٧٧ م - ص ٨٠ .

(٢) Hartman, R.R.K. and Stark, F.c.,
Dictionary of Language and Linguistics, Applied Science Publisher Ltd . London, 1976
Syllable, p. 227, 228.

د . احمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي - عالم الكتب - القاهرة - ط ١ - ١٩٧٦ - ص ٢٤٢ .

ويغلب على المقاطع في العربي : نوعان : المقطع القصير الذى يتكون من (صامت + صائت قصير) مثل حرف الجر (لـ) ، والمقطع الطويل الذى يتكون من (صامت + صائت طويل) ، مثل أداة الاستفهام (ما) ، أو من (صامت + صائت قصير + صامت) مثل أداة النفي (لم) ، وفي العربية نوح ثالث أقل ورودا من النوعين السابقين هو المقطع زائد الطول ، وله صورتان ؛ الصورة الأولى تتكون من (صامت + صائت طويل + صامت) مثل كلمة (نال) ، والصورة الثانية تتكون من (صامت + صائت قصير + صامت + صامت) مثل « دَرْب » . والصورتان لا تردان في الشعر إلا في نهاية بيت في القصائد ذات القوافي المقيدة (التى تنتهى بصامت) ، وهى قليلة في الشعر العربى وإن كانت في العصر الحديث أكثر منها في الشعر القديم . أما فيما عدا ذلك فالصورة الأولى لا ترد إلا شذوذا ، والصورة الثانية يمتنع ورودها .

واللغة العربية لا تنفرد باتخاذ المقطع أساسا لأوزانها ، فالأوزان المعروفة في لغات البشر بعامة تعتمد على المقطع ؛ فأساس الوزن في هذه اللغات إما أن يكون عدد المقاطع ، أو « كم » المقاطع ، أو النبر المقطعى ، أو النغمة المقطعية^(١) .

وقد ادى العروضيين واللغويين العرب لم يعرفوا المقطع بهذا المفهوم ، ولكن بعض الفلاسفة أشار إلى شىء قريب منه ، فعلى سبيل المثال نجد عند « ابن رشد » ، فى تلخيصه لكتاب « أرسطو » عن الشعر إشارة إلى « المقطع » ، ولكنه عندهما صوت غير دال مركب من حرف مصوت ومن حرف غير مصوت^(٢) أى أنه يقابل ما نسميه اليوم بالمقطع المفتوح .

(١) على سبيل المثال :

-- Fussell, Paul (J.R.) : Poetic Metre and Poetic Form, Random Houdom House, Inc. New York, p. 7.

وكذلك :

-- Zaki N. Abdel - Malek: Towards a New Theory.

مجلة اللسان العربى — مجلد ١٨ — ص ٨٠ ، ٨١ .

(٢) ابن رشد : تلخيص كتاب الشعر (تحقيق د . تشارلس بتروث ، ود . أحمد عبد المجيد هريدى) — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة — ١٩٨٧ — ص ١٠٩ وما بعدها .

وهذا التعريف لا يطابق المفهوم الحديث للمقاطع العربية تمام المطابقة ، ولعله كان وصفاً لمقاطع اليونانية القديمة ، حاول « ابن رشد » أن يطبقه على اللغة العربية .

٢/ب

جعل العروضيون المتحركات والسواكن عناصر للوزن ، ثم افترضوا وحدات أكبر هي الأسباب الخفيفة والثقيلة والأوتاد المجموعة والأوتاد المفروقة والفواصل الصغرى والكبرى ، تليها التفاعيل ثم الأَشْطَر والأبيات .

ولا خلاف على الأبيات والأشطر ، ولا خلاف كذلك على التقسيم إلى تفاعيل ، وإن خرج بعض العروضيين قديماً وحديثاً على بعض التقسيمات القديمة ، واستبدلوا بها تقسيمات أخرى^(١) .

- أما الوحدات الأخرى فيمكن إيضاحها كما يلي :
- السبب الخفيف وهو مقطع طويل ؛ مثل كلمة « أُنْخ » .
- السبب الثقيل ، وهو مقطعان قصيران ، مثل كلمة (لَمْ) .
- الوند المجموع ، وهو مقطع قصير يليه مقطع طويل ، مثل كلمة (عَلَّمَ) .
- الوند المفروق ، وهو مقطع طويل يليه مقطع قصير ، مثل كلمة (كَانَ) .
- الفاصلة الصغرى ، وهي مقطعان قصيران يليهما مقطع طويل ، مثل كلمة (دَهَبُوا) .

(١) من ذلك أن « مَخْلَع البسيط » (مستعلن فاعلن فعولن) يجعله « حازم » (مستعلناتن) متفعلاتن) و « المنسرح » (مستعلن مفعولات مستعلن) يجعله د . « أنيس » (مستعلناتن مستعلن فاعلن) .

[حازم ص ٢٣٨ ، د . أنيس ص ١٤٢]

— الفاصلة الكبرى : وهى ثلاثة مقاطع قصيرة يليها مقطع طويل ، مثل كلمة
(كُتِبُوا)^(١) .

ماذا كان العروضيون يريدون بهذه التقسيمات ؟

لعلهم كانوا يريدون بها أن يسهلوا وصف التفاعل ، فيقال مثلا ؛
إن « فاعلاتن » مكونة من : سبب خفيف ووتد مجموع وسبب خفيف .
إن « فعولن » تتكون من : وتد مجموع وسبب خفيف .
وإن « متفاعلن » تتكون من فاصلة صغرى ووتد مجموع ، أو من سبب ثقیل
وسبب خفيف ووتد مجموع . وهكذا .

ومن الممكن تحقيق هذا الغرض باستعمال مصطلح المقطع كما بينت ، فيقال
مثلا : إن « فاعلاتن » تتكون من : مقطع طويل ومقطع قصير ومقطعين طويلين ،
وهكذا .

وربما كان المقصود بهذه الوحدات أن يصوغوا قاعدة تبين مواضع الزحاف
والعلل ، فيقال إن الزحاف يختص بثوائى الأسباب ، وإن العلل قد تصيب الأسباب
والأوتاد . ولكن هذا القول لا يكفى ، فبعض الأسباب لا يزاحف ، كالسبب الثانى
فى (متفاعلن) ، إذا لم يدخل التفعيلة زحاف آخر (الإضممار) وكذلك السبب
الأخير فى « مفاعلتن » كما تقدم . والمعاقبة والمراقبة تمنعان مزاحفة السبب فى كثير من
المواضع .

وهكذا يحتاج الزحاف إلى تفصيلات كثيرة ، وكذلك العلل . ومن الممكن
شرح قواعد الزحاف بطريقة أيسر كثيرا من طريقة العروضيين التقليديين دون حاجة

(١) أضاف « حازم » الاصطلاحين :

— السبب المتوالى : وهو مقطع زائد الطول مثل (قال)

— السبب المضاعف : وهو مقطع قصير يلية مقطع زائد الطول مثل (فَعَلْ) (حازم : منهاج البلغاء ...

ص ٢٥٣) .

إلى تلك المصطلحات التي أشرت إليها ، وقد حقق ذلك بعض العروضيين المحدثين الداعين إلى التيسير^(١)

أ/٣

يقوم الوزن في العربية على ترتيب عدد من المقاطع على أساس الكم ، ويختلف هذا الترتيب من بحر إلى بحر ، بل من تكوين إلى تكوين آخر ؛ لـ « الرَّمَل » في صورة من صورهِ — يتكون شطره على النحو التالي : (٢)

— ٧ — — — ٧ — — — ٧ —

« والخب » في صورة يتكون شطره على النحو التالي :

—————

وهكذا . فالثنى يُمَيِّز « النظم » عن النثر هو النظام الذي يحكم عدد المقاطع وأنواعها (من حيث هي قصيرة أو طويلة أو زائدة الطول) ، وترتيبها .

ومعنى هذا أن الوزن العربي « كَمِّي » .

ب/٣

لم يترك لنا القدماء تصوراً واضحاً لهذه القضية ، ولكن إحساسهم بكمية الوزن العربي يُفهم ضمناً من نظامهم العروضي ، ومن بعض أقوالهم ؛ كقول « ابن فارس » : إن (أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم ، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف المسموعة)^(٣) .

(١) على سبيل المثال :

— د . أنيس : موسيقى الشعر العربي .

— جلال الحنفي : العروض .

(٢) يرمز هنا للمقطع القصير بالرمز « ٧ » وللمقطع الطويل بالرمز « — » وللمقطع زائد الطول بالرمز

« — — — » .

(٣) ابن فارس : الصاحبي (تحقيق : د . مصطفى الشويخي) مؤسسة أ . بدران بيروت — ١٩٦٣ —

ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

وقول « السيوطي » : (. . . أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم ، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف المسموعة . فكلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع ، والإيقاع ضرب من الملاحى ، لم يصلح ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم)^(١) .

فهنا يشبهان الوزن الشعرى بالإيقاع الموسيقى ، وهو يقوم أولا على أساس علاقات كمية بين مقادير الأصوات المتتابعة^(٢) .

(والموسيقى فى كافة صورها تتكون من عنصرين أساسيين هما : الإيقاع والنغمات . ويتضح هذان العنصران بوضوح فى موسيقانا الشرقية)^(٣) .

وأوضح مما سبق قول « الفارابى » : (فقوام الشعر وجوهره عند القدماء هو أن يكون قولاً مؤلفاً مما يحاكى الأمر ، وأن يكون مقسوماً بأجزاء ينطق بها فى أزمنة متساوية)^(٤) ، وقوله : (والجمهور وكثير من الشعراء إنما يرون أن القول شعر متى كان موزوناً مقسوماً بأجزاء ينطق بها فى أزمنة متساوية ، وليس يبالون كانت مؤلفة مما يحاكى الشيء أم لا . . . والقول إذا كان مؤلفاً مما يحاكى الشيء ولم يكن موزوناً بإيقاع فليس يعدّ شعراً ، ولكن يقال هو قول شعرى ، فإذا وزن مع ذلك وقسم أجزاء صار شعراً)^(٥) وقول حازم : (الوزن هو أن تكون المقادير المقتاة تتساوى فى أزمنة متساوية)^(٦) .

(١) السيوطى : المزهى فى علوم اللغة وأنواعها (شرحه وضبطه وصححه : محمد أحمد جاد المولى وآخرون) - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - بدون تاريخ - ج ٢ - ص ٤٧٠ .

(٢) أدولف دانها وزير : نظرية الموسيقى (ترجمة محمد رشاد بدران) - نهضة مصر - القاهرة - الإيداع ١٩٧٩ م - ص ١٥٦ .

(٣) عائشة صبرى - د . آمال أحمد مختار صادق : طرق تعليم الموسيقى - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ط ٢ - ١٩٧٨ - ص ٣٢ .

(٤) الفارابى : جوامع الشعر (ضمن كتاب ابن رشد : تلخيص كتاب أرسطوطاليس فى الشعر - تحقيق محمد سليم سالم) لجنة إحياء التراث الإسلامى - القاهرة ١٩٧١ - ص ١٧٢ .

(٥) الفارابى - الموضع نفسه .

(٦) حازم - ص ٢٦٣

ويبدو أن أصحاب هذه الأقوال — أو أكثرهم — متأثرون بما قاله فلاسفة اليونان عن شعرهم ، ولكنهم ما كانوا ليطلقوا القول على الشعر بوجه عام لولا أنهم أحسوا بالتشابه بين الشعر العربى والشعر اليونانى من هذه الناحية .

٣/جـ

النظام العروضى العربى يدلّ بوضوح على « كمية » الوزن الشعرى فى اللغة العربية كما أوضحت . ولكن بعض المعاصرين لم يعترف بهذه الأساس الكمى ، أو لم يعترف بأنه الأساس الوحيد لأوزان الشعر العربى . وردّد هذه الأراء عدد من المستشرقين والعرب ، حتى صارت قضية أساس الأوزان العربية من القضايا التى لا يمكن تجاهلها . ولهذا يقف البحث عندها وقفة متأنية .

من الناحية النظرية لا شىء أولى من كم المقاطع بأن يكون أساسا لأوزان الشعر العربى ، فهو أبرز من أية صفة أخرى يمكن أن يتصف بها المقطع كالنبر أو النغمة^(١) .

وفىما يلى محاولة للمقارنة بين الكم والنبر فى العربية .
إذا تناولنا — مثلا — هذه الجملة (فى دارى بستان رائع مزدهر) وغيرنا فيها مقطعا طويلا إلى آخر قصير ، أو مقطعا قصيرا إلى آخر طويل ، مع ثبات جميع العناصر الصوتية الأخرى^(٢) ، كأن نقول :
— فى درى بستان رائع مزدهر

(١) لا خلاف على أن النظام المقطعى الذى يقوم على عدد المقاطع — دون مراعاة لكمها أو نبرها أو نغمتها — هو نظام غير مقبول فى العربية والا لكان من الممكن أن تتناظر فى الوزن الواحد التفاعل (مستفععلن — فاعلاتن — مفاعيلن) وكل تفعيلية تتكون من أربعة مقاطع ، ولتناظرت كلمة مثل (ذَهَبَ) مع كلمة مثل (وادينا) ، لأن كليهما تتكون من ثلاثة مقاطع .

(٢) راعيت عند إجراء هذه التغييرات أن لا تؤدى إلى انتقال النبر من مقطع إلى مقطع آخر ، وذلك وفقا لقواعد النبر التى تحكم أداء اللغة العربية فى القاهرة ومعظم الوجه البحرى وكثير من المدن المصرية . وسوف يشار إلى هذا الأسلوب من أساليب أداء النبر باسم « الأداء المصرى » تجاوزا ، وإذا ذكرت قواعد النبر بغير تحديد فالمقصود بها هذه القواعد .

أو - في داري بستن رائع مزدهر
أو - في داري بستان رائع مزدهر
أو - في داري بستان رائع مزدهر

فإننا دون حاجة إلى إجراء اختبار عملي ، نستطيع أن نؤكد أن كل ناطق بالعربية يسمع أيا من هذه الجمل ، سوف يحس على الفور بما فيها من اختلال ، وسوف يدرك موضع الاختلال . وربما أدى هذا التغيير إلى غموض المعنى . وهو بلا خلاف خطأ لغوي .

أما إذا غيرنا موضعا من مواضع النبر في الجملة السابقة ، كأن ننطق كلمة « مزدهر » كما ينطقها أهل الشام ، فنجعل النبر على المقطع الأول « مُزْ » بدلا من نبر المقطع الذي قبل الآخر « دَ » الذي تقضى به قواعد النبر في أداء كثير من المصريين - فلن يلاحظ التغيير بالسهولة نفسها ، وقد لا يتمكن البعض من تحديد موضعه بدقة ، وقد لا يستطيع البعض أن يلاحظه على الإطلاق ، وفي كل الأحوال لن يعدّ التغيير خطأ أو اختلالا ، بل طريقة من طرق الأداء في لهجة من اللهجات العربية .

وفي قراءة القرآن الكريم كثير من الاختلاف في مواضع النبر بين أبناء اللهجات المختلفة . ولا أحد ينكر ذلك . بل إن علم التجويد قد اعتنى بالدقائق الصوتية ، ولم يحمل التفخيم أو الترقيق أو القلقل أو غيرها من الصفات الألفونية^(١) ، ولكنه لم يُعَنِّ بالنبر ولم يشر إليه إشارة معروفة .

أما أن تختلف أطوال المقاطع باختلاف اللهجات في قراءة القرآن الكريم فامر لا يقرّه أحد ، بل يُعدّ خروجاً على قواعد التجويد وعلى قواعد اللغة .

لماذا لا يبرز النبر في العربية بروز الكم ؟

يبدو أن الوضوح السمعي للنبر في العربية ضعيف إذا قيس بالنبر في الإنجليزية . وليست كل اللغات سواء في قوة النبر ؛ فهي اللغات الجرمانية يعظم

(١) الصفات الألفونية هي الصفات الصوتية غير الأساسية التي يمكن استبدالها بنظائرها دون أن يتغير المعنى

مثل ترقيق الصائت الطويل وتفخيمه في كلمة « نار » أو كلمة « صلاة » .

الفرق بين المقطع المنبور وغير المنبور ، وفي الفرنسية يضعف هذا الفرق^(١) .

والنبر في العربية ليس « فونياً »^(٢) ، بدليل اختلافه باختلاف اللهجات . ويرى بعض الدارسين أن النبر قد يرتبط بالمعنى ، فيتغير المعنى بتغير موضع النبر ، كما في الجملتين : (اذكر الله) و (اذكرى الله) . فمن الناحية الصوتية لا فرق بين الجملتين إلا في موضع النبر ، فهو في الأولى على المقطع الأول « اذْ » وفي الثانية على المقطع الثاني « كُ » .

(أما لفظ الجلالة فالنبر فيه على المقطع الأخير في كلتا الجملتين) .

وكذلك العبارتان (حضر مدرسو الفصل) ، (حضر مدرسُ الفصل)^(٣) .

وصحيح أن النبر يوضح المعنى في المثالين وما شابههما ، ولكن لو جعلنا كل جملتين متناظرتين متشابهتين في موقع النبر ، كأن نجعل النبر في الأوليين على المقطع (اذْ) ونقول : (اذكر الله أيها المؤمن) و (اذكرى الله أيها المؤمن) ، ونجعل النبر في الأخيرين على المقطع (رِ) فنقول : (حضر مدرسو الفصل جميعاً) و (حضر

(١) د . شكري عياد : موسيقى الشعر العربى - ص ١١٢ .

د . أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوى عالم الكتب - القاهرة - ط ١ - ١٩٧٦ - ص ١٩٠ ،
د . توفيق السيد عنبر : محاضرات بمعهد الخرطوم الدولى للغة العربية - الخرطوم -
١٩٧٨/١٩٧٩ م .

(٢) الفونيم صوت أو عنصر صوتى إذا استبدل بغيره تغير المعنى . ومن الدارسين الذين قالوا : إن النبر ليس فونياً في العربية :

د . شكري عياد : موسيقى الشعر العربى - ص ٤٥ وما بعدها .

د . أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوى - ص ٣٠٨ .

مجلد ١٦ - ص ٤٨ . Abdel-Malek, op. cit.

د . سعد مصلوح : المصطلح اللسان وتحديث العروض العربى - مجلة « معرور » - القاهرة -
يوليو - أغسطس - سبتمبر ١٩٨٦ - ص ١٩١ .

(٣) د . تمام حسان : اللغة العربية ، معناها ومبناها - القاهرة - ط ٢ - ١٩٧٩ م - ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

د . رمضان عبد التواب في مناقشته لرسالتى لنيل درجة الماجستير (النقد الأدبى وقضايا الشكل
الموسيقى في الشعر الجديد) - بآداب عين شمس سنة ١٩٨٢ م .
على يونس : النبر في الأداء المصرى المعاصر للغة العربية - معهد الخرطوم الدولى للغة العربية -
الخرطوم - ١٩٨٠ (بحث مطبوع بالاستئصال) .

مدرس الفصل وحده) ، فهل يعدّ هذا أو ذاك خطأ ؟ لقد لاحظت أن كلتا الطريقتين في توقيع النبر قائمة مقبولة ، فلا يستدلّ بهذه الجمل وما شابهها على فونيميّة النبر .

أما كم المقاطع فهو بلا شك عنصر فونيمي ، يبدو ذلك من هذه الثنائيات :

سُرُر	سُرُر
مَطَر	مَطَر
سَمِيع	سَمِيع

فلا يفرق بين الكلمة ونظيرتها إلا أن الصائت القصير هنا يقابل صائت طويل هناك ، ومن ثمّ يقابل المقطع القصير مقطعا طويلا ، أو يقابل المقطع الطويل مقطعا زائدا الطول .

٣ - د

قد يؤدي التغيّر الكميّ (بإطالة مقطع قصير أو تقصير مقطع طويل أو بإضافة مقطع ، أو حذف مقطع) إلى اختلال الوزن أو تحوّل بحر إلى بحر .
والأمثلة على ذلك لا نهاية لها ؛ ففي بيت المتنبي :

شرّ البلاد مكان لاصديق به وشرّ ما يكسب الإنسان ما يصم^(١)

إذا تغيّرت « به » إلى « فيه » اختل وزنه .

وفي بيت « البهاء زهير » :

نزل المشيب وإنه في مفرقي لا غرو نازل^(٢)

إذا تحوّلت « نازل » إلى « نَزَل » اختلّ الوزن كذلك .

(١) المتنبي : ديوان المتنبي - دار بيروت - بيروت - بدون تاريخ - ص ٣٣٣ .

(٢) بهاء الدين زهير : ديوان بهاء الدين زهير - دار صادر - بيروت - ١٩٨٠ - ص ٢٨٩ .

وبيت « ابن زيدون »

يا ليت شعري ولم نعتب أعاديكم هل نال حظا من العتبى أعادينا^(١)

إذا أضفنا إلى صدره مقطعا قصيرا بتحريك الميم (أعاديكم) اختل وزنه .

وبيت « الشنفرى »

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متحول^(٢)
إذا صار :

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وبها لمن خاف القلى متحول

تحول الشطر الذى حدث فيه التغير من « الطويل » إلى « الكامل » .

وبيت شوقى :

حفّ كأسها الحبيبُ فهي فضة ذهب^(٣)

إذا سكن آخر صدره وآخر عجزه الشطر من المقتضب إلى مجزوء المديد (فاعلاتن فاعلن)^(٤) .

ففى الأمثلة السابقة لم يحدث إلا تغيير كمّى محدود مع ثبات النبر ، فقد راعيت فى الأمثلة التى اخترتها أن لا يؤثر التغير على مواضع النبر وفقا للقواعد التى تحكم الأداء المصرى المعاصر ، ومع ذلك تغيّر الوزن أو اختلّ . وما ذلك إلا لأن الكم هو العنصر الأساسى فى أوزان الشعر العربى ، وليس النبر .

ولهذا يخرج الشعراء أحيانا على قواعد اللغة ويُقدّمون على « الضرورات الشعرية » حتى لا يختلّ الوزن . وقد يكون ذلك بإطالة مقطع قصير أو بتقصير مقطع طويل . فمن أمثلة هذه الضرورات قول امرئ القيس :

(١) ابن زيدون : جيهان ابن زيدون - دار صادر - بيروت - ١٩٧٥ - ص ٩ .

(٢) الزغششى (محمود بن عمر) : أحجب المحجب فى شرح لامية العرب - طبع على نفقة أحمد الجعالم ومحمد الخالجي وأخيه - مكان الطبع غير مذكور - ط ٢ - ١٣٢٤ هـ - نص قصيدة « الشنفرى » - ص ١٤٨ وما بعدها .

(٣) أحمد شوقى : الشوقيات - مكتبة التربة - بيروت - ١٩٨٧ - مجلدا - ج ٢ - ص ٩ .

(٤) وهذا الوزن عند بعض العروضيين من مجزؤ الرمل (الزغششى : القسطاس - ص ٧٨) .

ويوم دخلت الخدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي^(١) .
فقد جعل « عنيزة » « عنيزة » . أى أنه حول المقطع القصير إلى مقطع طويل .
ومن أمثلتها قول « عباس بن مرداس » :
فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع^(٢)

فمنع « مرداس » من الصرف جعل المقطع الطويل « ساً » مقطعا قصيرا
« س » . ولو لم يحدث هذان التغيران في البيتين لا تكسر الوزن فيهما ، بالرغم من
أن النبر لم يتغير (وفقا لأسلوب الأداء المصري كذلك) .
أما النبر فلا أعرف بيتا واحداً عُدَّ مكسورا أو تحول من وزن إلى وزن بسببه .

٣/هـ

وما يقال عن النبر يقال عن نغمة المقطع ، فهي أقل بروزا من كم المقطع ،
وهي ألوفونية لا فونيمية ، وتغيير النغمة لا يؤدي إلى كسر الوزن أو تحويل البحر إلى
بحر آخر .

٤/أ

اعترض بعض الباحثين على فكرة الأساس الكمي لإيقاع الشعر العربي ، لأنه
يرى لهذا الإيقاع أساسا آخر بدلا من الأساس الكمي ، أومع الأساس الكمي .
ولا يتسع هذا البحث لمناقشة كل ما أثير بهذا الصدد ، ولذا أكتفى بمناقشة أبرز
ما أثير .

٤/ب

إذا كان الأساس الكمي يعني ترتيب عدد من المقاطع تبعا لكمها ، فكيف يجاز

(١) الزوزنى : شرح المعلقات السبع - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ - ص ١٢ .

(٢) ابن رشيق : المعتمد في صناعة الشعر ولقده - مطبعة هندية - مصر - ط ١ - ١٩٢٥ م - ج ٢ -

ص ٢١١ .

فيه الزحاف الذى يؤدى إلى الاختلاف الكمى بين المقاطع المتناظرة؟^(١) .

للإجابة عن هذا السؤال علينا أن نفرق بين ثلاثة أنواع من الزحاف :

١ - النوع الأول الذى يؤدى إلى الخروج على النسق بشكل حاد ، فيسبب إحساسا بها يشبه الاختلال أو الكسر . ومن أمثلته الزحاف المزدوج ، مثل « الشكل » الذى يجعله « فاعلاتن » مناظرة لـ « فَعْلَاتُ » ، كما فى التفعيلتين الثانية والخامسة من هذا البيت :

· إن سمعنا بسطل بمبارس صابر بحسب لمسا أصابه^(٢)

ومنه بعض ما يسمى « العلل الجارية بحرى الزحاف » ، كالحرم والحزم . وهذا النوع نادر فى الشعر قديمه وحديثه . وهولما فيه من نشوز يُعدُّ خروجاً على النسق ، ولا يُعدُّ جزءاً من النسق . وهولا ينفى وجود النظام الكمى ، لأن طبيعة الإيقاع الشعرى تقوم على الجمع بين النسق والخروج عليه . ثم إن أثره فى النسق العام للقصيدة ضئيل لأنه لا يرد فى قصيدة إلا مرة أو مرتين أو مرات قليلة ، ولا يظهر أثره إلا على مستوى البيت إذا عزلناه عن أبيات القصيدة الأخرى .

٢ - النوع الثانى الذى لا يؤدى إلا إلى تفاوت يسير ، بأن يجعل المقطع الطويل مناظراً لمقطعين قصيرين متتالين ، وهو يساويهما أو يقاربهما زمنياً . ولكن النظام الكمى يقوم على عدد المقاطع وأنواعها وترتيبها ، لا على كم التفعيلة مجتمعة . ومن هنا يأتى الشعور بالتفاوت ، ولكنه تفاوت يسير لا يهدم النسق .

(١) حَبَّرَ المستشرقين مشكلة الزحاف ، وحاول جويار أن يحلها حلاً .

(د . مندور : فى الميزان الجديد - ص ٣٧ ، وما بعدها ، عبد المحسن أبو عالية : مجلة الشعر) وقال أبو ديب إن الوزن الذى يسمح بالتعادل بين (مستعلن) و (متعلن) ، والاضطرار إلى هذا التفسير الكمى مع وجود هذه الفروق الكمية الكبيرة يجعل النظرية الكمية قليلة الجدوى ، وقال إن النظرية الكمية لا تقدم « قانوناً » إيقاعياً سليماً يصف الزحاف .

(د . أبو ديب - ص ٢٣ وما بعدها) .

(٢) الصاحب بن عباد : ص ٤٨ .

ومن هذا النوع « الإضممار » الذى يجعل « مُتفاعِلن » مناظرة لـ « مُتفاعِلن » ،
والعصب الذى يجعل « مفاعِلَّتُن » مناظرة لـ « مفاعِلن » . ومن أمثلة الإضممار :
معظم تفاعيل هذا البيت لـ « عنترة » :
هلا سألت القوم يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

ومن أمثلة « العصب » التفعيلة الثانية والرابعة من هذا البيت لـ « قطرى بن
الفعاءة » :
أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى

والإضممار والعصب شائعان مألوفان ، فلا تكاد تخلو من الإضممار قصيدة من
« الكامل » ، ولا من العصب قصيدة من « الوافر » .

٣- النوع الثالث : هو الذى يؤدى إلى تفاوت أخف من الأول وأوضح من
الثاني إذ يجعل أحد المقاطع فى تفعيلة قصيرا ونظيره فى تفعيلة أخرى طويلا ، كالنماظر
بين : مستفعلن ومتفعلن ، والنماظر بين فعولن وفعلول ، وبين فاعلاتن وفعلاتن .
رهو تفاوت محدود كما قلت لأنه بمس نسبة محدودة من التفعيلة . فإذا مثلنا القيمة
الكمية للمقطع القصير بالعدد « ١ » وللمقطع الطويل بالعدد « ٢ » فالتفعيلة
« فاعلاتن » تساوى (٢ + ١ + ٢ + ٢) ، والتفعيلة فعلاتن تساوى (١ + ١ +
٢ + ٢) . أى أن المقطع الذى تأثر بالزحاف هو عنصر واحد من عدة عناصر تكون
التفعيلة . وإذا أخذنا بهذه النسب العددية فالمقطع الطويل « فا » يبلغ ٢٩٪ من
التفعيلة « فاعلاتن » ، ونظيره (ف) يبلغ ١٤٪ من التفعيلة « فعلاتن » تقريبا .
فإذا أخذنا فى حسابنا « التعويض » الذى يلجأ إليه قارئ الشعر أحيانا بإطالة المقطع
القصير ، أو بسكتة بعد هذا المقطع يضاف زمنها إلى زمنه ، وجدنا أن الفرق بين
المقطعين يتضاءل فى بعض الأحيان حتى يوشك أن يخفى على القارئ أو السامع .
وقد لاحظ التعويض « حازم » ، ولاحظه من المعاصرين « د . مندور » و « د .
أليس » و « العيَّاشى » و « عبد الملك » .

فقد كان « حازم » — فيما يبدو — يقصد التعويض حين قال إن أسلوب الإلقاء
يمكن أن يسد الثغرات التى يسببها الزحاف عندما يؤدى إلى نقص التفعيلة المزاحفة

عن نظيرتها السالبة . قال « حازم » : (الوزن هو أن تكون المقادير المقفاة تتساوى في أزمنة متساوية لا تفاقها في عدد الحركات والسكنات والترتيب ، فما حذف من بعضها على بعض الوجوه التي بينها أمكن أن يتوفر على مابقى منه ، وأن يتلافى — كذا — لتمكين الحركات والسكنات المكتنفة له قدر مافات من زمان النطق به ، فيعتدل المقداران بذلك ، فيكونان متوازيين)^(١) .

أما « د . مندور » فلا ينظر إلى كم كل مقطع ، بل ينظر إلى كم التفعيلة كلها ، ولذلك لم يحدّد موضعا معينا للتعويض في التفعيلة . ويكون التعويض عنده بإطالة صوت صائت ، أو بمقدّر صوت متمادّ مثل اللام والسين ، أو بوقفة عقب لفظ أو بعد صوت آتى كحرف الانفجار ، مثل الباء والفاء والذال^(٢) .

وقريب من ذلك ما ذهب إليه د . « زكى عبد الملك » ؛ فالتعويض عندهما يكون بإطالة مقطع مجاور للمقطع الذى قصره الزحاف . وهذا المقطع المجاور — عند عبد الملك — هو المقطع الذى يأتى تالياً للمقطع المزاحف ، إذا كان هذا المقطع التالى محتويا على صائت طويل أو منتهيا بصامت استمرارى ، وإلا فالتعويض عنده يكون بالوقف^(٣) .

أما العياشى « فللتعويض عنده صورة أخرى ، فهو يرى — مثلاً — أن « فعلاتن » هى الأصل فى الرمل ، والمقطعان القصيران فى أول « فعلاتن » يساويان عنده (١ + ٢) . فإذا جاءت إحدى تفعيلات الرمل على وزن « فاعلاتن » فما يسميه « تسهيل الاهتضام » يجعل المقطع الطويل والمقطع القصير فى أول التفعيلة

(١) حازم — ص ٢٦٣ .

(٢) د . مندور — مجلة كلية الآداب — ص ١٤٧ وما بعدها ، فى الميزان الجديد — ص ٢٣٧ وما بعدها . وفى عبارة « د . مندور » غموض ، فلم يوضح ما يقصده بالحرف الأتى . ثم إن الفاء ليست صوتا انفجاريا . أما الصوت المتمادّ فيقصد به الصامت الذى يمكن الاستمرار فى لقطه مدة طويلة بغير توقف وهو ما سمّيته « الصامت الاستمرارى » ، ويشمل الصوامت الرخوة بالإضافة إلى الميم والنون واللام والراء .

(٣) د . أنيس — موسيقى الشعر — ص ١٦٠ ،

Abdel - Malek, op. cit.

مجلة اللسان العربى — مجلد ١١ — ح ١ — ١٩٨٠ م .

مساويين لـ $(\frac{1}{4} + 1 - \frac{1}{4})$ بدلا من الكم الأصلي لهما وهو $(2 + 1 = 3)$ ،
أى أنهما بهذا التسهيل يتساويان كميا مع المقطعين المناظرين في التفعيلة الأصلية
(فعلاتن) ^(١) .

وقد يفهم من ذلك أن التعويض يجعل التفعيلة السالمة مساوية لنظيرتها
المزاحفة ، ولكن مع كل ما قلته عن التقارب بين المقطع المزاحف والمقطع السالم ،
ومن ثم بين التفعيلة المزاحفة والتفعيلة السالمة ، في هذا النوع من الزحاف ، فلا بد
من الاعتراف بوجود فارق بين المقطعين وبين التفعيلتين ، وهو فارق يظهر أحيانا
ويختفى أحيانا ^(٢) .

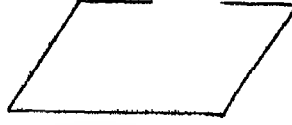
أما احتساب التفعيلة جملة واحدة دون مراعاة للمقاطع المكونة لها فهو يعنى
الخلط بين تفاعيل لم يخلط الشعراء بينها ، لا في القديم ولا في الحديث ، مثل
(فاعلاتن ومفاعيلن ومستعلن ومفعولات) ، ومثل (متفاعلن ومفاعلاتن) ومثل
(فعلن وفاعلن) . ولا بد من « شخصية » تجمع بين التفاعل المتناظرة في الوزن
الواحد ، وتميزها عن التفاعل الأخرى وهذه الشخصية لا تقوم على الكم المجمل
وحده ، بل على كم كل عنصر ، وعلى ترتيب العناصر . ومن أجل ذلك لزم أن
يكون التعويض إطالة للمقطع المزاحف نفسه ، أو سكتة تالية لهذا المقطع مباشرة .
والتعويض على كل حال لا يلغى الفارق بل يملأه . فإذا أصاب الزحاف مقطعا
واحدا حدث فارق كمى محدود يمكن تجاوزه ، أما إذا أصاب الزحاف مقطعين أو
أكثر فقد تحول الأمر إلى خروج حاد على النسق ، كما في النوع الأول من الزحاف .
ويمكن أن نشبه التفعيلة من هذه الناحية — بشكل هندسى كهذا الشكل :



(١) العياشى — ص ١٦٤ وما بعدها .

(٢) سيأتى الحديث المفصل عن الزحافات في فصل لاحق .

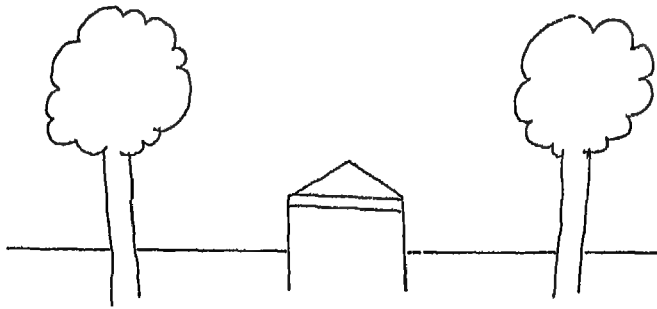
فإذا زوحت شبهناها بالشكل نفسه بعد إحداث نقص في أحد أضلاعه :



فبالرغم من هذا النقص لم يزل الشكل محتفظا بشخصيته العامة . أما إذا غيرناه على النحو التالي :

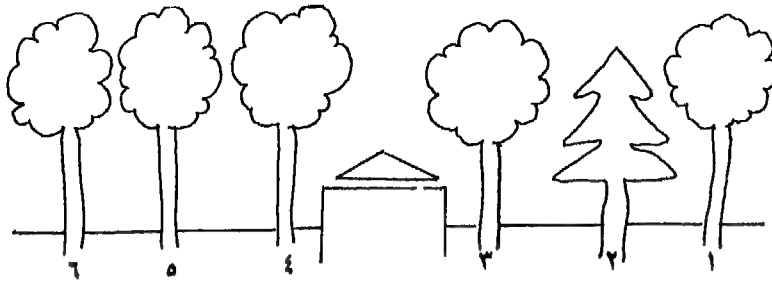


أو على أى نحو آخر لا يحافظ على شخصيته ، فقد تحول إلى شكل آخر ، ولو كانت خطوطه مساوية لخطوط متوازي الأضلاع . والتفاوت بين الأجزاء المتناظرة قد يكون نائبا في الزخارف الهندسية ، لكنه في الأشكال الطبيعية شائع مقبول . وكذلك في الفنون التي سميتها الفنون التعبيرية . بل لا يُتصور في الأشكال الطبيعية انضباط هندسى تام . إذا تأملنا الرسم التالي :



فسوف نشعر بالتناظر بين الشجرتين بالرغم مما بينهما من اختلافات جزئية ،

وسوف نعد الشكل العام للأغصان والأوراق مستديرا ، بالرغم من أن الاستدارة ناقصة . أما إذا كان المنظر على هذا النحو مثلا :



فسوف نشعر على الفور بالفارق الحاد بين الشجرة « ٢ » وبقية الأشجار ، سواء أقبلنا هذا المنظر العام بما فيه من نشوز ، أم فضلنا أن تتناظر الأجزاء . وفي رأى عالم الجمال « هوجارت » أن القاعدة الثابتة في الفن هي تحاشى الانتظام^(١) .

والتناظر الناقص الذى يحدثه الزحاف في الشعر له نظير في الفنون التشكيلية ، يسميه صاحب كتاب « التصميم » : (الاتزان غير المتماثل) ، وهو في رأيهما أكثر قوة وتأثيرا في النفس من الاتزان المتماثل^(٢) . ويقولان إن الوحدة في العمل الفني لا تعنى التشابه بين كل أجزاء التصميم ، بل يمكن أن يكون هناك كثير من الاختلاف^(٣) . ويمكن التمثيل على ذلك التناظر الناقص بهذه اللوحة من الفن الفرعونى^(٤) :



(١) د . عبد الفتاح الديبى : علم الجمال - الإنجلو المصرية - القاهرة - ط ١ - ١٩٨١ - ص ٤٦ . والمقصود هنا الانتظام التام .

(٢) د . رشوان ، د . فتح الباب : التصميم - ص ٥٤ ، ٨٥ .

(٣) هيئة الآثار المصرية - قطاع المتاحف : دليل المتحف المصرى - القاهرة ، موجز في وصف الآثار الهامة بالمتحف المصرى بالقاهرة - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣ م - ص ٢١ وما بعدها .

وربما كان الزحاف ، أو على الأصح - الخروج على النسق ظاهرة شائعة في أشعار البشر . نقل « عبد الملك » تعريفا للوزن بعامة عن كتاب : Shapiro: Prosody Handbook بأنه (توزيع المقاطع تبعا للنبر أو الكم أو النغمة أو مجرد العدد في نموذج منتظم إلى حد ما على مستوى البيت أو على مستوى تتابع الأبيات) ، وأنه (نموذج التردد المنتظم نظريا ، وإن كان في الممارسة العملية يتضمن كثيرا من الاختلافات بين الجزئيات الصوتية في البيت)^(١) .

أما في الإنجليزية فهم لا يميزونه فحسب ، بل يرونه مطلبا مهما يوشك أن يكون ضروريا .

يقول صاحب كتاب Poetic Meter and poetic Form إن معظم الفنون يستمد تأثيره باستعمال عنصر ثابت وآخر متغير . ويضيف أن العنصر الثابت في الشعر هو النموذج الوزني المخطط المتعارف عليه ، والعنصر المتغير هو واقع الإيقاع الحقيقي للغة عندما يخرج على هذا الإطار .

ويوافق على قول W.k. Wimsatt and Monro Beardsly :

(ما من بيت منتظم إلى درجة الخلو من التوتر ، ويشمل ذلك التبادل بين العناصر القوية والضعيفة ، فمن المستحيل عمليا أن يكتب بيت إنجليزي لا يقاوم الوزن . والبيت الذي يخضع للنظام خضوعا تاما هو بيت فاطر ضعيف)^(٢) .

وفي كتاب understanding Poetry يسوق مؤلفه نماذج من الشعر الإنجليزي من وزن « الإيامب » ويقول عنها (إن في كل بيت منها شيئا من الخروج على النظام irregularities ، ولولا ذلك لصار رتيا للغاية .

وسوف يميل رأس القارئ ثم ينم في النهاية)^(٣) .

Abdel- Malek, Towords new theory, chappter3,p 80, 81.

(١) انظر

مجلد ١٨ - ج ١ .

(2) Fussell, op. cit. p. 38,39,92.

(3) Redves, op. cit. p. 141, 142.

وفي كتاب Elements of poetry : (إن في الإنجليزية وزنين أساسيين ، ولكن تغيرات كثيرة Variations تدخل الوزنين)^(١) . ويتحدث المؤلف عن قصيدة من الشعر الإنجليزي فيقول إن الوزن الإيامي يبني نفسه تدريجيا في هذه القصيدة ، ولكن التفاعل الاسبوندية^(٢) تسيطر على الوزن حتى في الأبيات القصيرة^(٣) .

وسواء أكان الزحاف خروجاً شديداً أم طفيفاً على نسق الوزن فهو لا ينقض فكرة الأساس الكمّي ، بل يدعمها ويؤكدّها . إن التفعيلة تعد مزاحفة لاختلاف كمّيّ بينها وبين نظائرها من التفاعيل ، ولولا الأساس الكمّي لما لوحظ فرق بينهما . أما الاختلاف بين التفاعيل في النبر أو التّغيم فلا يغير من قيمة التفعيلة ، ولا يؤدي إلى زحاف .

٤ / حـ

لفت أنظار الباحثين أن قواعد العروض تجعل الوتد سالماً من الزحاف ، وحاول بعضهم أن يفسر ذلك بنبر جزء من الوتد هو السبب الخفيف ، أو بعبارة أخرى المقطع الطويل ، ولذلك سمّي الوتد « محور الإيقاع » أو « جوهر الإيقاع » . ويتصل ذلك بافتراضهم أن للنبر وظيفة ما ، أو وظيفة أساسية في أوزان الشعر العربي . ومن أصحاب هذه الفكرة : المستشرق « فايل »^(٤) والدكتور « مندور »^(٥) والدكتور « عوى الرؤف »^(٦) .

(1) Scholes, op. cit. p., 5.

(٢) التفعيلة الاسبوندية تتكون من مقطعين منبوريين ، وهي مخالفة لتفعيلة الإيامي التي تتكون من مقطعين غير منبور يليه مقطع منبور .

(3) op. cit. p. 74.

(4) Weil, Loc. cit.

(٥) د . مندور - المرجعان السابقان .

(٦) د . عوى عبد الرؤف : بدايات الشعر العربي بين الكم والكيف ، القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٣ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٨٤ .

والدكتور « عوى » يرى أن الشعر العربي في بعض مراحله كان نبرياً ، وأن نبريته هذه جاءت من انتثار بالشعر الأرامي النبري ، ولكنه تطور بعد ذلك حتى أصبح كمياً . ولكن به مع ذلك عنصراً : لا يستطيع الشاعر الملتزم بالفصحى أن يتحوّل عنه .

ويلاحظ على ذلك ما يأتي :

(أ) الوند لا يسلم من التغيير دائماً ، فيدخله ما يسميه العروضيون بالعلل الجارية مجرى الزحاف . وهي لا تختلف عن الزحاف إلا بانحصارها في الوند . ومن هذه العلل الجارية مجرى الزحاف : « التشعيث » ، وهو يحول « فاعلاتن » إلى « فالاتن » ، ويرد بكثرة في أضرب الخفيف والمجث (١) .

ومنها « الحزم » الذي يؤدي إلى حذف المقطع القصير في أول الوند .

ويرى « حازم » أن الوند قد يكون جزءاً من فاصلة ، أي أنه قد يتكون من المقطعين الثاني القصير والثالث الطويل في « متفاعِلن » ، وقد يتكون من المقطعين الأخيرين « مفاعِلتن » ، وعلى ذلك فزحافات : « الإضمار » و « العصب » و « الوقص » و « العقل » هي زحافات تدخل الوند (٢) .

(ب) من الأسباب مالا يدخله الزحاف ، فالسبب الثاني في « متفاعِلن » هو عند العروضيين - عدا حازم - سبب مستقل لا جزء من وند ، وهم لا يميزون أن يدخله الزحاف إلا إذا سُكِّنَ الثاني المتحرك ، أي إذا تحوّل المقطعان القصيران « مُتَد » إلى مقطع طويل (مُتَد) . أي أنهم لا يميزون في الكامل التفعيلة « مُتَفَعِلُنْ » ولكنهم يميزون « مُتَفَعِلُنْ » . والواقع أن التفعيلة الأخيرة لا توجد إلا في أمثلة العروضيين ، ولا نجدها في الأعمال الشعرية خارج كتب العروضيين . فمن الممكن أن نعدّ هذا السبب من الأسباب التي لا يمسّها الزحاف . والعروضيون

(١) يرى العروضيون أن « فَعْلُنْ » في المتدارك متحولة عن « فاعِلن » وهذا لا يقتصر على الضرب بل يمكن أن يدخل أية تفعيلة من تفاعيل البيت . ولكن واقع الشعر لا يؤيد كلام العروضيين في هذه النقطة ، لأن « فاعِلن » لا تجتمع مع (فَعْلُنْ) في قصيدة فنياً أعلم ، إلا في نماذج قليلة من الشعر الجديد (شعر التفعيلة) ، والمعروف أنه يخرج على كثير من قواعد العروض وتقاليده الشعر .

(٢) حازم - ص ٢٦٠

وقال « الجوهري » إن « المحدثين » قد أدخلوا الطي في « مستفعِلن » التي يعدها العروضيون « مستفعِلن » في كل من الخفيف والمجث وذكر مثالا لكل من البحرين . ومعنى هذا أن الوند قد زوحف إذا أخذنا بقول العروضيين إن هذه التفعيلة تتكون من سبب خفيف يليه وند مفروق يليه سبب خفيف . (الجوهري - ص ٨٥) .

أنفسهم يجعلون مزاحفة « متفاعلين » على هذا النحو - من الزحاف القبيح . ومثل ذلك يقال عن السبب الأخير في « مفاعلتين » .

ومن الأسباب التي لا تعرف الزحاف كذلك السبب الأخير في « مستفع لن » في كل من « الخفيف » و « المجتث » ، فهما أيضا لا يزاحفان في الشعر بالرغم من الأمثلة التي يوردها بعض العروضيين .

ولو صحت أمثلة العروضيين عن الزحاف في مثل هذه المواضع ، لكانت من الشذوذ بحيث لا يقاس عليها . والأصح أن تُعدّ نوعا من الاختلال . ويكفي لإظهار ذلك أن نقرأ هذا البيت الذي يمثلون به على كفت « مستفع لن » ، أى نحوها إلى « مستفع ل » في الخفيف :

يا عمير ما تظهر من هواك أو تجن يستكثر حين يسدو^(١)

أو هذا البيت الذي يمثل الزحاف نفسه في المجتث :

ما كان عطاؤهن إلا عدة ضمـار^(٢)

والسببان الخفيفان في « مفاعيلن » في الطويل « مثلا » بينهما معاقبة ، أى أن الزحاف إذا أصاب أحدهما فلا بد أن يبقى الآخر سالما . وقد يسلم السببان معا . ومثلهما كل سببين بينهما معاقبة . وقد ذكر « الدمنهورى » أنها تحلّ في تسعة أبحر : المجتث والرمل والمديد والهجز والخفيف والوافر والمنسرح والطويل^(٣) . أما المراقبة بين سببين فهي عند العروضيين أن يسلم أحد السببين يزاحف الآخر ، فلا يسلمان معا ولا يزاحفان معا ، كما في تفعيلة « المقتضب » : « مفعولات » ، والسببان هما « مف » و « عو » .

(١) للمصاحب بن عباد : السابق ص ٦٣ ، الجوهري : السابق ص ٨٣ ، ابن القطاع : السابق ص ١٨١ وفى روايات البيت اختلافات طفيفة .

(٢) صاحب : السابق ص ٦٩ ، الجوهري : السابق ص ٨٣ ، ابن القطاع : السابق ص ١٩٣ .

(٣) الدمنهورى - السابق - ص ٣١ .

وإذن فكثير من الأسباب يسلم من الزحاف كما يسلم منه كثير من الأوتاد ، وإن كانت السلامة في الأوتاد أكثر .

(ج) لو كان الوند جوهر الإيقاع أو محور الإيقاع في التفعيلة لُنْبِر جزء منه لما خلعت منه تفعيلة . ولكن بعض التفاعل يخلو من الوند ، مثل « مفعولن » في بعض أضرب الرجز والسريع والكامل ، و « فالاتن » (وهي مطابقة لـ « مفعولن ») في أضرب المجتث والخفيف ، وكلتا هما تتكون من ثلاثة مقاطع طويلة ، فليس فيهما وند مجموع أو مفروق . و « الخيب » في بعض تكويناته يتركب من « فعلن » و « فعلن » ، وقد يتركب بعض الأبيات من « فعلن » وحدها ، وهي خالية من الوند .

(د) وأهم رد على الفكرة أنّ سلامة الأوتاد من الزحاف — أو على الأصح سلامة كثير منها — لا تفسر بنبر جزء من الوند ، فأصحاب الفكرة أنفسهم يرون أن أحد المقطعين المكونين للوند هو الذي يكون منبورا ، فإذا كان النبر يفسّر سلامة هذا المقطع من الزحاف فهو لا يفسّر سلامة المقطع الآخر . وقد ألمح « د . شكرى عياد » إلى ذلك^(١) .

كيف نفسر إذن سلامة كثير من الأوتاد ؟

لعل السبب يرجع إلى عصور سحيقة القدم لم يصلنا من شعرها شيء ، ولعل الشعر في تلك العصور كان مختلفا عن الشعر الذى عرفناه بعد ذلك اختلافا جذريا ، فكانت هذه الظاهرة طبيعية في سياق خصائص ذلك الشعر ، ثم زالت العوامل التى أدّت إلى هذه الظاهرة دون زوال الظاهرة نفسها .

وليست هذه الظاهرة فريدة بين ظواهر اللغة ، فهناك ملامح كثيرة في النظم اللغوية لا يعرف لها تفسير . ولعلها ترجع أيضا إلى عوامل كانت قائمة في حقبة من

(١) وقد ترك « د . عياد » هذه المسألة بغير حسم ، فأثار الشك في تفسير سلامة الوند بالنبر ، ولكنه قال إن هذا التفسير أضاع جانبا من المشكلة على الأقل ، ثم تساءل عن سبب سلامة المقطع القصير في أول الوند ، هل ثمة علاقة بين نبر المقطع التالى وبين قصر هذا المقطع الأول ، أم أن العلاقة كمية صرف . (ص ٦١ ، ٦٢) .

تاريخ اللغة ثم بقيت بالرغم من زوال أسبابها . من ذلك على سبيل المثال : قواعد الإعراب ؛ كرفع الفاعل ونصب المفعول ، وصرف بعض الأسماء ومنع غيرها من الصرف ، والتذكير والتأنيث في الأسماء الدالة على كائنات غير حية ، لا توصف الآن بالذكورة الحقيقية أو الأنوثة الحقيقية .

فهل كان الشعر مثلاً يؤدَّى أو ينشد بأسلوب معين ، يعطى أهمية لمقاطع معينة ، ويجعلها مجالاً للترنم والتنغيم ومدّ الصوت ، فسلمت من الزحاف لهذا السبب ، ومن بينها « الأوتاد » التي لا تزاحف ، كما سُمِّيت فيها بعد ؟ على أية حال لا يملك المرء إلا هذا الفرض أو ذلك ، ولكن هذه الظاهرة لا يمكن أن تكون دليلاً على أساس نبري للشعر العربي .

د/٤

استند « قائل » إلى نظام الدوائر في العروض ليدلّل على أن للشعر العربي أساساً نبرياً ، إذ اعتقد أن الخليل قد أدرك هذا الأساس النبري ، وأدرك أن موضع النبر هو السبب الخفيف الذي هو جزء من الوجد ، ولكنه لم يستطيع أن يفصح عن إدراكه لأنه لم يعرف مصطلح النبر ، ولذلك وضع نظام الدوائر ليبين بها مواضع النبر ، وذلك لأن بعض التفاعل يمكن تحديد وتده بسهولة ، ويمكن — بناء على ذلك — تحديد موضع النبر في كل تفعيل منه (فعولن — مفاعيلن — مفاعلتن — مفعولات) ، والبعض الآخر يشير اللبس (فاعلن — مستفعلن — فاعلاتن — متفاعلن) . فالتفعيلة فعولن — مثلاً — تتكون من وتد (فعو) يليه سبب (لن) . أما فاعلاتن — مثلاً — فيمكن تقسيمها إلى وتد (فاع) يليه سببان (لا — تن) ، ويمكن تقسيمها إلى سبب (فا) يليه وتد (علا) يليه سبب (تن) . فقرن الخليل في الدائرة بين بحر واضح الوجد ، أي واضح النبر ، وبعض البحور التي يخفى فيها النبر لخشاء الوجد ، بحيث تنطبق العلامتان الدالتان على المقطع المنبور في البحر الأول على العلامتين الدالتين على المقطع المنبور فيما اقترن به من بحور . وبهذه الطريقة يتضح موضع النبر في التفعيلة المبهمة .

وحقيقة الدوائر يمكن أن نستنتجها من آثار الخليل وغيره من علماء اللغة . لقد اتبع معجم « العين » طريقة « التقاليب » لاستخراج كل ما يمكن تركيبه من « الحروف الأصلية » . فمثلا الحروف (ع . هـ . د) يمكن أن تتركب منها الألفاظ « ع هـ د » — « ع د هـ » « د هـ ع » — مستعملات ، والألفاظ « د ع هـ » — « هـ ع د » — « هـ د ع » — مهملات^(١) . وسواء أكان الخليل صاحب « العين » أو واضح منهجه^(٢) فقد اتبع الطريقة نفسها في تكوين الدوائر ؛ فالعناصر التي تقابل الحروف الأصلية هي الأسباب والأوتاد ، وهي في الدائر الثانية مثلا : (وتد — سبب ثقيل — سبب خفيف / وتد — سبب ثقيل / وتد — سبب خفيف / وتد — سبب ثقيل — سبب خفيف) . فإذا جعلناها على شكل دائرة وبدأنا من الوجد الأول تكون الوافر في صورته الدائرية (مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن) ، وإذا بدأنا من السبب الثقيل تكون الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) ، وإذا بدأنا من السبب الخفيف تكون بحر مهمل (فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك) . وقد عبر الزنجشري عن العلاقة بين بحور كل الدائرة بقوله : (ثم إن بعض هذه البحور يشابك بعضها ، بأن ينفك هذا عن هذا . ومثال ذلك أنك لو عمدت إلى الوافر فزحلقت وتده الواقع في صدر البيت إلى عجزه فقلت « علتن مفا ، علتن مفا ، علتن مفا ، علتن مفا ، علتن مفا ، علتن مفا » وجدت الكامل قد انفك عن الوافر . . . وهذه الدوائر تطلعك على كيفية الأمر في فك بعضها عن بعض)^(٣) أي بعض البحور . فالعلاقة التي توضحها الدائرة بين ماها من بحور أنها تتشابه في مكوناتها من الأسباب والأوتاد ، والتشابه تام بين البحور في صورها الدائرية ، أما صورها الواقعية فهي تتشابه إلى حد ما ، فالصورة الدائرية للوافر (مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن) تتكون من الوحدات التي تتكون منها الصورة الدائرية للكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) كما تقدم ، أما الصورة الواقعية المشهورة للوافر فهي (مفاعلتن مفاعلتن فعولن) ، وهي تشبه الكامل إلى حد ما ، لأن (مفاعلتن) تتكون من وتد وسبب ثقيل وسبب خفيف ، وكذلك (متفاعلن) مع اختلاف في الترتيب . أما فعولن فتختلف لأنها تتكون من وتد وسبب خفيف فقط .

(١) د . رمضان عبد التواب : فصول في فقه العربية — ص ٢٦٧ .

(٢) السابق — الموضع نفسه .

(٣) الزنجشري : السابق — ص ٥٠ ، ٥١ .

فإذا كان لهذه الدوائر هدف فهو بيان التشابه التركيبي بين بحور كل دائرة . أو أنها كانت طريقة لحصر الأوزان الممكنة سواء أكانت مستعملة أم مهملة .
أما تقديم بحر معين بين بحور الدائرة فلا يعنى ما ذكره « فايل » . ولا بن جنى تفسير آخر لذلك ؛ فهو يرى أن البحور التي قدّمت في الدوائر هي التي تبدأ بوترد ، لأنه أقوى من السبب . ويستثنى من ذلك دائرة المشتبه ، وقد كان « القياس » في هذه الدائرة — كما قال — تقديم المضارع ، لأن أوله وترد ، ولكنهم ، تركوا القياس وقدموا « السريع » ، لأن مفاعيلن في المضارع لا تحيى قط سالة^(١) ، ولعل المقصود بقوة الوترد أنه لا يزاحف .

٤/هـ

قارن « د . مندور » بين الخزم في (أمن آل مية رائج أو معتدى) والخزم في (أمن الأحلام إذ صحبى نيام)^(٢) ، وأحس أن الخزم في الشطر الأول مقبول وفي الثاني غير مقبول وفي الثاني غير مقبول . وفسر قبوله في الأول بأن إضافة الهمزة المفتوحة إلى الشطر الأول نقل النبر من المقطع (آ) إلى المقطع (من) ، فصار المقطع الطويل (آ) قصيرا ، وأصبحت التفعيلة الأولى (أمن آل مية) بدلا من (أمن آل مية) . أى أن انتقال النبر قد أدى إلى تقصير مقطع طويل ، فجعل الخزم مقبولا . ويقول إن تقصير المقطع الذى (يغادره النبر) هو تمشّ مع (ما يشبه الاتجاه اللغوى) في لغتنا العامية ، وهو تقصير المقطع الطويل عندما يغادره النبر كما في « مسير » و « مفتح » .

أما في الشطر الآخر (أمن الأحلام إذ صحبى نيام) فالنبر قبل دخول « أ » يقع على المقطع « نل » (جزء من التركيب : من الأحلام) ، ولم ينتقل النبر إلى مقطع سابق بعد دخول (أ) لأن النبر لا يكون إلا على مقطع طويل كما يقول « د . مندور » ، وليس قبل « نل » مقطع طويل . ويستنتج من ذلك أن الشعر العربى نبرى فهو أقرب إلى الشعر الإنجليزى أو الألمانى منه إلى اللاتينى واليونانى^(٣) .

(١) ابن جنى (أبو الفتح عثمان) : كتاب العروض (تحقيق د . حسن شاذل لرهود) مطابع دار القلم — بيروت — ١٩٧٢ — ص ٤٢ ، ٥٨ ، ١٧٥ ، ١٠٠ .

(٢) الخزم هنا هو إضافة المقطع (أ) في أول كل من الشطرين .

(٣) د . محمد مندور : المرجعان السابقان . ويلاحظ أنه في الموضعين المذكورين لم يبلغ دور الكم ، فالشعر العربى عنده نبرى كمى ، ولعله حين وصفه بأنه نبرى كان يقصد رجحان النبر على الكم . والمصطلح

ويُرد على ما قاله « د . مندور » بما يلي :

(أ) إحساسه بأن الخزم في أحد الشطرين مقبول وفي الآخر غير مقبول هو إحساس ذاق . والشائع بين العروضيين أن الخزم قبيح ، بل قال « صاحب » إن الزيادة التي تأتي نتيجة الخزم لا يعتد بها في الوزن ، فهو لا يستقيم إلا إذا حذفت الزيادة^(١) . وقال « حازم » إن هذه الزيادات لم تكن العرب تعدها من متون الأوزان ، وإنما توطئات وتمهيدات ووصلا لإنشاء البيوت وبناء عباراتها عليها ، وإن كانت متميزة في التقدير والإيراد عنها بأزمنة قصيرة قد تخفى على السامع ، فيظن أنهم قد جعلوها من متون الأبيات^(٢) . ويبدو أن الشعراء مع العروضيين في موقفهم من « الخزم » ، فقد انقرض من الشعر — أو كاد — منذ عهد بعيد .

(ب) وتحديد « د . مندور » لمواضع النبر في الشطر الأول مسألة فيها نظر ، فبدون المقطع الزائد (أ) يكون المقطع (مِن) بغير نبر ويكون المقطع (آ) منبورا ، فإذا أضيف المقطع (أ) فالأرجح أن يكون النبر على هذا المقطع المضاف ، وأن يكون المقطع « مِن » بغير نبر . وهذا ما نجده في الأداء المصرى المعاصر على الأقل ، إن لم يكن كذلك في كثير من اللهجات العربية أيضا .

وفي الشطر الثاني بغير المقطع المضاف يكون النبر على المقطع (مِ) وليس « نَلْ » .

(ج) والنبر ليس ملازما للمقطع الطويل كما يقول « د . مندور » ، لا في العربية ولا في الإنجليزية ، ففي كلمة « هُنا » قد يقع النبر على المقطع القصير « هـ » ، وفي كلمة other يقع النبر على المقطع الأول القصير . والأمثلة على هذا وذلك لا تحصى .

(د) أن انتقال النبر قد يؤدي إلى تقصير مقطع طويل في بعض الصيغ في العمامة المصرية إلى حد تحويل المقطع الطويل إلى قصير ، كالمثالين اللذين ذكرهما « د . مندور » ولكن لا يكون ذلك في العربية الفصحى ، بل يُعدّ خطأ أن تُحوّل « مسامير » إلى « مسمير » ، وأن تُحوّل (آل مِية) إلى (آل مِية) .

الذي يستعمله « د . مندور » للدلالة على « النبر » هو « الارتكاز » .
(١) صاحب : السابق ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) حازم — السابق — ص ٢٦٣ .

(: وحتى لو أخذنا برأى الكاتب في تجديده لمواضع النبر وتقصير المقطع الطويل ،
فالتفعيلة الأولى في الشطر الأول ستكون (٧ - ٧٧ -) = مفاعلتن ، وهي لا تقبل في بيت
من الكامل .

٤/و

لاحظ « د . أبو ديب » أن بعض العروضيين القدماء قد نسب أبياتا إلى بحر السريع
منها :

يا صاحبي رحلي أقلأ عذلي

ونسب بيتا آخر مطابقا له في التركيب المقطعي (أى في الوزن بمعناه الكمّي) إلى بحر
الرجز . وهذا البيت هو :

قلب بلوعات الهوى معمود

ويستنتج من هذا أن الذي فُرق بينهما هو الاختلاف في النبر بين المثالين ، وكذلك بين
البحرين^(١) .

وليس هذا التركيب الوزني هو الوحيد الذي يمكن أن ينسب إلى بحرین ، فالمعروف
مثلا - أن البيت المكون من ست تفاعيل ، كل منها على وزن (مستعلن) ، يمكن أن يُعدّ
من الرجز أو من الكامل ، ولا سبيل لحسم هذه النسبة إلا أن يكون في القصيدة تفعيلة أو
تفاعيل آخر ترد في أحد البحرين ولا ترد في الآخر ، فإذا وُجدت في القصيدة « متفاعلتن »
فهى من الكامل ، وإذا وجدت « متعلن » فهى الرجز ، وكذلك مجزوء الوافر والهزج .

وبعض التراكييب الوزنية يمكن نسبتها إلى بحرین ، ولا يمكن أن تحسم هذه النسبة كما
تحسم في حالة الرجز والكامل ، وفي هذه الحالة ينسبها العروض لهذا البحر أو ذلك .
وسبب هذه النسبة - إن كان لها سبب - لا يرجع إلى النبر أو الكم أو أى عنصر له علاقة
بأساس الوزن . فمؤلف « الكافي » : « أحمد بن شعيب القنائي » ينسب (يا صاحبي

(١) د . كمال أبو ديب ، السابق ص ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٤٩٥ .

رحلى أقلّاً عدلى) إلى السريع ، ويعلقُ الدمنهورى على ذلك بقوله (فإن قلت : لم جعل المصنّف هذا البيت من السريع المشطور مع أنه يجوز أن يكون من الرجز ودخل على ضربه القطع ، أجيب بأنه جعله من الأول لوجود المرجح ، وهو ارتكاب الأخف ، وذلك لأنه يلزم على جعله من مشطور الرجز تغييران : حذف السابع الساكن ، وإسكان ما قبله ، ويلزم على جعله من مشطور السريع تغيير واحد ، وهو حذف السابع المتحرك^(١) .

فقول الدمنهورى يوضّح جواز نسبة هذا البيت إلى أى من البحرين ، أمّا إثبات أحد البحرين فيرجع إلى سبب نظرى خالص .

وقد نسب بعض العروضيين هذا البيت إلى الرجز^(٢) .

ولو أن نسبته لبحر معين ترجع إلى خصائص نبرية أساسية لما اختلفت في نسبته .

بل إن « د . أبو ديب » نفسه رأى أن يخالف الخليل في نسبة هذا البيت ، فنسبه إلى الرجز لا إلى السريع (تخلفاً من التعقيد) بالرغم من احتمال كون الخليل نسبة إلى السريع بسبب سماعه يشهد بطريقة معينة ، كما قال . ومرة أخرى لو أن به خصائص نبرية ثابتة تلحقه بأحد البحرين ما نسب إلى هذا البحر مرة وإلى ذلك مرة ! فإذا كانت النسبة ترجع إلى طريقة في الإنشاد فما من طريقة في الإنشاد يمكن أن تكون ركناً أساسياً في وزن الشعر إذا كان من الممكن أن تستبدل بها طريقة أخرى . ولابد أن في الشعر خصائص أساسية لا تتغير مهما تغيرت أساليب الإنشاء — أو على الأصح — أساليب الأداء . والحقيقة أن هذا البيت وما مثله يمكن أن ينسب إلى أحد البحرين وهو محتفظ بخصائصه الوزنية الأساسية دون أن يتغير فيها شيء بتغير أسلوب الأداء ، وهذه الخصائص الأساسية تقوم على عدد المقاطع وكمّها وترتيبها .

٤/ز

كثيراً ما يسمع المرء أو يقرأ — في سياق نثرى — عبارات منظومة كمياً فلا ينتبه لما فيها من وزن ، وقد دعا ذلك بعض الدارسين إلى البحث عن عنصر آخر غير الوزن (بمعناه

(١) الدمنهورى : السابق — ص ٥٨

(٢) الدمايقي : العيون الغامرة على خبايا الرامزة (تحقيق : الحسان حسن عهد الله) — القاهرة —

الكمي (. وقد شغلت هذه الفكرة « د . أنيس » منذ أصدر كتابه « موسيقى الشعر » ثم عاد إليها بعد زمن طويل في مقال بمجلة « الشعر » . افترض « د . أنيس » أن « الإيقاع » في الشعر هو الذي يميزه عن النثر حين يتفان في الوزن (بمعناه الكمي) ، وكأنه عامل أساسي في موسيقى الشعر . و « الإيقاع » عند « د . أنيس » هو نغمة صاعدة في مقطع منبور من المقاطع التي تتوسط الشطر ، وهذه النغمة بمثابة الركيزة للشطر ، تنقله من مجال النثر إلى مجال الشعر . والقاعدة التي يتحدد بها موضع هذا « الإيقاع » هي :

يتراوح الإيقاع بين ثلاثة من المقاطع في وسط الشطر ، ويقع على واحد منها بشرط أن يكون مقطعا طويلا ، وبشرط ألا يكون في نهاية كلمة ، وألا يحتوي على اللام التي هي جزء من أداة التعريف . ويتحدد موضعه حينئذ باختيار أحد هذه المقاطع على أساس الترتيب التالي :

(أ) إذا اشتملت المقاطع الثلاثة على ألف مدّ كان الإيقاع على مقطعيها ، أما إذا اشتملت على ألفي مدّ ، أثر الإيقاع مقطع الألف الثانية .

(ب) إذا اشتملت هذه المقاطع على مدّ غير الألف (ياء أو واو) كان الإيقاع على مقطعه . وفي حالة اشتغالها على حرف مدّ ، يؤثر الإيقاع الثاني منها .

(جـ) إذا لم تشتمل المقاطع الثلاثة على حرف مدّ كان الإيقاع على المقطع الذي استوفي الشروط الآتية . فإن وجد مقطعان مستوفيان لها ، كان الإيقاع على الثاني منها^(١) .

وأهم نقد يوجه إلى هذه الفكرة أن هذا « الإيقاع » ليس شرطا أساسيا في أداء الشعر ، فكثيرا ما نسمع الشعر يؤدي بغير هذا الإيقاع .

وعند وجود نغمة صاعدة في الشطر قد لا تكون في الموضع الذي حدّده « د . أنيس » ، بل يختلف هذا الموضع باختلاف أسلوب الأداء . ثم إن كثيرا من الشطور يخلو من مقطع واحد تنطبق عليه الشروط التي ذكرها « د . أنيس » ؛ ففي هذا الشطر مثلا : (أرق على أرق ومثل يارق) ، نجد المقاطع التي تتوسط أربعة (لا ثلاثة كما يريد « د . أنيس »)

(١) د . إبراهيم أنيس : مجلة « الشعر » - القاهرة - أبريل ١٩٧٦ م وقد ناقشت هذه الفكرة في « النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد » ص ٢٨ وما بعدها .

الأمثلة التي جاءت على وزن بيت يلتحم فيها الشطران دون وقفة ، تبعا للطريقة المتبعة في قراءة النثر . وهذا وذلك يساعدان على خفاء النظم .

١/٥

أكثر ما كتب عن الأساس الايقاعى للشعر العربى انحصر فى دائرة الجدل النظرى . ثم إنه تركّز على الشعر كما كان يؤديه القدماء ، أو لم يفرق بين أداء القدماء وأداء المعاصرين . وأداء القدماء لم يُسجَل تسجيلًا وافيًا ، ولذا جهلنا بعض خصائصه الصوتية كالنبر والتنغيم . وأكثر ما قيل عنها فى أداء القدماء هو استنتاج غير مؤكد . وأفضل الطرق لدراسة موسيقى الشعر ، وأقصر الطرق أيضا ، أن تكون الدراسة من خلال أداء المعاصرين ، فهو المادة التي تقع فى متناول الباحث ، فلا يُضطر إلى الخدس أو ما يشبه الرجم بالغيب .

وقد حاولت أن أقوم بدراسة استقرائية لعدد من النصوص بعد أن سجلتها تسجيلًا صوتيًا ، تهدف إلى :

١ - تتبع مواقع النبر لمعرفة مدى انتظامها على مستوى البيت أو الشطر أو التفعيلة ، ومدى ارتباط النبر بالمقطع الطويل الذى هو جزء من الودد .

٢ - تتبع مواقع النغمة الصاعدة لمعرفة مدى انتظامها ، ومدى خضوعها للقواعد التي حددها « د . أنيس » .

٣ - تبين أوجه الشبه والخلاف بين أداء الشعر وأداء النثر .

ولإجراء هذه الدراسة اخترت نماذج من نصوص شعرية أذيعت من إذاعات القاهرة بأصوات عدد من المذيعين المصريين ، وسجلت هذه النصوص صوتيًا على شريط « كاسيت » احتفظت به للرجوع إليه عند الحاجة .

وبهذه الطريقة تجنبت الاعتماد على تصويرى الخاص لطريقة أداء الشعر ، والتأثر بوجهة نظرى فى القضية إذا أدّيت النصوص الشعرية بنفسى ، أو إذا اكتفيت بنصوص

الأمثلة التي جاءت على وزن بيت يلتحم فيها الشطران دون وقفة ، تبعا للطريقة المتبعة في قراءة النثر . وهذا وذلك يساعدان على إخفاء النظم .

١/٥

أكثر ما كتب عن الأساس الايقاعى للشعر العربى انحصر فى دائرة الجدل النظرى . ثم إنه تركّز على الشعر كما كان يؤديه القدماء ، أو لم يفرق بين أداء القدماء وأداء المعاصرين . وأداء القدماء لم يُسجَل تسجيلًا وافيا ، ولذا جهلنا بعض خصائصه الصوتية كالنبر والتنغيم . وأكثر ما قيل عنها فى أداء القدماء هو استنتاج غير مؤكد . وأفضل الطرق لدراسة موسيقى الشعر ، وأقصر الطرق أيضا ، أن تكون الدراسة من خلال أداء المعاصرين ، فهو المادة التي تقع فى متناول الباحث ، فلا يُضطر إلى الحدس أو ما يشبه الرجم بالغيب .

وقد حاولت أن أقوم بدراسة استقرائية لعدد من النصوص بعد أن سجلتها تسجيلًا صوتيًا ، تهدف إلى :

١ - تتبع مواقع النبر لمعرفة مدى انتظامها على مستوى البيت أو الشطر أو التفعيلة ، ومدى ارتباط النبر بالمقطع الطويل الذى هو جزء من الودد .

٢ - تتبع مواقع النغمة الصاعدة لمعرفة مدى انتظامها ، ومدى خضوعها للقواعد التي حددها « د . أنيس » .

٣ - تبين أوجه الشبه والخلاف بين أداء الشعر وأداء النثر .

ولإجراء هذه الدراسة اخترت نماذج من نصوص شعرية أذيعت من إذاعات القاهرة بأصوات عدد من المذيعين المصريين ، وسجلت هذه النصوص صوتيًا على شريط « كاسيت » احتفظت به للرجوع إليه عند الحاجة .

وبهذه الطريقة تجنبت الاعتماد على تصورى الخاص لطريقة أداء الشعر ، والتأثر بوجهة نظرى فى القضية إذا أدّيت النصوص الشعرية بنفسى ، أو إذا اكتفيت بنصوص

مكتوبة^(١) . وتجنب كذلك أى أسلوب فى الأداء قد يكون شاذاً أو شخصياً أو قليل الانتشار ، فلا شك أن أداء المديعين بإذاعات القاهرة يمثل الأداء المقبول عند القاهريين المعاصرين ، بل عند عامة المصريين المعاصرين ، أو معظمهم . وقد راعيت فى اختيار النصوص :

١ - تعدد الأصوات المؤدية لتجنب ما قد يكون أسلوبيا شخصيا فى الأداء .

٢ - تعدد البحور .

٣ - الجمع بين الشكل القديم (العمودى) والشكل الجديد (شعر التفعيلة) .

وفىما يلى النصوص المختارة ، كل نص على حدة . وقد كتبت كل بيت بالطريقة المألوفة ، ثم كتبته مقسما إلى تفاعيل تبعا للتقسيمات المعروفة عند العروضيين^(٢) ، ووضعت فواصل بين التفاعيل ، ويلي ذلك علامات تدل على مقاطع البيت ونوع كل مقطع ، مع تقسيمها أيضا إلى مجموعات تدل كل منها على تفعيلة . واستعملت العلامة « - » لتدل على المقطع الطويل ، والعلامة « ٧ » لتدل على المقطع القصير ، وجعلت تحت كل مقطع منبور علامة تدل على النبر هى « ↑ » ، ووضعت دائرة حول كل علامة تدل على مقطع يعدّه العروضيون جزءا من الوند (وهو عندهم يتكون من متحرك وساكن) ، ويلي ذلك رقمان بينهما العلامة « : » ، للدلالة على النسبة بين عدد المقاطع المنبورة التى تُعدّ أجزاء من أوتاد ، وعدد المقاطع المنبورة دون أن تكون أجزاء من أوتاد .

(١) قام « د . عباد » بمحاولة لتتبع النبر فى أبيات قلائل من قصيدة « المعرى » : (غير مجدى فى ملقى واعتقادي) ، ولكنه لم يعتمد على نموذج صوتى ، ولم يعتمد على سمعه ، بل اتبع قواعد « د . أنيس » . فطبقها على ستة أبيات من القصيدة ، ثم ضم إليها قواعد المستشرق « جويار » ، وطبق النظامين معاً على بيتين من القصيدة نفسها . (ص ٥٠ ، ٨٦)

ولكننى حاولت فى استقراي لهذه المجموعة من النصوص أن أستمع الى النماذج نفسها ، وأن لاحظ ما فيها من خصائص صوتية ، دون تطبيق أى قواعد معروفة سلفا ، بل دون تأثر بأى أفكار مسبقة . أى أنه ، وصفت ما سمعته ولاحظته فعلا ، سواء أكان موافقا أو مخالفا لأية نظرية فى النبر أو التنعيم أو فى أوزان الشعر .

(٢) حاولت أن أحافظ على شكل الكلمة بقدر الإمكان ، ولم أكتب الأبيات كتابة عروضية حتى تسهل قراءتها .

٥/ب

● النص الأول : نحو المجد - للشاعر « إبراهيم ناجي » - الكامل (٢) .

- ١ - يا أم من تستصرخين من الذى قدح اللظى الموار فى عينيك
يا أم من/تستصرخين/ن من الذى قدح اللظى الد/موار فى/عينيك
⊖ ٧ - ٧٧ / ⊖ ٧ - ٧٧ ⊖ ٧ - ٧٧ / ⊖ ٧ - ٧٧
↑ ↑ ↑ ↑
٦ : ١
- ٢ - يا أم هل تمشين نحو النار أم فتح الوغى ومشى الجحيم إليك
يا أم هل/تمشين نحو/والنار أم فتح الوغى/ومشى الجحيم/م إليك
⊖ ٧ - ٧٧ / ⊖ ٧ - ٧٧ ⊖ ٧ - ٧٧ / ⊖ ٧ - ٧٧
↑ ↑ ↑ ↑
٧ : ٢
- ٣ - ما حلّ بالحرية الحمراء هل سال الدم القانى على قدميك
ما حل بال/حرية الد/حمراء هل سال الدم الد/قانى على/قدميك
⊖ ٧ - ٧٧ / ⊖ ٧ - ٧٧ ⊖ ٧ - ٧٧ / ⊖ ٧ - ٧٧
↑ ↑ ↑ ↑
صفر : ٨
- ٤ - يا ويلها من صرخة مجنونة ضجت لها الآفاق من شفتيك
يا ويلها/من صرخة/مجنونة ضجت لها الد/آفاق من /شفتيك
⊖ ٧ - ٧٧ / ⊖ ٧ - ٧٧ ⊖ ٧ - ٧٧ / ⊖ ٧ - ٧٧
↑ ↑ ↑ ↑
صفر : ٧
- ٥ - لا تجزعى يوم الفداء فكلنا مهج تخلق كالنسور عليك
لا تجزعى/يوم الفداء/ء فكلنا مهج تخلق كالنسور/عليك
⊖ ٧ - ٧٧ / ⊖ ٧ - ٧٧ ⊖ ٧ - ٧٧ / ⊖ ٧ - ٧٧
↑ ↑ ↑ ↑
٦ : ٢٠

(١) برنامج « لغتنا الجميلة » - يعده ويقدمه « فاروق شوشة » - إذاعة البرنامج العام - ١٠/١٩٨٧ م

وتسمعى كم قائل لبيك
وتسمعى / كم قائل / لبيك
- - / \ominus \vee - - / \ominus \vee - $\vee\vee$
 \uparrow \uparrow \uparrow
صفر : ٧

وتجمع الأشبال بين يديك
وتجمع الـ / أشبال بيـ / ن يديك
- - $\vee\vee$ / \ominus \vee - - / \ominus \vee - $\vee\vee$
 \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow
٧ : ٢

جعل الشموس الزهر في كفيك
جعل الشموس / س الزهر في / كفيك
- - / \ominus \vee - - / \ominus \vee - $\vee\vee$
 \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow
٨ : ١

والشهب والأقمار في نعليك
والشهب والـ / أقمار في / نعليك
- - / \ominus \vee - - / \ominus \vee - -
 \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow
صفر : ٨

مهج تحلق كالنصور عليك

٦ - فتلفتى تجدى عرينك عامرا
فتلفتى / تجدى عريد / نك عامرا
 \ominus \vee - $\vee\vee$ / \ominus \vee - $\vee\vee$ / \ominus \vee - $\vee\vee$
 \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow

٧ - وقف الشباب فداء محراب الحمى
وقف الشباب فداء محـ / راب الحمى
 \ominus \vee - - / \ominus \vee - $\vee\vee$ / \ominus \vee - $\vee\vee$
 \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow

٨ - والصقر تاجك تاج فرعون الذى
والصقر تا / جك تاج / عون الذى
 \ominus \vee - - / \ominus \vee - $\vee\vee$ / \ominus \vee - -
 \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow

٩ - والمجد تاجك والسمالك موطن
والمجد تا / جك والسما / لك موطن
 \ominus \vee - $\vee\vee$ / \ominus \vee - $\vee\vee$ / \ominus \vee - -
 \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow

١٠ - لا تجزعى يوم الفداء فكلنا

(تكرار للبيت الخامس)

٦ : ٢

وتسمعى كم قائل لبيك

١١ - فتلفتى تجدى عرينك عامرا

١ تكرار للبيت السادس)

صفر : ٧

وعظائم الأجيال في تاجيك
وعظائم الـ / اجيال في / تاجيك
- - / \ominus \vee - - / \ominus \vee - $\vee\vee$
 \uparrow \uparrow \uparrow
صفر : ٨

١٢ - يا مصر أنت الكون والدينا معا
يا مصر أنـ / ت الكون والـ / دينا معا
 \ominus \vee - - / \ominus \vee - - / \ominus \vee - -
 \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow

$\begin{array}{cccccccc} - & \ominus & \vee/\vee & \ominus & \vee/- & \ominus & \vee/- & \ominus & \vee \\ \uparrow & & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & & & \uparrow \end{array}$
 $\begin{array}{cccccccc} - & \vee & \ominus & \vee/\vee & \ominus & \vee/- & \ominus & \vee/\vee & \ominus & \vee \\ \uparrow & & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٥ : ٤

● النص الرابع : من شعر « محمد بن أحمد بن قلاذم »^(١) الخفيف

١ - لم أبج باسمه لأنى ضنين باسمه أن تذيله الأفواه
 لم أبج باسمه لأنى ضنين باسمه أن تذيله الـ/أفواه
 $\begin{array}{cccccccc} - & \ominus & \vee & - & / & \ominus & \vee & - \\ \uparrow & & \uparrow & \uparrow & & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$
 $\begin{array}{cccccccc} - & \ominus & \vee & - & / & \ominus & \vee & - \\ \uparrow & & \uparrow & \uparrow & & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٥ : ٢

٢ - أنا من خاطرى أغار عليه عند ذكرى له فكيف سواه
 أنا من خاطرى أغار عليه عند ذكرى له فكيف ف سواه
 $\begin{array}{cccccccc} - & \ominus & \vee \vee & / & \ominus & \vee & - & \ominus & \vee & - \\ \uparrow & & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$
 $\begin{array}{cccccccc} - & \ominus & \vee \vee & / & \ominus & \vee & - & \ominus & \vee \vee \\ \uparrow & & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٥ : ٤

٣ - ساء ظنى لفرط غيرة قلبى مع علمى عفاف من أهواه
 ساء ظنى لفرط غيرة قلبى مع علمى عفاف من أهواه
 $\begin{array}{cccccccc} - & \ominus & \vee \vee & / & \ominus & \vee & - & \ominus & \vee \vee \\ \uparrow & & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$
 $\begin{array}{cccccccc} - & \ominus & \vee \vee & / & \ominus & \vee & - & \ominus & \vee \vee \\ \uparrow & & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٦ : ٣

٤ - وإذا ما سمعت من يتشكى حرقه خلّت أنها شكواه
 وإذا ما سمعت من يتشكى حرقه خلّت أنها شكواه
 $\begin{array}{cccccccc} - & \ominus & \vee \vee & / & \ominus & \vee & - & \ominus & \vee & - \\ \uparrow & & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$
 $\begin{array}{cccccccc} - & \ominus & \vee \vee & / & \ominus & \vee & - & \ominus & \vee & - \\ \uparrow & & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٦ : ١

● النص الخامس : من شعر « عيسى بن جوشن »^(٢) البسيط

١ - أذاع سافح دمع العين حين همى من الجوانح سرا كان مكتتبا

(١) قطوف الأدب - ١٩٨٧/١٠/٣١ م

(٢) قطوف الأدب - ١٩٨٧/١٠/٣١ م

أذاع سا/فح دم/ع العين حيه/ن همي
 من الجوا/نح سير/را كان مك/تتما
 $\ominus \vee \vee / \ominus \vee - - / \ominus \vee \vee / \ominus \vee - \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$
 ٧ : ٤

٢ - لا تحسبي أنه سرّ بذلت به
 ولا فتح/ت به/للكاشحين فيها
 لا تحسبي/أنه/سر بذلت به
 ولا فتح/ت به/للكاشحين فيها
 $\ominus \vee \vee / \ominus \vee - - / \ominus \vee \vee / \ominus \vee - \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$
 ٧ : ٣

٣ - لا عواصى دموع لا تطاوعنى
 لولا عواصى دموع لا تطاوعنى
 ما ذاع سرّك عندى ، لا ولا علما
 ما ذاع سر/رك عندى لا ولا علما
 $\ominus \vee \vee / \ominus \vee - - / \ominus \vee \vee / \ominus \vee - -$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$
 ٧ : ٣

٤ - لو لم يذى الحب أن ييدى سرائر ما
 لو لم يذى الحب أن ييدى سرائر ما
 يهوى ومن صائها حفظا فقد كرمها
 يهوى ومن صائها/حفظا فقد كرمها
 $\ominus \vee \vee / \ominus \vee - - / \ominus \vee - / \ominus \vee - -$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$
 ٩ : ٣

٥ - سبجيتى أننى أرعى ودائعكم
 سبجيتى/أننى/أرعى ودائعكم
 وأحفظ العهد منكم كلما قدما
 وأحفظ العهد منكم/كلما/قدما
 $\ominus \vee \vee / \ominus \vee - - / \ominus \vee - / \ominus \vee - \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$
 ٨ : ١

٦ - وأنى أمنيح الواشى بكم أذنا
 وأنى/أمنيح الواشى بكم/أذنا
 معارة فيكم عن قوله صمّا
 معارة/فيكم/عن قوله صمّا
 $\ominus \vee \vee / \ominus \vee - - / \ominus \vee - / \ominus \vee - \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$
 ٩ : صفر

● النص السادس : من شعر فاتك الشهواجي^(١) الرجز

- ١ - رسالة من كلف الفؤاد / رسالة/ من كلف الـ/ فؤاد

$$\begin{array}{c} \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - \vee \\ \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$
 صفر : ٦
- ٢ - أجفانه وقف على الشهاد / أجفانه/ وقف على الشـ/ شهاد

$$\begin{array}{c} \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - \vee \\ \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$
 ٧ : ١
- ٣ - إلى الذي مما لقيت خالي / إلى الذي/ مما لقيـ/ت خالي

$$\begin{array}{c} \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - \vee \\ \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$
 ٧ : ٢
- ٤ - يريد هجرى ويرى مطالي / يريد هجـ/رى ويرى/ مطالي

$$\begin{array}{c} \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - \vee \\ \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$
 ٦ : ٣
- ٥ - يا غصن بان مخجل الأغصان / يا غصن باـ/ن مخجل/ الأغصان

$$\begin{array}{c} \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - \vee \\ \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$
 ٥ : ٢

(١) قطوف الأدب - ٣١/١٠/١٩٨٧ م .

والتفعيلة الأخيرة في أكثر الأبيات ليس بها وتد ، لأنها - كما يقولون - مشتقة من « مستعملن » ، تعرض
 وتندعا لنوع من الملل أدى إلى حلف الساكن الأخير وتسكين ما قبله ، فتحولت الوحدة (ه//) الى
 (ه/) . أما الوحدة التي ترد في أوائل كثير من الأضرب (ه//) فهي عندهم ليست وتدا ، لأن أصلها
 (ه/ه/) ثم تحولت بالزحاف الى هذه الصورة .

يا ذا الذى بطرفه سباني

يا ذا الذى/بطرفه/سباني

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ - & \bar{\bar{v}} & / & \ominus & \bar{v} & - & \bar{v} / \ominus \bar{v} - - \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

صفر : ٨

يا من يجلّ الوصف عند وصفه

يا من يجلّ/لُ الوصف عند/د وصفه

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ \ominus & \bar{v} & - & \bar{v} / & \ominus & \bar{v} - - / & \ominus \bar{v} - - \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٢ : ٧

ارحم محبا قد دنا من حتفه

ارحم محب/با قد دنا/من حتفه

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ \ominus & \bar{v} & - - / & \ominus & \bar{v} & - - / & \ominus \bar{v} - - \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

١ : ٦

ألبسته ثوبا فما تملى

ألبسته/ثوبا فما/تملى

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ - & \bar{\bar{v}} & / & \ominus & \bar{v} & - - / & \ominus \bar{v} - - \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٢ : ٦

يا بدر تمّ فى السما تجلّى

يا بدر تمّ/م فى السما/تجلّى

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ - & \bar{\bar{v}} & / & \ominus & \bar{v} & - - / & \ominus \bar{v} - - \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٢ : ٦

ولست أرضى بقييح الفعل

ولست أر/ضى بقيح/ح الفعل

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ - & \bar{\bar{v}} & - / & \ominus & \bar{v} \bar{v} - / & \ominus & \bar{v} - \bar{v} \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٣ : ٥

فاقطع وصالى أو فجحد بالفضل

فاقطع وصا/لى أو فجحد/بالفضل

٦- يا قمرا ما إن له مدان

يا قمرا/ما إن له/مدان

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ - & \bar{\bar{v}} & / & \ominus & \bar{v} & - & \bar{v} \bar{v} - / \ominus \bar{v} - \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٧- يا ذا الذى يملكنى بطرفه

يا ذا الذى/يملكنى/بطرفه

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ \ominus & \bar{v} & - & \bar{v} / & \ominus & \bar{v} \bar{v} - / & \ominus \bar{v} - - \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٨- يا قاتلى بوعدده وخلفه

يا قاتلى/بوعدده/وخلفه

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ \ominus & \bar{v} & - & \bar{v} / & \ominus & \bar{v} & - \bar{v} / \ominus \bar{v} - - \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

٩- ارحم عزيزا فى هواك ذلاً

ارحم عزيز/زا فى هوا/ك ذلاً

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ - & \bar{\bar{v}} & / & \ominus & \bar{v} & - - / & \ominus \bar{v} - - \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

١٠- قطعته العدال فيك عدلاً

قطعته ال/عدال في/ك عدلاً

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ - & \bar{\bar{v}} & / & \ominus & \bar{v} & - - / & \ominus \bar{v} \bar{v} - - \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

١١ لم يرض بالذلّة غير نذل

لم يرض بالذلّ/ذلة غي/رنذل

$\begin{array}{ccccccc} & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \\ - & \bar{\bar{v}} & - & \bar{v} / & \ominus & \bar{v} \bar{v} - / & \ominus \bar{v} - - \\ & \uparrow & & \uparrow & & \uparrow & \uparrow \end{array}$

١٢- إني أرى من دون هذا قتلى

إني أرى/من دون هـ/ذا قتلى

- - / ⊖ √ - - / ⊖ √ - - / ⊖ √ - - / ⊖ √
 ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑
 ٦ : ٣

● النص السابع : سليمان والهدهد - للشاعر « أحمد شوقي »^(١) الرمل

١ - وقف الهدهد في باب سليمان بذلة

وقف الهدهد في باب سليمان بذلة

- ⊖ √ / - ⊖ √ / - ⊖ √ / - ⊖ √
 ↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ١

٢ - قال يامولاي كن لي عيشتي صارت عملة

قال يامولاي كن لي عيشتي صارت عملة

- ⊖ √ - / - ⊖ √ - - ⊖ √ / - ⊖ √
 ↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

٣ - مت من حبة بُرُّ أحدثت في الصدر غلة

مت من حبة بر أحدثت في الصدر غلة

- ⊖ √ - / - ⊖ √ - - ⊖ √ / - ⊖ √
 ↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

٤ - لامياه النيل ترويهها ولا أمواه دجلة

لامياه النيل ترويهها ولا أمواه دجلة

- ⊖ √ - / - ⊖ √ - - ⊖ √ / - ⊖ √
 ↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

٥ - وإذا دامت قليلا قتلتني شر قتلة

وإذا دا مت قليلا قتلتني شر قتلة

- ⊖ √ - / - ⊖ √ - - ⊖ √ / - ⊖ √
 ↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٣ : ٣

(١) برنامج لغتنا الجميلة - يعده ويقدمه : « فاروق شوشة » - إذاعة البرنامج العام - ١٩٨٧/١٠/٥

٦ - فأشار السيد العالى إلى من كان حوله
فأشار السـ/سيد العالـ/لى إلى من/كان حوله

$\ominus \vee \ominus \vee \ominus \vee \ominus \vee$
 $\uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow$

٤ : ٢

٧ - قد جنى الهدهد ذنباً وأق فى اللؤم فعلة
قد جنى الهد/هد ذنباً وأق فى الـ/لؤم فعلة

$\ominus \vee \ominus \vee \ominus \vee \ominus \vee$
 $\uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow$

٤ : ٢

٩ - ماأرى الحبة إلا سرقت من بيت ثملة
ماأرى الحبة/بة الا سرقت من/بيت ثملة

$\ominus \vee \ominus \vee \ominus \vee \ominus \vee$
 $\uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow$

٤ : ٢

٨ - تلك نار الإثم فى الصدر وللشكوى تعله
تلك نار الـ/إثم فى الصدـ/ر وللشكـ/وى تعله

$\ominus \vee \ominus \vee \ominus \vee \ominus \vee$
 $\uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow$

٤ : ٢

١٠ - إن لظالم صدرا يشتكى من غير علة
إن لظالم صدرا يشتكى من/غير علة

$\ominus \vee \ominus \vee \ominus \vee \ominus \vee$
 $\uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow \uparrow$

٤ : ٢

● النص الثامن سليمان والطاووس - لشاعر أحمد شوقي^(١) الوافر

١ - سمعت بأن طاووسا أتى يوما سليمانا
سمعت بأن/ن طاووسا أتى يوما / سليمانا
٧ ٧٧ ⊖ ٧ / ٧ ⊖ ٧ - ٧ ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑ ↑
٥ : ١

٢ - يجزر دون وفد الطير اد يالا وأردانا
يجردو/ن وفد الطير / ر أذبالا/ وأردانا
٧ ٧٧ ⊖ ٧ / ٧ ⊖ ٧ / ٧ ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

٣ - ويظهر ريشه طورا ويخفى الريش أحيانا
ويظهر ري/شه طورا ويخفى الري/ش أحيانا
٧ ٧٧ ⊖ ٧ / ٧ ⊖ ٧ - ٧ ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

٤ - فقال لدى مسألة أظن أوانها أنا
فقال لدى/ى مسألة أظن أوا/نها أنا
٧ ٧٧ ⊖ ٧ / ٧ ⊖ ٧ - ٧٧ ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

٥ - وهاقد جئت أعرضها على أعتاب مولانا
وهاقد جئت/ت أعرضها على أعتاب/ب مولانا
٧ ٧٧ ⊖ ٧ / ٧ ⊖ ٧ - ٧ ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٥ : ١

٦ - ألت الروض بالأزهار والأنوار مزدانا
ألت الرو/ض بالأزها/ر والأنوا/ر مزدانا

(١) لغتنا الجميلة - ١٩٨٧/١٠/٥ .

٤ : ١

⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

٧ - ألم أستوفِ أى الظرف أشكالاً وألواناً
ألم أستوفِ أى الظرف أشكالاً وألواناً

⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

٨ - ألم أصبح بهابكم جمع الطير سلطاناً

ألم أصبح / بهابكم جمع الطير / سلطاناً
⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

٩ - وكيف يليق أن أبقى وقومى الغرّ أوئانا
وكيف يليق أن أبقى وقومى الغرّ أوئانا

⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

١٠ - فحسن الصوت قد أمسى لصيبي منه حرماناً
فحسن الصوت قد أمسى لصيبي منه حرمانه

⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

١١ - فما تيمت أئدة ولا أسكرت أذاناً
فما تيمت أئدة ولا أسكرت أذاناً

⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

٦ : ٦

١٢ - وهذى الطير أحقرها وهذى الطير أحقرها
يزيد الصب أشجاناً يزيد الصب أشجاناً

⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧ / ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

● النص التاسع : مولد قصيدة - للشاعر : عبد الله السيد شرف^(١)

وزن المتقارب الجديد

١ - تعرّت على ساحل الليل في راحتيّ وقالت إلىّ

تعرّت / على سا / حل اللبـ / ل في را / حتى / وقالت / إلىّ

⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / -
↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٣ : ٥

٢ - تنام الكواكب في مقلتيّ وتغفو الورود على وجنتي

تنام الـ / كواكب / ب في مقـ / لتي / وتغفو الـ / ورود / على وجهـ / نتي

⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / -
↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٨ : صفر

٣ - وفي شفتيّ تحطّ الكروم وشعريّ سنابل أمن سخي

وفي شهـ / فتيّ / تحطّ الـ / كروم / وشعريّ / سنابلـ / ل أمن / سخي

⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / -
↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑

١ : ٧

٤ - فهيّا إلىّ

فهياّ / إلىّ

⊖ ٧ / - ⊖ ٧ / -
↑ ↑

٢ : صفر

٥ - تغيب الشمس وراء الغمام

تغيب الشـ / شمس / وراء الـ / غمام

(١) برنامج « ألوان من الشعر » ، يعده ويقدمه : « إبراهيم أبو سنة » - إذاعة البرنامج الثاـل -
١٩٨٧/١٠/١٨ م

٢ : ٤

$\oplus \vee / - \ominus \vee / \vee \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / \vee \ominus \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$

١١ - ومدت ذراعا بقلب الضياع وقالت تنن على ساعدى
 ومدت / ذراعا / بقلب الض / ضياع / وقالت / تنن / على / سا / عدى

$\ominus \vee / - \ominus \vee / \vee \ominus \vee / - \ominus \vee / \vee \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$

١ : ٧

١٢ - وألقى الدلاء
 وألقى الد / لاء

$\oplus \vee / - \ominus \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow$

٢ : صفر

١٣ - ومد اليراع ويوما فيوما نجيء بشيء
 ومد ال / يراع / ويوما / فيوما / نجيء / بشيء

$\oplus \vee / \vee \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / \oplus \vee / - \ominus \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$

٦ : صفر

١٤ - حديث غبى
 حديث / غبى

$\ominus \vee / - \ominus \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow$

٢ : صفر

١٥ - مقال ذكى
 مقال / ذكى

$\ominus \vee / - \ominus \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow$

٢ : صفر

١٦ - وهز الحروف تساقط فوق الرؤوس أمانا وجبا بعصر شقى
 وهزال / حروف / تساقط / فوق / الرؤ / أمانا / وجبا / بعصر / شقى

$\ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / \vee \ominus \vee / - \ominus \vee / \vee \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$

٩ : صفر

١٧ - لك الليل يغفو على ساعدك

لك الليـل/ ل يغفو/ على سا/ عديك

⊕ ٧/- ⊖ ٧/- ⊖ ٧/- ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

٢ : ٢

١٨ - ويزور عنك شعاع الصباح فماذا تروم وما راح راح

ويزور/ رعنك/ شعاع الصـ/ صباح/ فماذا/ تروم وما را/ ح راح

⊕ ٧/- ⊖ ٧/٧ ⊖ ٧/- ⊖ ٧/٧ ⊖ ٧/- ⊖ ٧/٧ ⊖ ٧/- ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٣ : ٦

١٩ - ولا أذن تسمع هذا الديب

ولا أذن/ تسمـع هذا الد/ ديب

⊕ ٧/- ⊖ ٧/٧ ⊖ ٧/- ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

٢ : ٣

٢٠ - ولا عين تبصر أو تستجيب

ولا عـيـن تبصـر/ ر أو تسـ/ تجيب

⊕ ٧/- ⊖ ٧/٧ ⊖ ٧/- ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

٢ : ٢

٢١ - وتلك النواطير فوق الدروب

وتلك الدـ/ نواطير/ ر فوق الد/ دروب

⊕ ٧/- ⊖ ٧/- ⊖ ٧/- ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

١ : ٣

٢٢ - هن المباح وغير المباح

هن الد/ مباح/ وغير الد/ مباح

⊕ ٧/- ⊖ ٧/٧ ⊖ ٧/- ⊖ ٧
↑ ↑ ↑ ↑

٤ : صفر

٢٣ - وقالت « إلى »

وقالت/ إلى

$$\begin{array}{cc} \oplus \vee / - \ominus \vee & \\ \uparrow & \uparrow \end{array}$$

٢ : صفر

٢٤ - فما أعذب الصفوف في راحتك

فما أعذب الصفوف في راحتك

$$\begin{array}{cccc} \oplus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee & & & \\ \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$$

٢ : ٢

٢٥ - فهيا لبنى بيتا رحيا ونرسم قلبا وثوبا قشيا

فهيا لبنى بيتا رحيا ونرسم قلبا وثوبا قشيا

$$\begin{array}{cccccccccc} \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee & & & & & & & & & \\ \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$$

١ : ٧

٢٦ - ولا تترك القلب يمشى وحيدا على مفصل الدمع والإنكسار

ولا تترك القلب يمشى وحيدا على مفصل الدمع والإنكسار

$$\begin{array}{cccccccccc} \oplus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee & & & & & & & & & \\ \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$$

٥ : ٣

٢٧ - وشدت ذراعى فسيق الحوار

وشدت ذراعى فسيق الحوار

$$\begin{array}{cccc} \oplus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee & & & \\ \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$$

٤ : صفر

٢٨ - وكان التوهج والإنصهار

وكان التوهج والإنصهار

$$\begin{array}{cccc} \oplus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee / - \ominus \vee & & & \\ \uparrow & \uparrow & \uparrow & \uparrow \end{array}$$

٣ : صفر

● النص العاشر : من « مشاهد من ذاكرة الليل والفصول » احمد محمود مبارك^(١)

الرجز الجديد

١ - هي التي كانت تمر من سنين

هي التي / كانت تمر / من سنين

$\ominus \vee - \vee / \ominus \vee - - / \ominus \vee - \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$

٣ : ٢

٢ - وفي يدها يزهر الريحان^(٢)

وفي يد / ها يزهر الر / ريحان

$\div - / \ominus \vee - - / \vee \vee - \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \uparrow$

صفر : ٤

٣ - فيتنشى المكان

فيتنشى الـ / مكان

$\div \vee / \ominus \vee - \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow$

صفر : ٢

٤ - ومثلها كانت عقود الياسمين

ومثلها / كانت عقود / د الياسمين

$\ominus \vee - - / \ominus \vee - - / \ominus \vee - \vee$
 $\uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow$

٢ : ٢

(١) ألوان من الشعر - ٢٧/١٢/١٩٨٧ م

(٢) هكذا قرئ البيت ، والتفعيلة الأولى فيه (متفعل) أى أن بها تغييرين أحدهما الحين ، والآخر تغيير غير مألوف ، لأنه دخل الوند . وربما كان البيت في الأصل (وفي يديها يزهر الريحان) ، وفي هذه الحالة تكون التفعيلة الأولى (متفعلن) .

٥ - تلتف حول جيدها

تلتف حول/ل جيدها

$$\ominus \vee - \vee / \ominus \vee - -$$

↑ ↑

٢ : ١

٦ - كان يلفنا بهاؤها

كان يلف/فنا بها/ؤها

$$- \vee / \ominus \vee - \vee / \ominus \vee \vee - -$$

↑ ↑ ↑

٢ : ١

٧ - كانت تطوف حولنا . . . عصفورة من نور

كانت تطوف/ف حولنا/عصفورة/من نور

$$\div - / \ominus \vee - - / \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - -$$

↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ١

٨ - تبدد الديجور عن عيوننا

تبدد الد/ديجور عن/عيوننا

$$\ominus \vee - \vee / \ominus \vee - - / \ominus \vee - \vee$$

↑ ↑ ↑

٣ : صفر

٩ - فتورق الأهداب بالحبور

فتورق الـ/أهداب بالـ/حبور

$$\div \vee / \ominus \vee - - / \ominus \vee - \vee$$

↑ ↑ ↑

٣ : صفر

١٠ - أجل هي التي . .

أجل هي الـ/لتي

$$- \vee / \ominus \vee - \vee$$

↑ ↑ ↑

٣ : صفر

١١ - أيام كان الحب ساكننا مدينتي

أيام كا/ن الحب سا/كنا مدي/نتي

$$\begin{array}{ccccccc} -\vee/\ominus\vee-\vee/\ominus\vee--/\ominus\vee-- \\ \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$

٣ : ٢

١٢ - كانت تمر في الغروب

كانت تمر/ر في الغروب

$$\begin{array}{ccc} \ominus\vee-\vee/\ominus\vee-- \\ \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$

١ : ٢

١٣ - وحين يلمح الشعاع حسنها يثوب

وحيث يلمح الشعاع حسنها يثوب

$$\begin{array}{ccccccc} \div\vee/\ominus\vee-\vee/\ominus\vee-\vee/\ominus\vee-\vee \\ \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$

٣ : ٢

١٤ - وعندما كانت تقدّم الزهور لي وللرفاق . . أشتري ويشترون^(١)

وعندما كانت تقدّم الزهور لي وللرفاق أشتري ويشترون

$$\begin{array}{ccccccc} \ominus\vee-\vee/\ominus\vee-\vee/\ominus\vee-\vee/\ominus\vee-\vee/\ominus\vee-\vee \\ \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$

٦ : ٢

١٥ - دقائق التجوال في حدائق العيون

دقائق التجوال في حدائق العيون

$$\begin{array}{ccc} \div\vee/\ominus\vee-\vee/\ominus\vee--/\ominus\vee-\vee \\ \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$

٤ : ١

١٦ - ويهرع الشوق البريء يمتطي أعنة الخيال كي يلملم الشمس التي

ويهرع الشوق البريء يمتطي أعنة الخيال كي يلملم

الشمس/شمس التي

$$\begin{array}{ccccccc} \ominus\vee--/\ominus\vee-\vee/\ominus\vee-\vee/\ominus\vee-\vee/\ominus\vee-\vee/\ominus\vee-\vee \\ \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$

(١) هكذا قرأ ، المذيع تسكين القاف في (الرفاق) مع تنغيم يدل على الاتصال ، وقد أدى ذلك الى تفعيله

غير مألوفة في حشو الرجز : « فعول » وأخرى غير رجزية : « فاعلن » .

١٧ - ترنحت خيوطها فوق الخدود والجبين

ترنحت/خيوطها/فوق الخدود والجبين

⊖ ٧ - ٧ / ⊖ ٧ - - / ⊖ ٧ - ٧ / ⊖ ٧ - ٧
↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٣ : ٢

١٨ - ولم نكن نريد غير نشوة الأحلام

ولم نكن/نريد غير/ر نشوة ال/أحلام

÷ - / ⊖ ٧ - ٧ / ⊖ ٧ - ٧ / ⊖ ٧ - ٧
↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٥ : ١

١٩ - إذ كان يخبو النور في جبينها البسام

إذ كان يخـ/بو النور في/جبينها ال/بسام

÷ - / ⊖ ٧ - ٧ / ⊖ ٧ - - / ⊖ ٧ - -
↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

٢٠ - لوبان في عيوننا رغام

لوبان في/عيوننا/رغام

÷ ٧ / ⊖ ٧ - ٧ / ⊖ ٧ - -
↑ ↑ ↑ ↑

٣ : ١

٢١ - وكان ثوبها المغزول من ريش الحمام^(١)

وكان ثو/بها المغزو/ل من ريش ال/حمام

÷ ٧ / - - ⊖ ٧ / - - ⊖ ٧ / ⊖ ٧ - ٧
↑ ↑ ↑ ↑ ↑

٤ : ٢

٢٢ - يطير النوازع المعششة

يطير الـ/نوازع ال/معششة

⊖ ٧ - ٧ / ⊖ ٧ - ٧ / ⊖ ٧ - ٧
↑ ↑ ↑

٣ : صفر

(١) يستعمل الشاعر (مفاعيلن) في قصيدة الرجزية ، وهو أمر غير مألوف ، وإن كانت له سوابق في بعض الشعر الجديد .

- ٢٣ - في بؤرة النفوس
في بؤرة النـ/نفوس

$$\begin{array}{c} \div \vee / \ominus \vee - - \\ \uparrow \qquad \qquad \uparrow \uparrow \end{array}$$
 صفر : ٣
- ٢٤ - ما بالها الآن تجوس
ما بالها الـ/آن تجوس

$$\begin{array}{c} \ominus \vee \vee - / \ominus \vee - - \\ \uparrow \qquad \uparrow \qquad \uparrow \end{array}$$
 ١ : ٢
- ٢٥ - في بركة الظلام
في بركة الظـ /ظلام

$$\begin{array}{c} \div \vee / \ominus \vee - - \\ \uparrow \qquad \qquad \uparrow \uparrow \end{array}$$
 صفر : ٣
- ٢٦ - وعينها مغبشة
وعينها/مغبشة

$$\begin{array}{c} \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - \vee \\ \uparrow \qquad \qquad \uparrow \end{array}$$
 صفر : ٢
- ٢٧ - بالسهد والدخان والقتام
بالسهد والدـ/دخان والـ/قتام

$$\begin{array}{c} \div \vee / \ominus \vee - \vee / \ominus \vee - - \\ \uparrow \qquad \qquad \uparrow \qquad \qquad \uparrow \end{array}$$
 صفر : ٣
- ٢٨ - وثوبها المنقوش بالعراء
وثوبها الـ/منقوش بالـ/عراء

$$\begin{array}{c} \div \vee / \ominus \vee - - / \ominus \vee - \vee \\ \uparrow \qquad \qquad \uparrow \qquad \qquad \uparrow \end{array}$$
 ص . ٣
- ٢٩ - يجول بالرواء
يجول بالرـ/رُواء

$$\begin{array}{c} \div 7 / \ominus 7 - 7 \\ \uparrow \quad \quad \uparrow \end{array}$$

٢ : صفر

٣٠ - وها هي النيران في أحداقها تأججت
وها هي النيران في / أحداقها / تأججت

$$\begin{array}{c} \ominus 7 - 7 / \ominus 7 - - / \ominus 7 - - / \ominus 7 - 7 \\ \uparrow \quad \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$

٥ : ١

٣١ - لتقرأ الأرقام في صكوك وجه كل قادم جديد
لتقرأ الـ / أرقام في / صكوك وجه / كل قادم جديد

$$\begin{array}{c} \div 7 - 7 / \ominus 7 - 7 / \ominus 7 - 7 / \ominus 7 - - / \ominus 7 - 7 \\ \uparrow \quad \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$

٤ : ٤

٣٢ - فرب مشتريريد .
فرب مشـ / تريريد .

$$\begin{array}{c} \div 7 - 7 / \ominus 7 - 7 \\ \uparrow \quad \quad \uparrow \quad \uparrow \end{array}$$

٢ : ١

١ - يلاحظ في النصوص السابقة أن الأوتاد المجموعة ليست مواضع للنبر في كل الحالات ، ولا في أكثر الحالات . ومراجعة الأرقام الدالة على مواضع النبر ، تدل بوضوح على أن مواضع النبر في أكثر التفاعيل لم تكن أجزاء من الأوتاد ، بل مقاطع أخرى . وفي بعض الأبيات لم يقع النبر على جزء من أى وتد مجموع ، كما في البيت ٦ من النص ٥ ، والبيت ١ والبيت ٦ من النص ٦ ، والبيت ١١ من النص ٨ ، والأبيات ٣ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ من النص الأخير . ومع ذلك لم يتسبب غياب النبر عن الأوتاد في أى شعور بالاختلال أو الكسر أو النقص الموسيقى في أى من هذه الأبيات .

٢ - ويلاحظ أن المتقارب هو الوزن الوحيد الذى كان النبر في أكثر تفاعيله على المقطع الطويل الذى هو جزء من الوند (ولنسمه المقطع الوندى) وفي الطويل يكثر وقوع النبر نسبياً على الموضع نفسه . وليس معنى هذا أن للبحرين ، أو لأحدهما طبيعة إيقاعية مخالفة لطبيعة البحور الأخرى ، وإنما يرجع هذا إلى سبب واضح

قريب ؛ فالنبر في العربية يقع في أكثر الأحيان على المقطع الذى قبل الأخير من الكلمة ، والمقطع الودى في التفعيلة : (فعولن) يقع قبل مقطعها الأخير ، وكذلك صورتها المزاحفة (فعول) ، ولما كانت نسبة عالية من الكلمات في العربية يتكون كل منها من ثلاثة مقاطع ، كان من الطبيعى أن تتوافق التفاعيل مع للكلمات في كثير من الأبيات ، وكان من الطبيعى أن يكون النبر في كثير من التفاعيل على جزء من الودت . وفي قصيدة « عبد الله السيد شرف » : « مولد قصيدة » نجد أكثر التفاعيل متوافقة مع الكلمات في الأبيات : (٤ ، ٥ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧) ونجد نصف التفاعيل متوافقة مع الكلمات في الأبيات : (٣ ، ٨ ، ١٨ ، ٢٥)^(١) ولبحر « الطويل » نصيب من هذا ، لأن شطره يتكون من أربع تفاعيل ، اثنتان منها على وزن « فعولن » ، ولكن « الطويل » لا يبلغ مبلغ « المتقارب » ، الذى يتكون حشوه من (فعولن) و (فعول) ولا يكاد يخرج عنها .

ومع ذلك تعادل نصيب المقاطع الودتية وغير الودتية من مواقع النبر في البيتين (٢٠ ، ٢٤) من قصيدة « عبد الله شرف » ، بل تفوقت المقاطع غير الودتية على المقاطع الودتية في البيت (٢٦) ، فلم يؤد هذا أو ذلك إلى أى شعور بالاختلال أو النقص في هذه الأبيات .

إذا حاولنا أن نجد في النماذج السابقة نظاما نبريا آخر — غير توقيع النبر على المقاطع الطويلة الودتية — وجدنا أن توزيع النبر لا يخضع لأى نظام إيقاعى ؛ فهو لا يقع على موضع ثابت في التفعيلة ، ولا يقع على مسافات مقطعية متساوية أو

(١) يمكننا التفاضى عن أداة التعريف « ال » لأن اتصالها بالكلمة لا يغير من موضع النبر بين « كتاب » و « الكتاب » ، ووقعها بين كلمتين لا يغير من موضع النبر . منها ، كأن نقول « هذا كتاب » و « هذا الكتاب » . كذلك يمكن التفاضى عن أدوات العطف المكونة من حرف واحد مثل « الواو » ، لأنها أيضا لا تغير من موضع النبر في أكثر الأحيان . وكل هذا تبعا لأساليب النبر في الأداء المصرى المعاصر ، والمقصود بالتوافق هنا أن حروف التفعيلة تتطابق مع حروف الكلمة .

مقاربة على مستوى الشطر أو البيت^(١) ، حتى لو سمحنا بوجود نسبة عالية من التنويع أو الزحاف أو ما شئت من أسماء .

٤ - توزيع النبر في الشعر يشبه توزيع النبر في لغة النثر العادية^(٢) . أى أن نبر الشعر - فى الغالب - يخضع لنفس « القواعد » التى يخضع لها النثر على مستوى اللهجة الواحدة . فالذى يؤدي الشعر يطبق عليه قواعد النبر التى يطبقها فى أدائه للغة النثرية . وإن كان بعضهم يجعل النبر فى الشعر أقوى وأوضح من النبر المألوف

(١) فى الشعر الإنجليزى مثلا يتركب الوزن من وحدات (Feet) ، يختلف توزيع النبر فيها من وزن إلى وزن . ففى وزن « الإيamb » تتكون الوحدة من مقطعين ، أولها غير منبور ، والثاني منبور . وفى الوزن « الترويكى » تتكون الوحدة من مقطعين ، أولها منبور ، والآخر غير منبور . و « الأنايبست » تتكون وحدته من ثلاثة مقاطع ، الأول والثاني منها غير منبورين ، والثالث منبور . « والداكسيل » تتكون وحدته من ثلاثة مقاطع أيضا ، أولها منبور ، والآخران غير منبورين .
يراجع على سبيل المثال :

Reaves, op.cit. p. 140 : 149.

(٢) استنتج د . أنيس « قواعد » النبر فى الأداء المصرى المعاصر للغة العربية وخصها فيما يأتى . ينظر أولا إلى المقطع الأخير فإذا كان زائد الطول ، كان هو موضع النبر ، وإلا نظر إلى المقطع الذى قبل الأخير ، فإن كان طويلا حكمنا بأنه موضع النبر ، أما إذا كان قصيرا نظر إلى ما قبله ، فإن كان قصيرا كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة . ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من الآخر إلا فى حالة واحدة ، وهى أن تكون المقاطع الثلاثة التى قبل الأخيرة من النوع القصير . (د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية - الأنجلو - ١٩٧٥ - ص ١٦٩ وما بعدها) . وتؤكد الملاحظة صحة هذه « القواعد » ، على أن نلاحظ ما يأتى :

١ - أنها لا تنطبق على كل اللهجات فى مصر ، وإنما تصدق على اللهجة الشائعة فى القاهرة وأكثر الوجه البحرى وكثير من المدن المصرية ، ولا تصدق مثلا على بعض لهجات « الصعيد » .
٢ - أنها ليست قواعد منضبطة تماما ، بل تتسع لاختلافات فردية ، حتى فى نطاق اللهجة القاهرية ، وكذلك فى قراءة المجيدين من راء القرآن الكريم فى القاهرة ، وهى المصدر الذى استخرج منه تلك القواعد .

٣ - أنها لا تشمل الكلمات المكونة من مقطع واحد ، ولا تشمل كذلك المجموعة المكونة من كلمتين متصلتين اتصالا وثيقا . (والمقصود بالكلمة هنا « المورفيم » ، أو مجموعة « المورفيمات » التى تنطق مندوجة ، بحيث لا يمكن فصل أحدها عن غيره فى المجموعة) . وقد تناولت موضوع النبر بالتفصيل فى بحث لى عنوانه (النبر فى الأداء المصرى المعاصر للغة العربية نثرا وشعرا ، دراسة علمية) ، وهو مطبوع بالامستسل بمعهد الخرطوم الدولى للغة العربية ١٩٨٠ .

في النثر . وإذا كان بالمقطع المنبور في الشعر صائت طويل بالغ بعضهم في إطالته إلى حدّ غير معتاد في نطق النثر .

ويلاحظ في غير النماذج التي سجّلتها وأدرجتها بهذا الفصل — أساليب أخرى لأداء الشعر ، فبعضهم يبالغ في التنغيم كأنه يغني^(١) ، وبعضهم « يرتله » ترتيلاً يذكر بترتيل القرآن الكريم ، وإن كان مختلفاً عنه^(٢) ، وبعضهم يحرص في قراءته على إبراز الوحدات العروضية من أشطر وتفاعيل . وفي هذا النوع من الأداء يتجاهل صاحبه النبر الطبيعي للكلمات ، وينطقها كما تُنطق التفاعيل المجردة . وفي هذه الحالة يكون النبر منتظماً على موضع معين من التفعيلة (وهو ليس بالضرورة المقطع الوتدي) . وهذا الأسلوب قلما يتبع إلا إذا أريد التقطيع لمعرفة الوزن .

ولا أريد أن أصف أحد هذه الأساليب في أداء الشعر بأنه الأفضل أو الأكثر قبولاً أو شيوعاً ، ولكن يجب — على كل حال — الاعتراف بوجود أساليب متباينة ، ويجب التمييز بين الوزن وأساليب الأداء أياً كانت ، فالوزن قدّر مشترك بين كل أساليب الأداء ، وهو العنصر الثابت الذي لا يمكن التغاضي عنه أو الإخلال به . ويختلف النبر باختلاف هذه الأساليب — كما يتضح مما سبق . أما كمّ المقاطع فليس من المقبول أن يتغيّر تغيراً جذرياً ، أو بعبارة أخرى ، لا يقبل أن يتحول مقطع قصير إلى مقطع طويل ، أو أن يتحول مقطع طويل إلى قصير ، بسبب أسلوب الأداء .

وما يقال عن النبر يقال عن النغمة ، أو ما سماه الدكتور أنيس بـ « الإيقاع » ، فاستقراء هذه النماذج المسجلة وغيرها ، يدل بوضوح على أن النغمة ليس لها في الشعر العربي نظام إيقاعي ، وبالتالي لا يمكن أن تُعدّ أساسية في وزن هذا الشعر . ومرة أخرى نجد أن قيام الشعر العربي على « الأساس الكمي » هو الحقيقة التي تشير إليها وتؤكدّها كلّ الدلائل .

(١) يلاحظ ذلك في أداء الأطفال للأنشيد المدرسية .

(٢) وجدت ذلك في عدة أشرطة تتضمن المعلقات ومختارات من شعر شوقي والبارودي ، بصوت أحد السعوديين ، وتوزع الأشرطة شركة تسمى (تسجيلات « أحمد بن حنبل » الإسلامية) بمكة المكرمة .

٦ -

للقافية في الشعر العربي « أساس » كَمَى « كذلك ؛ فكل بيتين^(١) تجمعهما قافية واحدة يجب أن يتشابه فيها التركيب المقطعي لمنطقة القافية ، وهى منطقة تشمل آخر ساكنين وما بينهما والمتحرك الذى يسبق الساكن الأول ، فإذا استعملنا مصطلح المقطع — كما استعمله « د . شكرى عياد » — فهى المقطع الأخير إذا كان زائدا الطول ، أو آخر مقطعين طويلين وما قد يكون بينهما من مقاطع^(٢) .

وقواعد النظم تحافظ على التركيب المقطعي لهذه المنطقة أكثر مما تحافظ على التركيب المقطعي لبقية البيت ، فلا يسمح للزحاف أن يحدث اختلافا بين البيتين في مقاطع هذه المنطقة^(٣) ، ففي هذا الوزن مثلا :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

يجوز أن تتحول كل تفعيلة على وزن « مفاعيلن » إلى « مفاعيلن » ، إلا التفعيلة الأخيرة (الضرب) ، فلا يجوز فيها هذا الزحاف ، لأنه يمس منطقة القافية ، وهى المقطعان الأخيران « عيلن » . فإذا قبض الضرب (أى تحول إلى مفاعيلن) لزم أن تقبض كل الأضرب .

وليس للنبر وظيفة أساسية في القافية العربية ، ولكن له في قافية الشعر الإنجليزى — وهو شعر نبرى — وظيفة أساسية ، ففي الإنجليزية ليس من التقفية أن ينتهى بيت بكلمة ring وينتهى آخر بكلمة thinking مثلا ، لأن المقطع ring يكون منبورا ، والمقطع king في thinking لا يكون منبورا مثله^(٤) .

(١) وما يقال عن الأبيات يقال عن « الأجزاء » الملقاة في الموشحات وغيرها من أشكال التنويع .

(٢) د . عياد — ص ٨٩ .

(٣) ويستثنى من ذلك بعض البحور كالرجز والرمل ، إذ يسمح فيها ببعض الاختلاف في هذه المنطقة .

(٤) Aboulmagd, Nadja. O.M, Notes on English prosody, the Anglo Egyptian

Bookshop, Cairo, date not mentioned, p. 45, 46.

أما في العربية فمن الجائز اختلاف النثر في منطقة القافية . يدل على ذلك واقع الشعر ، وإن لم يذكر العروضيون شيئاً عن هذا الموضوع^(١) .

١/٧

التمايز بين لغة الشعر ولغة النثر حقيقة معروفة ، حتى إن دائرة المعارف البريطانية تعرّف الشعر بأنه (الطريقة الأخرى لاستعمال اللغة)^(٢) .

وانحراف الشعر عن أعراف اللغة (deviation) هو محور كثير من الدراسات الأسلوبية . ويظهر هذا التمايز على المستوى الصوتي والمعجمي والصرفي والتركيبى . وفي العربية تسمى أنواع من هذا الخروج باسم (الضرورات الشعرية) . وهناك أنواع أخرى من الخروج على أعراف اللغة ، لا يذكرها العروضيون ، ولا تكاد تلاحظ ، لشيوعتها وألفة الناس إياها ، مثل الوقوف على مثنون ، والوقوف على مقطع قصير ، ومدّ الصائت القصير الذى يقع آخر البيت ليكون طويلاً ، ويندرج في هذه الأنواع من الخروج طريقة الوقف والوصل في الشعر ؛ ففي النثر يتحكم المعنى في مواضع الوقف والوصل ، أما في الشعر فالتقسيم العروضى هو الذى يحدّد في الغالب مواضع الوقف ، في أواخر الأَشْطَر وإن أدّى ذلك إلى فصل ما يجب وصله في النثر .

وخروج الشعر على أعراف اللغة يختلف من عصر إلى عصر ، ومن شاعر إلى شاعر ، بل من نص إلى نص . فالشعر مع تميّزه الدائم عن لغة النثر المألوفة يقترب منها حيناً ، ويبتعد عنها حيناً آخر .

وهذا الخروج هو دائماً خروج محسوب ، يسمح به في حدود معينة ؛ فلا بدّ من حد أدنى من التزام خصائص اللغة ، ما دام الشعر فناً لغوياً .

(١) تفصيل ذلك في الفصل الأخير .

The New Encyclop edia Britannica,u.s.A., 1984, poetry.٨٠

(٢)

والتمايز « الإيقاعى » هو أبرز وجوه التمايز بين الشعر والنثر ؛ فإيقاع الشعر يغلب عليه الانتظام ، أو يجمع بين النسق والخروج على النسق ، أما إيقاع النثر — إن صح أن له إيقاعا — فلا نسق فيه ولا انتظام — والحديث هنا عن الإيقاع بالمعنى الصوتى — إلا إذا اقترب من الشعر ، وهو فى هذه الحالة لم يعد نثرا خالصا ، بل الأجدر به أن يُسمى شعرا منثورا ، أو قصيدا نثريا ، أو غير ذلك .

ومع هذا فالتباين بين لغة الشعر ولغة النثر ليس تباينا جوهريا ، فالمادة الغفل لكل منهما واحدة ، هى أصوات اللغة ومقاطعها . ولكن المقاطع تتجمع فى الشعر بترتيب معين لا يكون فى النثر إلا عرضا . ومن ناحية أخرى تمثل لغة النثر إلى المحافظة على نسبة معينة بين أنواع المقاطع ، وعلى حدود معينة لتوالى المقاطع من النوع الواحد . والشعر يضارع النثر أحيانا فيحافظ على هذه النسبة وعلى هذه الحدود ، ويخالفه أحيانا ، فيزداد التباين بينهما . ومراعاة هذه النسبة أو مخالفتها من أهم ما يميز تكويننا وزنيا عن تكوين آخر ، كما سنرى فى الفصل القادم .

٧/ب

وقد قمت بإحصائية لأنواع المقاطع فى نماذج نثرية قديمة وحديثة تشمل نصوصا قديمة لابن المقفع^(١) ، والمبردة^(٢) ، والجاحظ^(٣) ، وابن قتيبة^(٤) وتشمل نصوصا من العصر الحديث

(١) عبد الله بن المقفع : كلیلة ودمنة (طبعة جديدة منقحة للنسخة التى حققها عبد الوهاب

عزام) — دار الشروق — بيروت — ١٩٧٣ م . ص ٦٦ ، من أولها إلى (فى مكان الغلظة) ،

وص ١١٦ من (فعائب الغراب نفسه) إلى آخر الصفحة .

(٢) المبرد : الكامل فى اللغة والأدب والنحو والتصريف (تحقيق أحمد محمد شاكر) ط ١ — مصطفى البابى

الحلى — القاهرة ١٩٧٣ م — ح ٣ ص ٨٩٧ ، من أول الصفحة إلى (لعنه الله) ، وص ٩٢٩ من

أول الصفحة إلى (وقعد على صدره) ، ص ١٢٦٤ من (اعلم أن) إلى (بعضه وبعض) .

(٣) الجاحظ : رسائل الجاحظ (تحقيق : عبد السلام هارون) — الخانجى — القاهرة ١٩٦٤ م ح ١ ،

وص ٩٣ من أولها إلى (حصنا منيعا) ، وص ٢٤٤ كلها .

(٤) ابن قتيبة الدينورى : عيون الأخبار (مصورة عن طبعة دار الكتب) — المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والترجمة والطباعة — القاهرة — تاريخ المقدمة ١٩٦٣ م — المجلد الأول —

ص ١١٢ من أولها إلى (والنفقة فى غيره من المال)

، ص ٢١٩ من (والناس يقولون) إلى آخر الصفحة .

للمنفلوطين^(١) ، والعقاد^(٢) ، والمازني^(٣) وتوفيق الحكيم^(٤) . وفيما يلي بيان يتضمن
عدد المقاطع القصيرة والطويلة والنسبة بينهما في كل نص :

رقم النص	مصدر النص	رقم الصفحة	عدد المقاطع القصيرة	عدد المقاطع الطويلة	النسبة بينهما
١	ابن المقفع : كلية ودمنة	٦٦	٢٥٠	٣٤٦	١٠٠ : ٧٢
٢	ابن المقفع : كلية ودمنة	١٦٦	٢٩٠	٣٠١	١٠٠ : ٩٦
٣	المبرد : الكامل	٨٩٧	١٣٠	١٥٥	١٠٠ : ٨٣
٤	المبرد : الكامل	٩٢٩	١٨١	١٥٨	٨٧ : ١٠٠
٥	المبرد : الكامل	١٢٦٤	١٠٤	١٤٦	١٠٠ : ٧١
٦	الجاحظ : رسائل الجاحظ	٩٣	٢٠٤	٢٠١	٩٩ : ١٠٠
٧	الجاحظ : رسائل الجاحظ	٢٢٤	١٧٧	١٩٧	١٠٠ : ٩٠
٨	ابن قتيبة : عيون الأخبار	١١٢	١٦٨	١٩٤	١٠٠ : ٨٧
٩	ابن قتيبة : عيون الأخبار	٢١٩	١٨١	٢١٤	١٠٠ : ٨٥
١٠	المنفلوطي : النظرات	٢٨	١٩٥	٢٦٠	١٠٠ : ٧٥
١١	المنفلوطي : النظرات	٢٩	١٧٦	٢٠٥	١٠٠ : ٨٦
١٢	العقاد : يوميات	٨٢	٢٦٣	٣٤٦	١٠٠ : ٧٦
١٣	العقاد : يوميات	٣٧٢	١٤٧	٢٢٦	١٠٠ : ٦٥
١٤	المازني : قبض الريح	٢٥	١٥٦	٢٣١	١٠٠ : ٦٨
١٥	المازني : قبض	٨٤	١٥٩	١٩٣	١٠٠ : ٨٢
١٦	توفيق الحكيم : يوميات نائب	٥٧	٢٠٤	٢٧١	١٠٠ : ٧٥
١٧	توفيق الحكيم : يوميات نائب	١٤٦	١٧٣	٢١٩	١٠٠ : ٧٩
المجموع			٣١٥٨	٣٨٦٣	١٠٠ : ٨٢

(١) المنفلوطي : النظرات - دار الثقافة - بيروت - بدون تاريخ - ح ٣ - ص ٢٨ كلها ، وص ٢٩ كلها .

(٢) العقاد : يوميات - دار المعارف - القاهرة - ط ٢ - بدون تاريخ - ح ١ - ص ٨٢ - وقد حذفت منها
علما أعجميا « ديورانت » ، وعبارة تحتوي هذا العلم (لكان ديورانت) ، كذلك حذفت علما عربيا حديثا
(أحمد فؤاد الأهواني) ، وص ٣٧٢ من أولها إلى (للتنفيذ والتقرير) .

رقم لنص	المصدر	رقم الصفحة	عدد مرات تجاور المقاطع القصيرة						
			عدد المجموعات التساعية	عدد المجموعات الثمانية	عدد المجموعات السباعية	عدد المجموعات السداسية	عدد المجموعات الخماسية	عدد المجموعات الرابعة	عدد المجموعات الثلاثية
١	ابن المقفع	٦٦	—	—	—	—	١	٤	٨
٢		١٦	—	—	—	—	٦	٥	١٦
٣	المبرد	٨٩٧	—	—	—	١	—	٢	٨
٤	المبرد	٩٢٩	—	—	—	١	٦	٣	٨
٥	المبرد	١٢٦٤	—	—	—	—	—	٢	٣
٦	الجاحظ	٩٣	—	—	—	١	٢	٢	١٠
٧	الجاحظ	٢٢٤	—	—	—	١	—	٣	١٤
٨	ابن قتيبة	١١٢	—	—	—	—	—	٣	٥
٩	ابن قتيبة	٢١٩	—	—	—	—	—	١	٩
١٠	المتفلوطي	٢٨	—	—	—	—	١	١	٥
١١	المتفلوطي	٢٩	—	—	—	—	١	٢	٩
١٢	العقاد	٨٢	—	١	—	—	١	٣	١٥
١٣	العقاد	٣٧٢	—	—	—	—	—	٣	٥
١٤	المازني	٢٥	—	—	—	—	—	٢	٧
١٥	المازني	٨٤	—	—	—	—	—	٢	٧
١٦	الحكيم	٥٧	—	—	١	—	١	٤	٥
١٧	الحكيم	١٤٦	—	—	—	—	—	—	٥
—	المجموع	١٢٩	—	١	١	٤	٢٠	٤٢	١٢٩

== (٣) المازني : قبض الريح — الدار القومية — القاهرة — ١٩٦٠ م ص ٣٥ من أولها إلى وهي المعاني ،
وص ٨٤ إلى (الحى والإرادة) .

(٤) توفيق الحكيم : يوميات نائب في الأرياف — دار الكتاب اللبناني — بيروت — ١٩٧٤ ص ٥٧ كلها ماعدا
التاريخ في أعلاها ، وص ١٤٦ ما عدا التاريخ والمحاورات العامة والكلمة الأخيرة في الصفحة .

رقم النص	المصدر	رقم الصفحة	عدد مرات تجاوز المقاطع الطويلة						
			عدد المجموعات الثلاثية	عدد المجموعات الرباعية	عدد المجموعات الخماسية	عدد المجموعات السادسة	عدد المجموعات السباعية	عدد المجموعات الثمانية	عدد المجموعات التساعية
١	ابن المقفع	٦٦	٢٩	٧	٢	—	—	—	—
٢	ابن المقفع	١٦٦	١٦	٨	—	—	—	—	—
٣	المبرد	٨٩٧	٩	٣	١	—	—	—	—
٤	المبرد	٩٢٩	١١	١	—	—	—	—	—
٥	المبرد	١٢٦٤	٩	٤	١	—	—	١	—
٦	الجاحظ	٩٣	٨	٣	١	—	—	—	—
٧	الجاحظ	٢٢٤	١٣	—	١	١	١	—	—
٨	ابن قتيبة	١١٢	١٤	٤	١	—	—	—	—
٩	ابن قتيبة	٢١٩	١٣	٣	٢	١	—	—	—
١٠	المنفلوطي	٢٨	١٨	٧	٢	—	—	—	—
١١	المنفلوطي	٢٩	١٠	٣	—	—	—	١	—
١٢	العقاد	٨٢	١٠	١٤	٥	١	٢	—	١
١٣	العقاد	٣٧٢	١٤	٧	٤	٢	١	—	—
١٤	المالزي	٢٥	٢١	٩	٢	١	١	—	—
١٥	المالزي	٨٤	١٣	٣	٢	٢	—	—	١
١٦	الحكيم	٥٧	١٦	١١	٤	١	—	—	—
١٧	الحكيم	١٤٦	٧	٣	—	٢	—	—	—
المجموع			٢٢١	٩٠	٢٨	١١	٥	٢	٢

ويستنتج من هذه الإحصاءات :

١ - أن نثر العربية يرجع كفة المقاطع الطويلة على كفة المقاطع القصيرة ترجيحاً بيننا^(١) ، وإن يكن في العصر الحديث أعظم منه في العصور القديمة (أو على

(١) بين النصوص السبعة عشر نجد نصين تزيد فيها المقاطع القصيرة على المقاطع الطويلة ، هما النصان رقم ٤ ورقم ٦ . ويرجع ذلك إلى طبيعة المفردات التي فرضها الموضوع في كلا النصين ، إذ تكثر فيها الأفعال الماضية كثرة ظاهرة .

الأقل في العصر العباسي (١).

٢ - أن نثر العربية يقبل توالى المقاطع الطويلة أكثر مما يقبل توالى المقاطع القصيرة ، وذلك إذا كانت المقاطع المتوالية ثلاثة أو أكثر . ولكن قبول التوالى له حدود يقف عندها في كلتا الحالين ، فالمجموعة السداسية وما فوقها نادرة جداً ، سواء أكانت مقاطعها قصيرة أم طويلة .

٧/حـ

وقد انعكس هذا وذلك على أوزان الشعر ، فأكثر التفاعيل تغلب عليها المقاطع

الطويلة كما يلي :

التفعيلة	مقاطعها	عدد المقاطع القصيرة	عدد المقاطع الطويلة
فعلولن	٧ - -	١	٢
فاعلن	- ٧ -	١	٢
مفاعيلن	- - - ٧	١	٣
فاعلاتن (٢)	- - ٧ -	١	٣
مستفعِلن (٣)	- ٧ - -	١	٣
مفعولات	٧ - - -	١	٣
متفاعِلن	- ٧ - ٧ ٧	٣	٢
مفاعِلتن	- ٧ ٧ - ٧	٣	٢

(١) لو ثبت - بعد مزيد من الإحصاءات - أن رجحان المقاطع الطويلة في العصر الحديث أعظم منه في العصور القديمة فسنجد في ذلك تفسيراً لبعض الظواهر العروضية كشيوع الخبب في الشعر الجديد ، وظهور التفعيلة « مستفعِلاتن » . وقد يكون لذلك علاقة بظواهر تلاحظ في العامية المصرية ، وربما في غيرها من اللهجات العامية العربية ، مثل تحويل المقطع القصير إلى مقطع طويل في الضمير « أنت » التي تحولت في العامية إلى « إنتى » ، وفي مثل « كتبت » التي تحولت إلى « كتبتى » ، و « كتبتها » التي تحولت إلى « كتبتيا » ، و « رضاك » التي تحولت إلى « رضاكى » ، ومثل تحويل المقطعين القصيرين إلى مقطع طويل ، في مثل « قَلَمَكَ » التي تحولت إلى « قَلَمَكْ » .

(٢ ، ٣) إذا أخذنا برأى بعض العروضيين وأضعنا التفعيلتين « مستفع لن » و « فاع لاتن » فلن يغير ذلك من الأمر شيئاً ، لأنها لا يختلفان مقطعيًا عن مستفعِلن و « فاعلاتن » .

أى أن المقاطع الطويلة تفوق المقاطع القصيرة في خمس تفاعيل ، وتفوقها المقاطع القصيرة في تفاعيلتين فقط هما « مفاعلتن » و « متفاعلتن » . لكن الاستعمال الواقعي يقلل من رجحان المقاطع القصيرة في هاتين التفاعيلتين أو يلغيه ، فالكامل قلما يقتصر على « متفاعلتن » ، بل يجمع بينها وبين « مستفاعلتن » ، وقد تكون أكثر التفاعل في صيغة « مستفاعلتن » .

كذلك الوافر تتنافس فيه « مفاعلتن » و « مفاعيلن » وقد تتغلب « مفاعيلن » في كثير من الأحيان .

وأكثر الصور المزاخفة يتوازن فيها الجانبان ، أو يرجح جانب المقاطع الطويلة . ولا نجد تفعيلة طبيعية منتشرة يتوالى فيها ثلاثة مقاطع قصيرة أو أكثر . وهذه أشهر الصور المزاخفة :

التفعيلة	مقاطعها	عدد المقاطع القصيرة	عدد المقاطع الطويلة
فَعُولُ	٧ - ٧	٢	١
فَعِلْنُ ^(١)	- ٧٧	٢	١
مفاعيل	٧ - - ٧	٢	٢
مفاعلتن	- ٧ - ٧	٢	٢
فعلاتن	- - ٧٧	٢	٢
فاعلات	٧ - ٧ -	٢	٢
متفاعلتن	- ٧ - ٧	٢	٢
مستفاعلتن	- ٧٧ -	٢	٢
مفعلات	٧ - ٧ -	٢	٢
مُتَفَاعِلُنْ (مستفاعلتن) - ٧ -	- ٧ - -	١	٣
مُفَاعِلَتُنْ (مفاعيلن) ٧ - - -	- - - ٧	١	٣
فَعْلُنْ - -	- -	-	٢

(١) يرى العروضيون أن « فَعِلْنْ » صورة مزاخفة من « فاعلتن » ، « وأن فَعْلُنْ » كذلك صورة من « فاعلتن » دخلها « التشعيت » ، وهو علة جارية مجرى الزحاف . وفي الشعر العمودي قلما تجتمع « فاعلتن » مع الصورتين الأخريين ، فالأخرى أن نجعل الوزن المبني على « فَعِلْنْ » و « فَعْلُنْ » مستقلا عن الوزن المكوّن من « فاعلتن » .

يتضح مما سبق أن تفعيلتين فقط مما يعد مزاحفا تغلب عليهما المقاطع القصيرة هما « فَعول » و « فَعِلن » .

ويلاحظ من ناحية أخرى أن الزحاف يتجه دائما نحو تقريب الشعر إلى النثر من ناحية النسبة بين المقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة ؛ فالتفعيلة حين تطغى مقاطعها الطويلة على ما بها من مقاطع قصيرة طغيانا لا تعرفه اللغة المألوفة (لغة النثر) ، يعمل الزحاف، الذي يدخلها على إزالة هذا الطغيان أو الحد منه ، فتكون المقاطع القصيرة في الصورة المزاحفة أكثر من الطويلة أو يتوازن فيها الطرفان على مستوى التفعيلة أو على مستوى القصيدة ؛ فالتفعيلة « فَعولن ٧ - - » صورتها البديلة « فَعول ٧ - ٧ » ، والتفعيلة « مفاعيلن ٧ - - - » صورتها البديلة « مفاعيل ٧ - - ٧ » أو « مفاعيلن ٧ - ٧ » ، ومُسْفَعِلن ٧ - - ٧ - « حين تزاحف تكون « متفعِلن ٧ - ٧ - ٧ » أو « مستَعِلن ٧٧ - » .

أما حين تتغلب المقاطع القصيرة في التفعيلة - وهذا قلب للوضع المألوف في النثر - فالزحاف يتجه إلى التقليل من المقاطع القصيرة لحساب المقاطع الطويلة ، حتى ترجحها ؛ وعلى ذلك تستبدل التفعيلة « مستفعِلن ٧ - - ٧ » بالتفعيلة « متفاعِلن ٧٧ - ٧ - » ، « ومفاعيلن ٧ - - - » بالتفعيلة « مفاعِلن ٧ - ٧٧ - » ، « فَعِلن - - » ب « فَعِلن ٧٧ - » (إذا جاز أن نعدَّ « فَعِلن » صورتها عندما يدخلها الزحاف) . وإذن فالشعر يضارع النثر في أغلب الأحيان من حيث ترجيح المقاطع الطويلة على القصيرة^(١) .

(١) حاول « حازم » أن يقدّر نسبة السواكن إلى المتحركات فقال (وهم يقصدون أبدا أن تكون نسبة السواكن حائمة حول ثلث مجموع المتحركات والسواكن ، إما بزيادة قليلة أو نقص قليل ، ولأن تكون أقل من الثلث أشدّ ملاءمة من أن تكون فوقه) (ص ٢٦٧)

ومعنى قول « حازم » أن عدد المقاطع الطويلة يقارب عدد المقاطع القصيرة ، لأن نصف المتحركات ينضم إلى السواكن لتكوين مقاطع طويلة ، والنصف الآخر من المتحركات مقاطع قصيرة ، كما في التفعيلة « متفعِلن » (٥ // ٥ //) = (٧ - ٧ -) مثلا . ويفضل - أزم رححان المقاطع القصيرة على الطويلة . ويبدو أن ملاحظة « حازم » لم تقم على استقراء كافٍ ولا على إحصاء دقيق ، فهي تخالف الواقع كما رأينا . ولعله كان مدفوعا إليها بميله الذاتي إلى زيادة المقاطع القصيرة ، وهو ميل أفصح عنه في أكثر من موضع . (ص ٢٣٨ بالإضافة إلى الموضع المذكور آنفا) .

ومن ناحية أخرى تمنع القواعد العروضية أن يتوالى في الشعر خمسة متحركات أو أكثر . ويكون ذلك اذا توالى خمسة مقاطع قصيرة (// / / / /) أو أربعة مقاطع قصيرة يليها مقطع طويل (// / / / / ٥)^(١) . ويقول الجوهري إن هذا التوالى من العلل (العيوب) التي تفسد الوزن وتؤدي إلى الخروج من النظم إلى النثر (وهو ما يُدرك بالذوق نبو الطبع عنه لفساد النظم)^(٢) .

والواقع أن توالى ثلاثة مقاطع قصيرة — وإن كان من الجائز نظرياً — هو أمر نادر بل شاذ ، (ناهيك عن توالى أربعة مقاطع قصيرة أو خمسة) ، فلا أعرف تفعيلية يتوالى فيها ثلاثة مقاطع قصيرة إلا « متعلن » في الرجز ، وهو بحر له وضع خاص فلا يقاس عليه أى وزن آخر (كما ذكرت من قبل) . ويجوز — نظرياً — أن ترد هذه التفعيلة في أبحر أخرى ، ولكن لا نكاد نجد ذلك الا في أمثلة العروضيين .

وحين يتوالى في أحرف القافية ثلاثة مقاطع قصيرة فهي من النوع المسمى بـ (المتكاوس) . وقد أحس القدماء بخروج هذا النوع من القوافي على المألوف .

قال « التبريزي » : (وإنما سمي متكائوسا للاضطراب ومخالفته المألوف ، ومنه كاست الناقة إذا مشت على ثلاث قوائم ، وذلك غاية الاضطراب والبعد عن الاعتدال)^(٣) .

أما المقاطع الطويلة فقد يتوالى منها أربعة ، وهو أمر مقبول مألوف ، كما في التكوين : (مستفعّلن مفعولن) والتكوين (فاعلاتن مستفعّلن فالاتن) وكما في كثير

(١) استعمال مصطلحي « المتحرك » و « الساكن » يؤدي هنا الى التسوية في عدد التحركات بين أربعة مقاطع قصيرة يليها مقطع طويل ، وخمسة مقاطع قصيرة لا يليها مقطع طويل ، كان تكون في نهاية شطر مثلاً . وهنا يتضح اللبس الذي يقع نتيجة لاستعمال مصطلحي الساكن والمتحرك . أما استعمال مصطلح المقطع ليعجنبنا هذا اللبس .

(٢) الجوهري — ص ٥٤ ، ٥٥

وأيضاً : ، الأخفش — ص ١٥٠

، حازم — ص ٢٥٤ ، ٢٥٥

(٣) الخطيب التبريزي : الكافي في العروض والقوافي (تحقيق الحساني حسن عبد الله) دار الكاتب العربي —

القاهرة — الإبداع بتاريخ ١٩٦٩ — ص ١٤٧ .

من أبيات « الحُب » (١)، وكما في الوزن المستحدث (مستفعلاتن مستفعلاتن) .
بل قد يتوالى في الشطر الواحد ثمانية مقاطع كما في الأبيات التي يستشهد بها
العروضيون مثل :

مالى مال إلا درهم أو برذونى ذاك الأدهم (٢)
، أهل الدنيا كل فيها نقلًا نقلًا ، دفنا دفنا (٣)
، يا ابن الدنيا ، مهلا مهلا زن ماتأتى وزنا وزنا (٤)

لكن توالى ما يزيد على أربعة مقاطع طويلة نادر في غير الشعر الجديد (شعر
التفعيلة) (٥) والمعاقبة هي توالى مقطعين طويلين يجوز بقاؤهما معا ولا يجوز أن
يتحولوا معا - بالزحاف - إلى مقطعين قصيرين ، لأن ذلك يؤدي الى زيادة نسبة
المقاطع القصيرة . فمثلا في وزن من أوزان المديد (فاعلاتن
فاعِلن) = (- ٧ - - - ٧ -) تكون المعاقبة بين المقطع الأخير في (فاعلاتن) والمقطع

(١) على سبيل المثال قصيدة شوقي : (مضناك جفاه مرقد) ومنها :

حيران القلب معذب مقروح الجفن مسهده
، يستهوى الورق تأوه ويذيب الصخر تأوده
، قد ودّ جالك أوقبسا حوراء الخلد وأمرده

(شوقي - ج ٢ - ص ١١١)

(٢) الجوهري : ص ٩١ .

(٣) الزمخشري ص ١٢٩

(٤) الزمخشري - هامش ص ١٢٩ (تعليق المحقق د . فخر الدين قباوة)

(٥) من ذلك قول « نزار قباني » في « الشجرة » :

احكى شيئا

قولى شيئا

غنى . ابكى . عيشى . موتى

كى لا يروى عفى يوما

أن حبيبة قلبى شجرة

(نزار قباني : أشعار خارجة على القانون - منشورات نزار قباني - بيروت ومكتبة مدبولي - القاهرة -

بدون تاريخ ص ٧٨ وما بعدها) .

الأول في (فاعِلن) ، فإذا زوحف المقطعان صارت التفعيلتان : (فاعلاتُ فعلن) = (٧ - ٧٧ ٧ -) ، ولهذا تمتنع مزاحفتها معا .

وفي الطويل تكون المعاقبة بين المقطعين الأخيرين في « مفاعيلن » = « ٧ - - - » ، فإذا زوحفا معا صارت التفعيلة « مفاعلُ = ٧ - ٧٧ » وصار الشطر :

(فعولن مفاعل فعولن مفاعل) = (٧ - - ٧ ٧٧ - ٧ - ٧ -) وهكذا^(١) . وكلّ هذا يدلّ على أنّ الشعر - كالنثر - يقبل توالى المقاطع الطويلة أكثر مما يقبل توالى المقاطع القصيرة .

ولعل تسمية المقطع الطويل بالسبب الخفيف ، والمقطعين القصيرين المتوالين بالسبب الثقيل ، من مظاهر ترجيح المقاطع الطويلة على المقاطع القصيرة في الشعر .

ومع ذلك كله فالعمل الشعري قد يخرج على المألوف في الشعر وفي اللغة معا ، فليس من الممتنع أن يخرج التكوين الوزني على هذه النسبة المعتادة ، إما بترجيح المقاطع القصيرة أو بزيادة ترجيح المقاطع الطويلة إلى حد غير مألوف . والعلاقة بين التكوين الإيقاعي ولغة النثر من حيث النسبة بين المقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة - من أهم العوامل التي تصنع ملامح التكوين كما سنرى في الفصل القادم .

٨ -

يلاحظ أن للتفاعيل^(٢) في الشعر العربي حدودا معينة ، فهي تتراوح بين مقطع واحد وستة مقاطع . ولكن أكثر التفاعيل تتراوح بين ثلاثة مقاطع وخمسة مقاطع . أما التفاعيل المكونة من مقطع واحد (فَعْ) أو من مقطعين (مفعو أو فَعْلن) أو من ستة مقاطع (متفاعلاتن) فهي قليلة أو نادرة جدا . (وإن كانت «فَعْلن» قد انتشرت كثيرا في شعر التفعيلة) .

(١) تذكر المعاقبة بعض كتب العروض القديمة ، وقد فصلها «الدمهري» ، وذكر - عند تناول كل بحر -

ما قد يكون فيه من المعاقبة .

(٢) والمقصود التفاعيل بكل صورها سواء أكانت سالمة أم دخلها زحاف أو علة .

وللتراكيب الوزنية صور محددة ذكرها العروضيون ، وهى أيضا تنحصر فى حدود معينة ، فهى تتراوح بين تفعيلتين وأربع تفعيل فى الشطر الواحد . أما ما يتكون شطره من تفعيلة واحدة فهو نادر جدا فى الشعر العمودى .

ومن ناحية أخرى تتخذ التفاعيل صيغا معينة يمكن حصرها . فبالإضافة إلى التفاعيل الثمانى المشهورة^(١) نجد التفاعيل التى تُعدّ صورا منها دخلها الزحاف أو العلة أو اجتمع فيها الزحاف والعلة ، وهى — على كثرتها — محدّدة ، حصرها « الزمخشري » فى « القسطاس »^(٢) .

وكذلك التكوينات الوزنية لها صور محددة ، وهى — بالطبع — لا تقتصر على البحور الستة عشر فى صورها المشهورة ، بل تشمل ما يُعدّ فروعا لها من التكوينات الثامنة التى تحالفها فى الأعراف أو الأضراب ، وتشمل أيضا الصور التى تعد مجزؤة أو مشطورة أو منهوكة . وقد عدّ « الصاحب » للشعر العربى أربعاً وثلاثين عروضا وثلاثة وستين ضربا^(٣) .

فلماذا تحددت التفاعيل والتكوينات فى هذه الحدود وفى هذه الصيغ والصور ؟

لماذا لم نجد تفعيلة مقاطعها أكثر من ستة ؟ ولماذا لم نجد فى الشعر العمودى تفعيلة ذات صيغة أخرى غير هذه الصيغ ؟ لماذا لم نجد مثلا : مفاعيلتين أو متفاعيلين أو مستفعلتين ؟ ولماذا لم نجد وزنا يتكون شطره من خمس تفعيل أو أكثر ؟ ولماذا لم نجد تكوينا على الصورة : (فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن) أو (مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن) أو (فاعلن فعولن فاعلن فعولن) أو (متفاعلن مفاعلتن) أو (مفاعلتن متفاعلن) أو (فاعلن فاعلن مستفعلن) ، أو غير ذلك من تكوينات ؟

هل نقول إن الصيغ والتكوينات الوزنية — مثل مفردات اللغة — مجرد اصطلاحات اعتباطية عشوائية ؟ لا يمكن قبول هذا رأى ، فللوزن وظيفة جمالية تعبيرية ، ولا بدّ أنّ بعض الصيغ والتكوينات مقبول وبعضها مرفوض من وجهة النظر الجمالية .

(١) أو العشر إذا اعترفنا بالتفعيلتين « مستفع لن » و « فاع لاتن » .

(٢) الزمخشري — ص ٢٥ وما بعدها .

(٣) الصاحب : ص ٤

ولكن الصيغ والتكوينات التي يمكن أن تقبل ، أكثر من أن تحصر ، وربما اختار الرواد الأوائل من بين هذه الصيغ والتكوينات المقبولة ما ناسب ميولهم ، أو ما ناسب تجاربهم الشعرية ، ثم تبعهم من جاء بعدهم ، حتى ثبتت هذه الصيغ والتكوينات بتأثير العادة والألفة ، فلم يُقبل الشعراء على غيرها إلا قليلا . وقد ظهرت تفعيلة لم يستعملها القدماء هي « مستفعلاتن » ، يتكوّن منها الوزن الذي سماه « حازم » بـ « الدخيل »^(١) . وظهر — إلى جانب الدخيل — وزن يتكون شطره من : (مستفعلن فاعلن فاعلن)^(٢) . وقبلها ظهر على يد أبي العتاهية بحر يتكون شطره من (فاعلن متفعلن فاعلن متفعلن)^(٣) . وفي الموشحات ظهرت صيغ وتكوينات لا تحصى .

فالصيغ والتكوينات الوزنية لا تنحصر فيها حدده العروضيون القدماء ، وباب الاجتهاد في خلق الصيغ والتكوينات لم يغلق .

وقد حاول « الزخشرى » أن يبين « قواعد » التزاوج بين التفاعيل في الشطر الواحد ، ولكنه قصّر قواعده على الأوزان في صورها « الدائرية » . فالرمل عنده تكرر خالص ، لأنه في الدائرة (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) ، وإن كان في الواقع غير ذلك .

وكذلك « زكى عبد الملك » ذكر أن التكرار هو قاعدة التكوينات الوزنية ، وهو إما تكرر خالص كما في « المتقارب » و « المتدارك » ، أو تكرر مفصول كما في « الخفيف » ، أو تكرر مذيّل^(٤) كما في « السريع » . ولكن هذه القاعدة تنطبق على الأوزان التي سماها « معيارية » standard ، وهي صور شبه مثالية للأوزان

(١) حازم : ص ٢٣٨ .

(٢) حازم : ص ٢٤١ .

د . محمد عبد المجيد الطويل : في عروض الشعر العربي ، قضايا ومناقشات - نادي أبها الأدبي - أبها - ط ١ - ١٤٠٥ هـ - ص ١٣٩ .

(٣) د . محمد محمود الدش : أبو العتاهية ، حياته وشعره ، القاهرة - ١٩٦٨ م - ص ٢٨١ وما بعدها .

(٤) المقصود بالتذييل هنا أن يلى التفعيلتين المكررتين تفعيلة مخالفة لهما ، وللتذيل معنى آخر في المصطلح العروضي ليس هو المقصود هنا .

الحقيقية تناظر الصور « الدائرية » عند القدماء ، ولذلك تصدق على بعض الأوزان الواقعية دون بعض ، فهي لا تصدق على التكوينات الآتية مثلا : (مستفعلن فاعلن فعولن) و (فاعلاتن فاعلن فعولن) و (مستفعلن مفعولات مستعلن) و (مفاعيل فاعلاتن) و (مفعولات مستعلن) و (مستفعلن فاعلاتن) و (فاعلاتن فاعلن) .

أما « حازم » فقد حاول أن يضع قاعدة تحكم اقتران التفاعيل . والتراكيب التي وضعها العرب هي عنده أفضل ما يمكن وضعه من تراكيب^(١) . قال حازم إن التركيبات المناسبة إنما تكون باقتران المتماثلات والمتضارعات ، ولا يقع في اقتران المتضادات والمتنافرات تركيب متناسب أصلا^(٢) .

والتماثل معروف ، أما التضارع فكلمة فضفاضة يمكن القول إنها تشمل أى قدر من التشابه الجزئى فى الحركات والسكنات . فالتضارع في تعريفه هو أن يكون ترتيب جزء ما (أى تفعيلة) يماثل ترتيب صدر جزء آخر ، نحو (فعولن ومفاعيلن) أو يماثل ترتيب الجزء عجز جزء آخر نحو (فاعلن ومستفعلن) ، أو تكون نسبة صدر الجزء إلى صدر الجزء ... فيما ينقص عنه نسبة عجزه إلى عجز الآخر أيضا فيما ينقص عنه نحو (فاعلن ومفاعلتن)^(٣) ، أو يكون صدر أحدهما يماثل صدر الآخر أو يماثل عجزه أو عجزه صدره^(٤) .

ومع ذلك ذكر حازم أن التركيبين (مفاعيلن فعولن) و (فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن) قد رفضا لأن (أحسن التركيب ما وضع فيه أحد المتضارعين مما يلي الحيز الذى ضارعه من صاحبه نحو وضع الطويل والبسيط)^(٥) ، ففى الطويل تتماثل (فعولن) مع القسم التالى لها من التفعيلة الأخرى (مفاعيلن) ، وفى

(١) حازم ص ٢٣٢ .

(٢) حازم ص ٢٤٧ .

(٣) يقصد حازم أن صدر التفعيلة الأولى (فا) وصدر الثانية (مفا) ، والفرق بينهما حرف متحرك ، وكذلك عجز الأولى (علن) وعجز الثانية (علتن) والفرق بينهما حرف متحرك ، أى أنه يساوى الفرق بين الصلدين .

(٤) حازم : ص ٢٤٧ .

(٥) حازم : ص ٢٤٨ .

البسيط يتمثل (تفعّلن) مع التفعيلة التالية له (فاعلن) . وهما من أحسن التراكيب في رأيه ، لأن التفعيلة تجاور الجزء الذى يماثلها في كل منها .

والتفعليلتان (مفاعلتن) و (متفاعلتن) في رأيه متضادتان لا يتركب منها تكوين متناسب أصلاً^(١) .

ولكن التكوينات (مفاعيلن فعولن) و (فاعلن مستفعّلن فاعلن مستفعّلن) و (مفاعلتن متفاعلتن) و (متفاعلتن مفاعلتن) يتحقق في كل منها نوع من التضارع بالمعنى الذى شرحه .

أى أنه لم يستطيع أن يضع « قاعدة » مطردة تفسر قبول بعض التكوينات ورفض بعضها الآخر .

ويبدو أن هذا القبول وهذا الرفض لهما ما يشبههما في غير الشعر ، فالناس يستحسنون صوت هذا الطائر وينفرون من ذاك ، ويحبّون التجاور بين بعض الألوان ولا يحبون التجاور بين ألوان أخرى ، ويفضلون « المستطيل الذهبى » والمستطيل جزر « ٥ » على غيرهما من المستطيلات ، وعلى المربعات^(٢) .

وقد يبدو أن الميل إلى بعض التكوينات هو نتيجة للتأثر ببعض الأشكال الطبيعية ، فالميل إلى التماثل قد يكون ناشئاً عن تأثر الإنسان (بشكل بنيته ، فإدراكنا لأنفسنا واعين أو غير واعين يجعلنا نتقبل كل ما تتمثل في تكوينه القوانين التى تتمثل في بنيتها)^(٣) . ولكن الميل إلى بعض آخر قد يفسّر بأنه ميل طبيعى فطر

(١) حازم : ص ٢٤٧ وما بعدها

(٢) المستطيل الذهبى هو الذى تكون النسبة بين عرضه وطوله ١ : ١,٦١٨ ، والمستطيل جزر « ٥ » تكون

هذه النسبة فيه ١ : ٢,٣٦ ، ٢

(شارل لالو : مبادئ علم الجمال (ترجمة خليل شطا) - دار دمشق - دمشق - ١٩٨٢ - ص ١٦

وما بعدها

، د . رشيدان ود . فتح الباب ص ٨٧) .

(٣) د . عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربى - القاهرة - ١٩٥٥ م - ص ١٢٤ .

، د . رشيدان ود . فتح الباب ص ٨٧ .

الإنسان عليه ، أو ترسب في اللاشعور الجمعى نتيجة لتجارب قديمة مجهولة^(١) .
ومهما يكن تفسيرنا لهذه التكوينات وتعليلنا لإيثارها في الشعر العربى ، فلا شك
أنها ليست نهاية المطاف ، أولا لأنها لم تستوعب كل ما يمكن قبوله من تكوينات ،
وثانيا لأن ميل الناس إلى بعض التكوينات دون بعض ليس ميلا فسيولوجيا ، أو على
الأقل ليس فسيولوجيا خالصا ، فأفكار الناس ومشاعرهم تتدخل تدخلا مؤثرا .
ولهذا نجد بعض التكوينات يشيع ويسود في عصر ما ثم ينزوى ويدبل في آخر . وقد
استحدثت - بالفعل - تكوينات لم يعرفها القدماء كما ذكرت من قبل .



(١) حاول بعض المفكرين أن يفسر تفضيل المستطيل الذهبى بأنه ميل إلى التوازن بين الوحدة والتنوع ،
فالمربع يمثل الوحدة ، والمستطيل الذى يزيد طوله عن عرضه زيادة مفرطة يمثل التنوع ، والمستطيل
الذهبى يمثل التوسط بين الطرفين (لا لو - الموضع نفسه) .
ولكن هذا القول لا يفسر الميل إلى المستطيل جزر (٥) الذى يعظم فيه الفرق بين العرض والطول .

الفصل الثانى

التكوينات

١ -

الحديث عن خصائص الأوزان الشعرية وتمييز بعضها عن بعض ليس جديداً ، وليس خاصاً باللغة العربية . وقد أشار «أرسطو» إلى ثلاثة من أوزان الشعر اليونانى ، هى : «السداسى» و «الإيامبى» و «التروخائى» ، فقال عن السداسى إنه قد «أثبت صلاحه للملحمة بحكم التجربة . فلو أن قصيدة روائية نظمت فى وزن آخر أو فى جملة أوزان لهدت نافرة قلقه ، ذلك بأن الوزن السداسى هو أوزن الأوزان وأبهاها ، وأنه أكثرها قبولا للغريب والاستعارة ، وهما بعض ما تتميز به المحاكاة الروائية .

أما الوزن الإيامبى والوزن التروخائى فوزنان تشيع فيهما الحركة ، فأحدهما مناسب للرقص ، والثانى مناسب للعمل . الخ (١) .

وقال إن العروض الإيامبى هو أليق الأعارىض بالحوار ، والدليل على ذلك أنه كثيراً ما يتفق لنا فى أحاديثنا كلام موزون على العروض الإيامبى ، فى حين أن الوزن السداسى لا يتفق إلا فى الندرة ، وعندما نعدل عن نبرة الكلام العادى (٢) . ولبعض دارسى الشعر الإنجليزى آراء مماثلة ؛ فعند صاحب كتاب *Understanding Poetry* أن الأبيات التى تتكون من ثلاث تفاعيل أو أقل ، والأبيات التى تتكون من ست

(١) د . شكرى عياد : كتاب «أرسطو طاليس» فى الشعر - دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٩٦٧ م -

ص ١٣٦ .

(٢) السابق . ص ٤٢ ، ٤٤ .

تفاعيل أو أكثر هي أقل الأبيات شيوعاً في الإنجليزية ، فالأبيات القصيرة جداً تميل إلى اتخاذ طابع الطيش والاندفاع Jerky والأبيات الطويلة جداً تميل إلى الرتوب .

وقد أيد الرأي الشائع بأن الوزن الإيامي هو الوزن الطبيعي في اللغة الإنجليزية ، ومحاولة اتخاذ أوزان أخرى بدلاً منه هي - في رأيه - محاولات تجريبية ، كأنما كان الشعراء يريدون أن يخالفوا للمجرد المخالفة .

وعنده أن تتابع التفاعيل التروكية يعطى جوا مصطنعاً فيه شيء من الحزن ، وأن الأوزان الأخرى تهزنا بما فيها من طابع تجريبي ، وهي لا تستعمل إلا في حالات استثنائية ؛ « فالأنابست » - مثلاً - يستعمل حين يريد الشاعر أن يحقق إيقاعاً سريعاً راقصاً . وهو وزن يبدو مصطنعاً ، كما يبدو - إلى حد ما - خشناً غير مهين . وليس من السهل أن يستعمل بشكل يبدو وقوراً ، لأنه الوزن الأساسي لنوع من القصائد الهزلية Limerick^(١) .

أما صاحب كتاب Poetic-Meter فذكر أن للوزن طابعاً مميزاً يرجع إلى ارتباط الوزن بمعان معينة ؛ ففي الشعر المسمى Limerick على سبيل المثال ارتبط وزن الأنابست ذو الأبيات القصيرة بمعانٍ تميل إلى الخروج على الأدب والاحتشام ، حتى صار من الصعب أن يستعمل هذا الوزن في أي غرض دون أن يثير الابتسام . ولو « ترجم » عمل من نوع الـ Limerick إلى الوزن الإيامي مثلاً فسوف يختفى ما فيه من فكاهة .

وإذن فقد ارتبط هذا الوزن بالفكاهة .

والأوزان ذات التفعيلة الثلاثية عموماً (الأنابستية والداكتيلية) تتضمن على نحو غامض شيئاً بهيجاً أو فكاهياً أو خفيفاً أو سطحيّاً^(٢) .

وقد أدرك العرب منذ عهد بعيد تمايز بعض أوزان الشعر عن بعض . ولعل أقدم ما يدل على ذلك تمييزهم منذ العصر الجاهلي بين الرجز والقصيد . وروى « الأخفش » أنه سمع كثيراً من « العرب » يقول : جميع الشعر قصيد ورمل

Reaves, op. cit. p. 146-149.

(١)

Fussell, Op. cit. p. 15.

(٢)

ورجز ؛ أما القصيد فالطويل والبسيط والكامل التام والمديد التام والوافر التام والرجز التام ، وهو ما تغني به الركبان ، ولم نسمعهم يتغنون إلا بهذه الأبنية . وقد زعم بعضهم أنهم كانوا يتغنون بالخفيف . والرمل كل ما كان غير هذا من الشعر وغير الرجز فهو رمل .

والرجز عند العرب كل ما كان على ثلاثة أجزاء ، وهو الذي يترنمون به في عملهم وسوقهم ويحدون به^(١) .

ومن الواضح أن هذا التقسيم كان أساسه الإحساس بملامح ووظائف لكل مجموعة من الأوزان تميزها عن غيرها . ويلاحظ أنهم — فيما روى الأخفش — قد ميّزوا بين الصور التامة والصور غير التامة حين نظروا إلى الكامل والمديد والوافر والرجز ، فلم ينظروا إلى « البحر » كأنه تكوين واحد ، كما فعل بعض العروضيين والنقاد بعد ذلك .

والأسماء التي أطلقت على بعض البحور تدل إلى حد ما على إدراك لبعض ملامح هذه البحور ، وكذلك تعليلاتهم لهذه التسميات ؛ روى عن « الخليل » أن الهزج سُمي بذلك تشبيها له بهزج الصوت ، أي تردده وقيل إنه كان كذلك لأن أوائل أجزائه وأوتاده يعقب كلا منها سببان « خفيفان » ، وهذا مما يُعين على مدّ الصوت . وقيل أيضا إنه سُمي هزجا لطيبه ، لأن الهزج ضرب من الأغاني وفيه ترنم ، والعرب كثيرا ما تهزج به ، أي تغني^(٢) . وروى عن « الخليل » أيضا أنّ الرجز سُمي كذلك لا اضطرابه ، والعرب تسمى الناقفة التي ترتعش فخذها رجاء . وإنما كان مضطربا لأنه يجوز حذف حرفين من كل جزء منه ، ويكثر فيه

(١) الأخفش : القوافي (تحقيق د . عزة حسن) — دمشق ١٩٧٠ — ص ٦٨ ، ويلاحظ أن الأخفش استعمل تعبير « المديد التام » ، والمعروف في مصطلح العروضيين أن « المديد » لا يرد تأما ، لأن الأصل فيه — كما افترضوا — هو (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن) . ولعل « الأخفش » كان يقصد بالمديد التام (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) دون اعتداد بذلك الأصل المفترض . والوافر — عند بعض العروضيين — لا يوصف بالتام كذلك ، لأن التام ، (يستوفى دائرته) [الزنجشري — ص ٦٧] .
ويلاحظ — أيضا — أن « الأخفش » قد استعمل مصطلحات « القصيد » و « الرمل » و « الرجز » في غير المعاني المتعارف عليها عند العروضيين .

(٢) اللمهيري — ص ٥١ .

دخول العلل والزحافات والشطرنج والنهك والجزء ، فهو أكثر البحور تغيراً فلا يثبت على حال واحدة ، لأنّ بكلّ جزء منه سببين خفيفين فيكون فيه حركة فسكون .

وقال « ابن دريد » إنه سمى رجزاً لتقارب أجزائه وقلة حروفه ^(١) .

وذكر « الدهمهورى » فى تعليل تسمية « المنسرح » بهذا الاسم ، أنه سمى بذلك لانسراحه أى سهولته على اللسان ، أو لانسراحه عما يأتى فى أمثاله ، أى مفارقتها لها ، لأن « مستفعلن » ذات الوجد المجموع إذا وقعت ضرباً ، فلا مانع من أن تأتى سالمة ، إلا فى « المنسرح » ، فإنه امتنع أن تأتى فيه إلا مطوية ^(٢) .

وقد تحدث حازم عن خصائص البحور وملاحظها . وعنى بهذا الموضوع — كذلك عدد من المعاصرين .

٢ —

والسؤال الذى يريد البحث طرحه هنا : هل من الصحيح أن كل بحر يتسم بسمات خاصة تجعل له شخصية خاصة وتعطيه طابعاً تعبيرياً مميزاً ، فيكون أكثر ملاءمة لبعض الأغراض أو لبعض المعانى ؟ قد يساعد على الإجابة عن هذا السؤال أن نتبع آراء العروضيين والنقاد فى بعض البحور . وقد اخترت عدداً من البحور التى تناولها حازم وطائفة من المعاصرين ، وهى من أكثر البحور انتشاراً ، وراعى أن أجمع بين بحور تختلف فيما بينها اختلافات بينة ، فبعضها ذو تفعيلتين وبعضها ذو ثلاث وبعضها ذو أربع ، وبعضها كان شائعاً فى العصور القديمة ثم قل استعماله فى العصر الحديث كالطويل ، وبعضها لم ينتشر إلا فى شعر التفعيلة كالحبيب ، وبعضها تغلب على صورته السالمة من الزحاف — المقاطع القصيرة ، وبعضها تغلب على صورته السالمة — المقاطع الطويلة .

(١) الدهمهورى — ص ٥٩ .

(٢) الدهمهورى — ص ٥٩ .

وقد نظم بعض العروضيين أبياتاً تعليمية فى العروض كقولهم :

بحور الشعر وأفرها جميل مفاعلتن مفاعلتن لمول

وقد رأيت أن أغض النظر عنها ، لأن الناظم هنا قد لا يعبر عن رأى حقيقى فى خصائص البحر ، بل كان همه الأول أن يصوغ كلمات منظومة يسهل حفظها للتذكير بالبحر وتفاعيله .

ويلاحظ أن مفهوم « البحر » ليس واحداً عند من تناولوا هذا الموضوع ، فبعضهم كان يقصد البحر في صورته التامة ، وبعضهم كان يفرق بين الصورة التامة والصورة المجزوءة من البحر .

وفيما يلي عرض مختصر لأرائهم في كل بحر على حدة :

الطويل

(أ) - حازم : من الأعاريض الفخمة الرصينة التي تصلح لمقاصد الجد ، كالفخر ، ومن شأن الكلام أن يكون نظمه فيه جزلاً^(١) . وهو البسيط أعلى البحور نصيباً من الافتنان فيهما^(٢) . وفيه بهاء وقوة^(٣) .

(ب) - البستاني : بحر خضم ، يستوعب ما لا يستوعب غيره من المعاني ، ويتسع للفخر والحماسة والتشايه والاستعارات وسرد الحوادث وتدوين الأخبار ووصف الأحوال . ورَبّاً في شعر المتقدمين لأن قصائدهم كانت أقرب إلى الشعر القصصي من المولدين^(٤) .

(ج) الطيب : هو والبسيط أطول البحور وأعظمها أهبة وجلالة ، وفيها رصانة .

والطويل أفضلهما وأجلهما . وهو أرحب صدرا من البسيط ، وأطلق عنانا ، وألطف نغماً . وخفاء الجرس فيه جعله أكثر الأوزان صلاحية للأوصاف الملحمية ذات الصلة بتراث الماضي وتاريخه . وهو بحر الجلالة والنبالة والجد ، أو هو بحر العمق . والعبث الغزلي لا يستقيم فيه ، وإنما يصلح فيه الغزل إذا ما زجته نفحة من جد وعمق . وما هو عميق جداً وجاداً حقاً ويستقيم على الطويل كل الاستقامة شعر الفكاهة الخالص لها^(٥) .

(١) حازم - ص ٢٠٥ .

(٢) حازم - ص ٢٦٨ .

(٣) حازم - ص ٢٦٩ .

(٤) سليمان البستاني : إلياذة هو ميرس (معربة نظماً ، وعليها شرح تاريخي أدبي) - دار إحياء التراث العربى ودار أمّعة - بيروت - بدون تاريخ - مجلداً - ص ٩١ .

(٥) عبد الله الطيب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها - دار الفكر - بيروت ط ٢ - ١٩٧٠ - ص ٣٦٢ إلى ٤١٤ .

(د) د . حميد : يناسب جزالة اللفظ ، وطول النفس ، والأغراض التي اهتم بها العرب من الحماسة والهجاء (١) .

(هـ) سفر أغا : من الأبحر التي كثر استعمالها ، ويتسع لكثير من المعاني وخصوصا الرثاء والوصف والتاريخ (٢) .

(و) الراضي : يمتاز بالرصانة والجلال في نغماته وذبذباته المنسابة الهادئة . أصلح البحور للموضوعات الجدّية التي تحتاج إلى طول النفس والروية ، كالمديح والرثاء والعتاب والفخر والاعتزاز . وكانت العرب تسميه الركوب ، لكثرة ما كانوا يركبونه (٣) .

(ز) د . خلوصي : أهم الأغراض التي يستعمل فيها : الحماسة والفخر والقصص ، ولذلك كثر في الشعر الجاهلي ، لأنه أقرب إلى الأسلوب القصصي من شعر المولّدين (٤) .

(ح) العياشي : إيقاع ثقيل . وهو أكبر الإيقاعات تلاؤما مع أغراض الجدل والرصانة والوقار ، كالمديح والحكمة والاعتذار والعتاب (٥) .

(ط) - د . عبده بدوي : هو والبسيط من أطول البحور وأحفلها بالجلال والرصانة والعمق . وهو يعطى إمكانات للسرد والبسط القصصي والعرض الدرامي . وفيه بهاء وقوة (٦) .

(١) د . بدير متولي حميد - ص ٣٣ .

(٢) عمر توفيق سفر أغا : علم العروض - دار الرشاد - البلد غير مذكور - ١٩٦٩ م - ص ٣٣ .

(٣) عبد الحميد الراضي : شرح تحفة الخليل في العروض والقافية - مطبعة بغداد - ١٩٦٨ - ص ١٠٤ .

(٤) د . خلوصي - ص ٤٤ .

(٥) العياشي - ص ٢٩١ وفيها نقلته عن العياشي تركت مصطلحاته الخاصة واستبدلت بها المصطلحات المعروفة . فهو يسمي « الطويل » مثلا « الدائر الطويل » . وحين يُعَدُّ الوزن المعروف بصورة محرفة عن أصل قديم منقرض - كما قال عن الطويل - فالذي نقلته هنا وصفه لهذا الوزن المعروف « المحرف » ، أما وصفه للأصل المنقرض فقد تركته .

والخفة في مصطلح « العياشي » تقوم على كثرة المقاطع القصيرة ، على العكس من الثقل .

(٦) د . عبده بدوي : دراسات في النص الشعري - العصر العباسي دار الرفاعي - الرياض ١٩٨٤ م - ص ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢٥٢ .

البسيط

(أ) حازم : من الأعاريض النمخمة الرصينة التي تصلح لمقاصد الجدد كالْفخر^(١) . وهو والبسيط أعلى البحور درجة من الافتنان فيهما^(٢) . له سبابة وطلاوة^(٣) .

(ب) البستاني : يقرب من الطويل ، ولكنه لا يتسع مثله لا ستيعاب المعاني ، ولا يلين لينه للتصرف بالتراكيب والألفاظ ، مع تساوى أجزاء البحرين . وهو من وجه آخر يفوقه رقة وجزالة . ولهذا قل في شعر الجاهل بن وكثر في شعر المولدين^(٤) .
(جـ) الطيب :

— البسيط الوافي : هو أخو الطويل في الجلال والروعة ، والطويل أعدل مزاجا منه . وفي البسيط دندنة تمنع أن يكون خالص الاختفاء . ولا يكاد روح البسيط يخلو من أحد النقيضين ؛ العنف أو اللين . وتكاد صيغته تكون إنشائية إذا افترضنا في الطويل صيغة خبرية . وهذا مجرد تقريب وتمثيل^(٥) .

— الوزن : مستفعلن فاعلن مستفعلن : من النمط الصعب . وهو قديم مهجور . مات منذ العهد الإسلامي . بدوى قريب من الرجز^(٦) .
— مستفعلن فاعلن : من البحور الشهوانية^(٧) .

— المخلع (مستفعلن فاعلن فعولن) : موسيقاه بسيطة فطرية ، وفيه نوع من اضطراب وحجّان بين الخفة والثقل . كرهته أذواق المتأخرين إلا قليلا ، لأنه فيها يبدو نغم بداوة ، لا يصلح للشّدو وما إليه^(٨) .

(د) د . حميد : من الأوزان الدائرة كثيرا في الشعر العربي لطول نفسه .

(١) حازم — ص ٢٠٥ .

(٢) حازم — ص ٢٦٨ .

(٣) حازم — ص ٢٦٩ .

(٤) البستاني — ص ٩١ .

(٥) الطيب — ص ٤١٤ .

(٦) الطيب — ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٧) الطيب — ص ٨٤ .

(٨) الطيب — ص ٨٤ وما بعدها .

ويناسبه منها ما يحتاج إلى الجزالة والقوة^(١) .

(هـ) الراضى : يعمدون إليه في الموضوعات الجديدة . وهو في ذلك أقرب إلى الطويل .

هذا في الثام منه بنوعيه الأول والثاني . أما مجزوؤه ففيه إيقاع ثقيل مضطرب ، وضرب منه « قدامة » المثل لقبح الوزن . غير أن المحدثين في العصر العباسي استحسنا المخلع واستخفوه^(٢) .

(و) د . خلوصى : قريب من الطويل ، ولكنه لا يتسع لأغراض كثيرة ، ولو أنه يفضل عليه من حيث الرقة . ولهذا نجده أكثر توافرا في شعر المولدين منه في شعر الجاهليين^(٣) .

(ز) العياشى : ترجح فيه كفة الثقل ، خصوصا حين ينتهى البيت بمقطعين طويلين (فعلن) ، وهو كالطويل في ملاءمته لأغراض الرصانة والجد ، وبخاصة المدح^(٤) .

(ح) د . عبده بدوى : يتفق مع الشجن والتذكر والخنين . يكثر في الشعر الدينى ، وبخاصة ما قيل في مصر ، لانبساط الحركات في عروضه وضربه إذا خبنا ، أو لانبساط الأسباب في أوائل أجزائه السباعية على نحو ما رأى « الزجاج » . ونحن نعلل لهذا بطراعية هذا البحر للإنشاد ، وبخاصة الإنشاد الدينى ، فهو يعطى التمرج والانسياية والإيقاع الذى يعطى النفس حالة من حالات السمو والصفاء^(٥) . وهو والطويل من أطول البحور وأحفلها بالجلال والرصانة والعمق^(٦) . وهو يتفق وحالات الحزن الرفيع والانكسار المتعالى^(٧) . أما « المخلع »

(١) د . حميد - ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) الراضى - ص ١٣٨ .

(٣) د . خلوصى - ص ٦٨ .

(٤) العياشى - ص ٢٩٧ .

(٥) د . عبده بدوى - ص ٧٢ - ويلاحظ أنه ذكر تفسيرين متناقضين لطابع البحر ، أحدهما كثرة المقاطع القصيرة في العروض والضرب المخنن ، والآخر كثرة المقاطع الطويلة في « مستعلن » .

(٦) د . عبده بدوى - ص ١١٦ .

(٧) د . عبده بدوى - ص ١٨٠ .

ففى موسيقاه خلل ، فنحن لا نجد فيه التناغم والإشباع الموسيقى الذى يظهر فى البحر تاما ، أو الذى يظهر فى البحور الصافية^(١)

الوافر

(أ) حازم : الوافر والكامل يتلوان الطويل والبسيط فى درجة الافتنان فيها^(٢) .

(ب) البستاني : ألين البحور ، يشتد إذا شدته ويرق إذا رققته . وأكثر ما يجود به النظم فى الفخر كمعلقة « ابن كلثوم » . وفيه تجود المراثي^(٣) .

(ج) : الطيب توالى المقاطع القصيرة فيه يكسبه نوعا من الثقل . ويحتال الشاعر على هذا الثقل بالعصب . فيه تدفق ، وفى آخره ابتثار يكسبه رنة قوية . يصلح للأداء العاطفى ، سواء فى الغضب والحماسة أم فى الغزل والحنين . والوافريات ذات أساليب تغلب عليها الخطابة . وأصلح ما يصلح فيه البكائيات والغضب والتفخيم والنوادر والنكت . وهو — لحفته وسرعته وقوته — من أصلح البحور للقطع^(٤) .

(د) الراضى : التام فيه يمتاز بالتدفق وتلاحق الأجزاء وسرعة النغمات ، فهو وزن خطابي يشتد إذا شدته ويرق إذا رققته . يصلح للفخر والهجاء والمدح ، وأيضا للغزل والرثاء ، وما إليها . المجزوء منه يصلح للغناء والأناشيد^(٥)

(هـ) د . خلوصى : وهو من أكثر البحور مرونة . يشتد ويرق كيفما تشاء ، وأجود ما يكون فى الفخر والرثاء^(٦)

(و) العياشى : يتلاءم مع غرض الحماسة ، وكل المواضيع الجدّية^(٧)

(١) د . عبده بدوى — ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) حازم — ص ٢٦٨ .

(٣) البستاني — ص ٩٢ .

(٤) الطيب — ص ٣٤٧ .

(٥) الراضى — ص ١٥٣ .

(٦) د . خلوصى — ص ٨٤ .

(٧) العياشى — ص ٢٧٧ .

(ز) د . بدوى : يتفق مع حركة السير السعيد في « شعب بوان »
للمتنبي^(١) . يصلح للإشاد ذى الترجيع والنواح والندب والانكسار ، وبخاصة
حين تتحول مفاعلتين إلى مفاعيلين ، وحين تكثر أصوات اللين ، ولا سيما في
الكلمات المتكررة^(٢) .

الكامل

(أ) حازم : من شأن الكلام أن يكون نظمه فيه جزلا^(٣) . والكامل والوافر
يتلوان الطويل والبسيط في درجة الافتنان فيهما ، ومجال الشاعر فيه أفسح من
غيره^(٤) . فيه جزالة وحسن اطراد^(٥) .

(ب) البستاني : يصلح لكل نوع من الشعر ، وهو أجود في الخبر منه في
الإشياء ، وأقرب إلى الشدة منه إلى الرقة . وإذا دخله الخلد وجاد نظمه بات مطربا
مرقصا ، وكانت به نبرة تهيج العاطفة . وكذلك إذا اجتمع فيه الخلد والإضمار^(٦) .

(جـ) الطيب : أكثر البحور جلعلة وحركات ، كأنما خلق للتغنى ، ولذا
لا يصلح للحكمة والفلسف . وفيه مذهبان : الفخامة والجزالة ، أو الرقة
واللطف . ويصلح للعواطف البسيطة كالغضب والفرح . وسر الصناعة فيه تنوع
النسبة بين الحركات والسكنات . ومن عجيب أمره أن الرثاء قل أن يصلح فيه إن لم
يكن نوحا ونفجعا^(٧) .

— المجزوء — (متفاعلتين متفاعلتين) نشيدى ترنمى ، والقصار فيه أوقع من
المطولات .

— المجزوء المذيل والمرفل : يشبهان المجزوء السابق في روح الترنم والنشيد ،

(١) د . عبده بدوى — ص ٧ .

(٢) د . عبده بدوى — ص ٢٣٩ .

(٣) حازم — ص ٢١٥ .

(٤) حازم — ص ٢٦٨ .

(٥) حازم — ص ٢٦٩ .

(٦) البستاني — ص ٩٢ .

(٧) الطيب — ص ٢٤٦ ، ٢٦٦ وما بعدها .

ويزيد ان عليه بشيء من أناة^(١) .

— الكامل ذو العروض الحذاء والمضمرة : من أوزان اللين والترقق . يجفوان
عن الخطابة ويناسبان الحوار الظريف والوصف القصصى والخطاب الرقيق ،
ويصلحان للتغنى ، ولا يصلحان للعمق والغموض^(٢) .

(د) سفر آغا : يتسع لأغلب الموضوعات الشعرية وخصوصا القصصية
منها^(٣) .

(هـ) الراضى : يصلح لأكثر الموضوعات الشعرية ، ويمتاز بجرس واضح
ينبعث من هذه الحركات الكثيرة المتلاحقة التى تكاد تنحوبه نحو الرتابة لولا
ما يعتورها من كثرة الإضممار . وأحد الكامل أصلح من تأمه فى موضوعات الرقة
واللين ، لما فيه من نبرة شنجية مطربة^(٤) .

(و) د . خلوصى : يصلح لكل غرض من الأغراض ، ولذلك كثر فى شعر
القدامى والمحدثين . ويجود فى الخبر أكثر منه فى الإنشاء . وهو إلى الشدة أقرب منه
إلى الرقة^(٥) .

(ز) العياشى : وزنه خفيف ولكنه دون خفة أبهر أخرى كالخب . ويتلاءم
مع أغراض الحماسة والفخر ووصف المعارك وتصوير حركة الخيل . فإذا كان ختمه
ثقيلًا (أى إذا انتهى شطره بعنصرين ثقلين أو أكثر) تلاءم مع الرثاء والأغراض
الجدية والمواضيع الوجدانية^(٦) .

(حـ) د . عبده بدوى : فيه طواعية للعديد من الأغراض الواضحة
والصريحة . وهو مترع بالموسيقى ويتفق مع الجوانب العاطفية المحتدمة . ويجمع بين
الفخامة والرقة . ولهذا لا يناسب الحكمة والفلسفة . والحركات فيه تغلب على
السكنات ، وهذا يؤكد جانب الجزالة . فإذا كثرت السكنات وساعدتها حروف

(١) الطيب — ص ٩٨ وما بعدها .

(٢) الطيب — ص ١٥٨ .

(٣) سفر آغا — ص ٥٥ .

(٤) الراضى — ص ١٧٧ .

(٥) د . خلوصى — ص ٥٩ .

(٦) العياشى — ص ٢٧٤ ، والمقصود بالعنصر الثقيل أو الممدود المقطع الطويل .

المدّ ، كان جانب الرقة والعاطفة هو الغالب^(١) .

الهزج

(أ) حازم : فيه مع سذاجته حدة زائدة (ويبدو من حديثه عن « المتقارب أنه يقصد بالسذاجة تكرار الأجزاء)^(٢) .

(ب) البستاني : لا يصلح لقصره لمثل الإلياذة . ولا يجوز نظمه فيها خلا الأناشيد والتواشيح الخفيفة^(٣) .

(جـ) الطيب : عرف الأوائل له حلاوته . ونغمته تطلب قولاً مرسلًا طيعاً تسيطر عليه فكرة واحدة يتغنى بها الشاعر في غير تدقيق وتعقيد والتفاف . ويصلح للقصص الخفيف الذي يراد منه الإمتاع . وأحسن أسلوب يرد فيه ما كان عماده على التعجب والاستثارة والتكرار وسرد الكلمات المتشابهة في الوزن والجرس . وشعراء العصر يتعاطونه في كثير من موشحاتهم . وعندى أنه أصلح للقصص التعليمي المدرسي ذي الحوار^(٤) .

(د) الراضي : بحر طيع رتيب ، وهو أخو الوافر المجزوء . وهذا الأخير أقل رتابة ، لأنه يجمع بين مفاعلتين ومفاعيلين في أغلب الأحيان بينما يقتصر الهزج على مفاعيلين وحدها . ويصلح لسرد الحكاية والحوار^(٥) .

(هـ) د . خلوصي : سُمي بذلك لأنه يشبه هزج الصوت ، أي تردده وصداه ، وذلك لوجود سببين خفيفين يعقبان أوائل أجزائه التي هي أوتاد . وهذا مما يساعد على مدّ الصوت . وقيل لأنّ العرب تهزج به ، أي تغني^(٦) .

(و) العياشي : متوسط الحركة ، وقد تساوت فيه نزعنا الثقل والخفة^(٧)

(١) د . عبده بدوي - ص ٥٦ .

(٢) حازم - ص ٢٦٨ .

(٣) البستاني - ص ٩٤ .

(٤) الطيب - ص ١٠٤ وما بعدها .

(٥) الراضي - ص ١٩٢ .

(٦) د . خلوصي - ص ١١٨ .

(٧) العياشي - ص ١٩٧ - وحديثه هنا عن الصورة المزاحفة التي دخل تفاعيلها الكف فصارت كل منها مفاعيل) ، وهذه الصورة هي الأصل في رأيه .

الرجز

(أ) حازم : فيه كرازة .

(ب) البستاني : أسهل البحور نظماً ، ولكنه يقصّر عنها في إيقاظ الشعائر ، فيجود في وصف الوقائع البسيطة وإيراد الأمثال والحكم . وقد اختير لنظم المتن العلمية لسهولة نظمته^(١) .

(جـ) نطيب : القِطْع فيه أنسب ، لأنه شعبي . وكانوا يكثرون منه في المبارزات والحداء وهلم جرا . وبعد الإسلام استعمل في المطولات لنظم القصص الشعبي وأخبار الفتوح . وكان الذوق العام يفضل القصيد على الرجز لاتساع مجال القول فيه ، ولأهنته وجلاله . خرج العجاج ورؤبة بالرجز عما أريد من له الخفة والترنم^(٢) . تحاماه الشعراء لجنائية النظم التعليمي عليه ، بالرغم من حلاوة نغمه ونخفته .

— الوزنان : (مستفعلن مستفعلن / مستفعلن مستفعلن) ، (مستفعلن مستفعلن / مستفعلن مستفعلن) خفيفان جداً ، وفيهما حركة سريعة متلاحقة ، ولذلك فإنها يصلحان جداً للأنشيد المدرسية وما شابهها . وضرب مثلاً بمحاورة العقاريت في « مجنون ليل » وقال (وقد أصاب جداً في اختيار الرجز القصير لهذا النشيد الحلو المهترّ الفرح . . تأمل أطراد النغم وسلاسته)^(٣) .

(د) د . حميد : من البحور المشهورة التي يكثر دورانها في الشعر وبخاصة نظم العلوم .

(هـ) سفر آغا : أول ما نظم عليه أجدادنا ، ولا سيما مجزوءه ومنهوكه ، لسهولة وموافقته لغناء العرب وحدائهم ومواقف الحروب . والنظم عليه سهل جداً^(٤) .

(و) الراضى : سهل بسبب التغيرات الكثيرة المألوفة في أجزائه ، والتنويع

(١) البستاني — ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) الطيب — ص ٢٣٣ .

(٣) الطيب — ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٤) سفر آغا — ص ٦٥ ، ٦٦ .

الذى ينتاب أعاريضه وضروبه . ويُرجَّح أنه كان فى العصر الجاهلى بمثابة الشعر الشعبى فى عصرنا . ولسهولته وخفته وعدويته اتخذ دون غيره للنظم التعليمى ونظم قواعد العلوم^(١) .

(ز) خلوصى : من أقرب البحور إلى النثر لكثرة ما يتحمل من تغيرات . وهو على الأغلب فى الشعر الحماسى الارتجالى . ويندر أن نجد فيه نسيبا أو غزلا^(٢) . وإيقاعه رتيب^(٣) .

(حـ) العياشى : وهو خفيف جدا ، سريع بالنسبة إلى غيره ، ويتلاءم مع غرض الحماسة ، فاستعملوه فى المنابرات ووصف الغارات . أما الطرديات فهى مخصوصة به ، لأن به ما يساعد على تصوير الحركة والسرعة^(٤) .

المصادر

(أ) حازم : (فاعلن ٤ مرات فى كل شطر) : وقع به سبب من أسباب التنافر ، هو أن كل تفعيلة مكونة من جزء خفيف (سبب) ، وجزء ثقيل (وتد) ، وقد جاء الخفيف فى صدر التفعيلة والثقيل فى آخرها^(٥) .

(ب) البستانى : أصابوا بتسميته الخبب . وهو لا يصلح إلا لنكتة أو نغمة ، أو ما أشبه وصف زحف جيش ، أو وقع مطر أو سلاح^(٦) .

(حـ) الطيب : الخبب بحر دنىء للغاية ، وكله جلبة وضجيج ، وهو رتيب جدا بأنواعه (فاعلن — فعلن — الخليط منها) ، وقد أهمله الخليل ، ونظن أنه تعمَّد ذلك . ولا يصلح إلا للحركة الراقصة الجنونية . وقد استفاد منه الصوفية فى بعض منظوماتهم لتخلق نوعا من الهستيريا^(٧) . ولا يصلح النظم فيه إلا لمجرد الدندنة

(١) الراضى — ص ٢٣ ، ٢٠٤ .

(٢) د . خلوصى — ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣) د . خلوصى — ص ٢٠٦ .

(٤) العياشى — ص ٣٠٦ — والأصل فى الرجز عند العياشى أن تكون تفعيلته (متعلن) .

(٥) حازم — ص ٢٣١

(٦) البستانى — ص ٩٣ .

(٧) الطيب — ص ٨٠ .

والترويح عن النفس بجرس الألفاظ^(١) .

(د) الراضى : رتيب هادىء حين تكون تفعيلته « فاعلن » . فإذا كانت (فِعلِن) أو (فُعْلَن) فيحدث شيئا من التدفق والصخب^(٢) .

(د) د . خلوصى : أكثر ما يصلح لإيراد نكته أو محاكاة وقع مطر أو قعقعة سلاح أو زحف جيش . وهو قليل فى القديم والحديث^(٣) .

(و) العياشى : (وعنده أن تفعيلته فِعلِن تتغير جوازا إلى فُعْلَن) : حركته خفيفة ، إذ نزع الخفة غالبية على نزع الثقل فيه . وهى حركة راقصة لا تفوقها إلا خفة حركة الرجز . وتحول فِعلِن إلى فُعْلَن يحد من خفته ، فيصلح للغزل والوجدانيات ، وإلا فالأنسب له وصف الحركة فى الألعاب والصيد ومجالس اللهو . ومن خصائصه أنه أكثر ما استعمل فى الغزل مع القافية (دُه) حتى صار وكأنَّ أية قافية لا تناسبه . ولعلَّ أول من وُفِّق فيه إلى الغزل الرائع « الحصرى » فى (ياليل الصب)^(٤) .

الخفيف

(أ) حازم : يلى الطويل والبسيط والوافر والكامل — فى رأى بعض الناس — من حيث درجة الافتنان فيه^(٥) .

(ب) البستانى : أخفُّ البحور وأطلاها . يشبه الوافر لنا ، ولكنه أكثر منه سهولة وأقرب انسجاما . وإذا جاد نظمه رأيتَه سهلا ممتعا لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنشور . وليس فى جميع بحور الشعر بحر نظيره يصلح للتصرف بجميع المعانى^(٦) .

(ح) الطيب : (الوافى) ينجح صوب الفخامة إذا قيس بالسرير والكامل

(١) الطيب — ص ٨٤ .

(٢) الراضى — ص ٣٠٥ .

(٣) د . خلوصى — ص ١٩٥ .

(٤) العياشى — ص ١٨٣ .

(٥) حازم — ص ٢٦٩ .

(٦) البستانى — ص ٩٣ .

الأحدّ والمنسرح ، ولكنه دون الطويل والبسيط في ذلك . وهو ذو دندنة لا تتمكّن من الحوار الطبيعي ، وفيه صلابة وشيء من الملتخوليا (الحزن الرقيق) والتدفق . وتلاحق أنغامه يجعله ذا أسر قويّ معتدل ، مع جلجلة لا تخفى . ووزنه رصين قوى ، ونغمه واضح معتدل لا يبلغ حدّ اللين ولا حدّ العنف^(١)

— (فاعلاتن متفعّلن) : منتظم خفيف النغم ، فيه صخب وجلبة ، وهو وزن منحطّ للغاية ، لا يكاد يصلح إلا للألفاظ التي تسرد من غير مراعاة لمعنى^(٢) .

— (فاعلاتن فعولن) : نغم حلورشيّق للغاية ، والألفاظ طيبة فيه^(٣) .

(د) د . حميد : يصلح للغناء والأناشيد ، ولا سيما مجزوءه^(٤) .

(هـ) سفر آغا : هذا البحر قريب إلى النفس ، طبع في المعالجة ، حتى يقرب أسلوبه من أسلوب النثر^(٥) .

(و) د . خلوصي : شبيه بالوافر من حيث اللين ، ولكنه أسهل منه^(٦) .

(ز) العياشي : على جانب كبير من الثقل ، خصوصا حين تكون التفعيلة الوسطى على صورة (مستفعّلن) لا (متفعّلن) . وقد تجتمع في آخر البيت أربعة مقاطع طويلة حين يكون الضرب (فالّاتن) ، مما يزيده ثقلا . ولذلك فهو إيقاع الغزل والراء وتقل فيه الحماسة والفخر .

— ٣ —

يبدو واضحا جليا مما سبق أن الذين كتبوا عن خصائص « البحور » و « الأغراض » التي تناسبها قد اختلفوا كثيرا ، حتى بلغ الخلاف أحيانا حد التناقض بين كاتب وآخر . بل كان الكاتب الواحد يناقض نفسه أحيانا .

(١) الطيب — ص ١٩٢ .

(٢) الطيب — ص ٧٩ .

(٣) الطيب — ص ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ .

(٤) د . حميد — ص ١٠٩ .

(٥) سفر آغا — ص ٨٧ .

(٦) د . خلوصي — ص ١٥٩ .

فالطويل عند العياشى ثقيل ، وعند الآخرين بحر البهاء والجلال . وقال حازم عن الرجز إن فيه كزازة ، ووصفه الراضى بالسهولة والعذوبة . والخفيف عند « البستانى » أخف البحور وأطلاها ، وعند « العياشى » على جانب كبير من الثقل ، وعند د . « الطيب » ذو صلابة وأسر قوى معتدل ، مع جلجلة لا تخفى . وهو قريب من النثر كما يراه « البستانى » و « سفرأغا » ، ولكنه عند « د . حميد » يصلح للغناء والأناشيد ، وبعض مجزؤاته نغم رشيق للغابة كما قال د . « الطيب » .

وذكر « البستانى » « والراضى » و « خلوصى » عن الوافر أنه يشتد إذا شددته ويرق إذا رققته ، أو أنه يجمع بين الشدة واللين . ووصف « البستانى » البسيط بالرقّة والجزالة معا .

أما الأغراض فمن أمثلة اختلافهم فيها حديثهم عن الأغراض التى تناسب الطويل ، فلا أعرف غرضا من أغراض الشعر لم يذكروه ، ولكنهم لم يتفقوا على ذلك ، بل كان الواحد منهم يذكر من الأغراض ما لا يذكره صاحبه ؛ فنجد عند أكثرهم القصة والحوادث والتاريخ ، أما الأغراض الأخرى فموزعة بينهم ، وقد شملت : الفخر والحماسة والوصف والهجاء والرثاء والمدح والعتاب والاعتذار والحكمة . وذكر « الطيب » أغراض الجدة عموما ، ومنها - أى من أغراض الجدة - الفكاهة . والوافر عند « د . عبده بدوى » يناسب السير السعيد ، وكذلك النواح والندب والانكسار .

وترجع هذه الاختلافات إلى أسباب منها :

- ١ - أن أحكامهم كانت أقرب إلى الذاتية منها إلى الموضوعية .
 - ٢ - تأثر بعضهم بقصيدة أو بعدة قصائد مصوغة فى الوزن الذى تناوله .
- فبعض من كتبوا عن « الوافر » كانوا يكتبون ويعيّنهم على معلقة « عمرو بن كلثوم » . وقد أشار إليها « البستانى » صراحة . ولذلك ذكر « البستانى » أن أكثر ما يوجد فيه الفخر . وذكر « الراضى » أنه وزن خطاى . أما د . « عبده بدوى » فقد تحدث عنه مرة فى سياق الحديث عن قصيدة « شعب بوان » للمتنبى ، ومرة فى سياق تناوله لقصيدة أبى فراس فى رثاء أمه . ويبدو أن ما قاله عن البحر كان بتأثير هاتين القصيدتين .

إن تعميم الحكم على « البحر » يؤدي - في أكثر الأحيان - إلى الخطأ ،
فالحقيقة أن ما يسمى « بالبحر » ليس تكوينا واحدا ، بل هو اسم يدل على تكوينات
متعددة يختلف أحدها عن الآخر قليلا أو كثيرا ؛ فلا تستوى التكوينات الآتية -
مثلا - وإن نسبت كلها إلى « الكامل » :

متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن	(أ) متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن
مثل بيت عنتره :	
أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم	يخبرك من شهد الواقعة أننى
متفاعِلن متفاعِلن فعِلن	(ب) متفاعِلن متفاعِلن فعِلن
عينى فساء شئونها سجم	مثل : وإذا ألم خيالها طرقت
متفاعِلن متفاعِلن	(ج) متفاعِلن متفاعِلن
وفرغت من آلامها	مثل : ذوت الصبابة وانطوت

فالتكوين الوافى يختلف عن التكوين المجزوء ، والتكوين الذى تشابه تفاعيله
غير التكوين الذى يختلف فيه العروض عن الضرب . . وهكذا . وقد تحدث أكثر
الدارسين عن البحر دون تفرقة بين صوره المختلفة . ومن الخطأ ربط الوزن - سواء
أردنا به « البحر » أم أحد تكويناته - « بغرض » معين أو انفعال معين ، فالاستقراء
يدل بوضوح على أن الوزن الواحد يستعمل فى شتى الأغراض والعواطف والمعاني ،
وأن الغرض الواحد يظهر فى شتى الأوزان ، وكذلك الانفعال الواحد .

وقد لاحظ ذلك د . « عز الدين إسماعيل » . وضرب مثلا على الوزن الواحد
يستعمل للتعبير عن انفعالين مختلفين ؛ فذكر مريّة شوقى التى مطلعها :
الضلوع تنقُ والدموع تطردُ
أيها الشجى أفق من عناء ماتجد

وفىها تتضح النغمة الحزينة ، ثم ذكر قصيدة « شوقى » المشهورة فى وصف
مرقص ومطلعها :

حف كأسها الحبيبُ فهى فضة ذهبُ

وهي قصيدة تشع منها البهجة ، والقصيدتان من وزن واحد^(١)
 كما لاحظ « د . عز الدين » — بحق — أن الانفعال ليس نوعا واحدا ولا درجة
 واحدة ، فيربط بوزن معين أو أنواع معينة من الأوزان . « فابن الرومي » يرثى ولده
 في أحد تكوينات « الطويل » في قصيدة منها :
 بكاؤ كما يشفى وإن كان لا يجدى فوجودا فقد أودى نظير كما عندي
 « وأم السليك » ترثيه بقصيدة من وزن آخر بالغ القصر منها :
 طاف يبغي نجوة من هلاك فهلك

فالخزن في هذه القصيدة أقرب إلى الصرخات الحادة ، فهو يختلف عن الحزن في
 قصيدة « ابن الرومي »^(٢) .

وذهب « د . إبراهيم عبد الرحمن » إلى زيف الآراء التي تربط بين الأوزان
 ومعاني القصائد وأغراضها ، فهو زعم يطله — في رأيه — تنوع أغراض القصيدة
 الواحدة ، واختلاف معانيها ، وتباين مواقف الشاعر النفسية فيها ، وصياغة هذا
 كله في بحر واحد . فالأوزان عنده ليست أكثر من آلات موسيقية يستطيع الشاعر
 المبدع أن يستخرج بالعزف عليها ألوانا متنوعة من
 الأنغام^(٣) .

٤ —

ولكن هل يستنتج مما سبق أن ليس لتكوين ما طابع موسيقى خالص ،
 ولا ملامح تعبيرية مميزة ؟ من المؤكد أن بعض التكوينات يختلف عن بعض :
 ١ — فبعضها أوضح جرسا من البعض الآخر .

(١) د . عز الدين إسماعيل : التفسير النفس للأدب — دار المعارف — القاهرة ١٩٦٣ — ص ٥٩
 وما بعدها .

د . عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية — دار الفكر
 العربي — القاهرة — ط ٣ — ١٩٧٨ — ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) د . عز الدين إسماعيل : التفسير النفس — ص ٧٧ وما بعدها .

(٣) د . إبراهيم عبد الرحمن من أصول الشعر العربي ، الأغراض والموسيقى — مجلة « فصول » — مجلد
 ٤ — عدد ٢ — يناير — فبراير — مارس — ١٩٨٤ — ص ٢٤ وما بعدها .

- ٢ - وبعضها يوحى بالحركة السريعة ، بينما يوحى غيره بالحركة البطيئة .
 - ٣ - وبعضها أبسط تركيباً من بعض .
 - ٤ - والنسق في بعضها أقوى منه في البعض الآخر .
 - ٥ - وبعضها أقرب من البعض الآخر إلى طبيعة لغة النثر المألوفة .
- وتعود مميزات التكوين الى خصائص معينة فيه مثل : ١ - نوع العلاقة بين وحدات الشطر . ٢ - مقدار الوحدة ٣ - طول الشطر . ٤ - اتفاق الشطرين أو اختلافهما . ٥ - غلبة المقاطع القصيرة أو الطويلة ، أو التوازن بينهما . ٦ - عدد البدائل الممكنة للتفعيلة . ٧ - المكونات الصوتية والتركيب المقطعي لمنطقة القافية^(١) .

وفيا يلي يتناول البحث هذه النقاط بشيء من التفصيل :

- ١ - نوع العلاقة بين وحدات الشطر :
- (أ) فقد تكون الوحدات صورة واحدة مكررة مثل^(٢) :
- (مفاعلتن مفاعلتن) ، (متفاعلتن متفاعلتن) ، (مفاعيلن مفاعيلن) ، (مسنفعلتن مسنفعلتن) ، (فاعلاتن فاعلاتن) ، (فعولن فعولن فعولن فعولن) ، (فاعلتن فاعلتن فاعلتن فاعلتن) ، (فعلتن فعلتن فعلتن فعلتن) .
- والتفاعيل التي تتركب منها أشطر ثلاثية أو رباعية يمكن أن تتركب منها أيضاً أشطر ذات تفاعيل أقل ، ثلاثية أو ثنائية^(٣) . قائمة على التكرار .

(١) يرى بعض الدارسين أن نوع الوجد يؤثر في نغمة التفعيلة ، ويؤثر - من ثم - في نغمات البحر الذي يتضمن هذه التفعيلة ، فالوجد المجموع يؤدي الى صعود الارتفاع أما الوجد المفروق فيؤدي الى هبوطه . انظر : Weil, loc. cit

وكذلك : (د - البحراوى موسيقى الشعر - ص ٥٦) . والملاحظة تدل على أن النغمة - أيا كان « نوعاً - ليس لها موضع ثابت في التفعيلة ، سواء أكان هذا الموضع وتدا أم سبباً ، شأنها في ذلك شأن النبر . (الفصل الأول من هذه البحث) .

(٢) التفاعيل هنا تمثل أحد الشطرين ، والتكرار قد يشوبه الزحاف غير الملتزم ولكن نغض النظر عنه الآن .

(٣) قد يتركب من (مسنفعلتن) شطر مكون من تفعيلة واحدة ، أو بيت مكون من ثلاث تفاعيل ، ولكن أكثر المجزوءات ثلاثية الشطر أو ثنائية .

(ب) وقد يكون في الشطر وحدتان متفتتان وأخرى مخالفة مثل ؛
(مفاعلتين مفاعلتين فعولن) ، (مستفعلين مستفعلين فاعلن) ، (فاعلاتن
فاعلاتن فاعلن) ، (فاعلاتن مستفعلين فاعلاتن) ، (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) .
وقد تكون به وحدتان متفتتان وأخريان مختلفتان مثل (فعولن مفاعلين فعولن
مفاعلين) ، (مستفعلين فاعلن مستفعلين فعولن)^(١) .

(جـ) وقد تختلف الوحدات في الشطر ، فلا تتشابه فيه وحدتان مثل :
(مستفعلين فاعلن فعولن) ، (فاعلاتن مستفعلين) ، (مستفعلين
فاعلاتن) ، (مستفعلين مفعلات مستعلين)^(٢) .

والعلاقة القائمة على التكرار الخالص هي أوضح العلاقات وأبسطها ، وهي
من العوامل التي تؤدي إلى وضوح الجرس وبساطته ، بعكس العلاقة القائمة على
الاختلاف التام ، وتتوسط بينها العلاقة القائمة على التكرار المفصول أو المذيل أو
الناقص .

٢ - مقدار الوحدة المكررة : وتتراوح بين مقطع واحد في (فعُلن فعُلن فعُلن
فعُلن) ، ومقاطع كثيرة ، قد تكون تفعيلتين مثل (فعولن مفاعلين) ، أو تفعيلة
مثل (مستفعلين) و (متفاعلين) . وصغر الوحدة يساعد على بروز الإيقاع وحدته ،
حتى لا نكاد نجد شعرا عموديا يتكون من (فعُلن) وحدها إلا الأبيات التي ترد في
كتب العروضيين (وقد وردت أمثلة لذلك في الفصل الأول من هذا البحث) .
والشائع أن يجمع الشاعر بين (فعِلن) و (فعُلن) : . وعلى العكس من ذلك تساعد
زيادة حجم الوحدة على خفوت الإيقاع .

٣ - طول الشطر : الشطر الطويل أخفت موسيقى من الشطر القصير (إذا
اتحدت أو تقاربت العوامل الأخرى) . فمثلا التكوين الذي تفاعيله :

(١) الزحاف في كلتا التفعيلتين « مفاعلين » و « فعُلن » زحاف ملنزم ، ولذا عدت كلا منها مستقلة عن
التفعيلة السالمة التي تقابلها في الشطر نفسه .

(٢) في هذا التكوين عدت « مستفعلين » مختلفة عن « مستعلين » لأن الزحاف هنا ملنزم إذا كان التكوين
عجزا ، فإذا كان صدرا فقد تكون العروض « مستفعلين » أو « مستعلين » كما يقول العروضيون ، ولكنها في
الشعر تكون مطوية (مستعلين) في أكثر الأحيان ، ولا تأتي سالمة (مستفعلين) إلا شذوذا .

فواصلتين فاعلاتن فاعلاتن والشطر الثانى مثله^(١)
أخفت جرسا من التكوين الذى تفاعيله :

فاعلاتن فاعلاتن والثانى مثله
فمن الأول قصيدة « للمتنبى » منها :

إنما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب
إنما بدر رزايا وعطايا ومنايا وطعان وضراب
ما يجيل الطرف إلا حمدته جهدها الأيدى وذمته الرقاب
ما به قتل أعاديته ولكن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب^(٢)
ومن الثانى قول « البهاء زهير » :

سلم الله على من جاءنا منه السلام
وسقى عهد حبيب - لا أسميه - الغمام

أنا إن مت بفرط الخب فيه لا ألأ

ما يقول الناس عنى أنا صب مستهام^(٣)

وذلك لأن قصر الأبيات يوحى بالسرعة ، ويقصر المسافات الزمنية بين القوافى ، والقوافى من أبرز العناصر الموسيقية فى الشعر . كما أن قصر الأشطر من عوامل تميز الشعر عن لغة النثر المعتادة ، فالمسافات بين الوقفات فى النثر تكون - فى العادة - أطول من نظائرها فى التكوينات القصيرة . والمعتاد فى الشعر أن تكون الوقفات فى أواخر الأشطر^(٤) .

(١) أكثر العروضيين التقليديين لا يذكرون هذا التكوين بين الأوزان المستعملة .

(٢) المتنبي - ص ٤٣ .

(٣) البهاء زهير : ديوان البهاء زهير - دار صادر - بيروت - ١٩٨٠ - ص ٣١٣ . والمقارنة الدقيقة تحتاج إلى اتحاد النموذجين فى كل لعناصر الموسيقية ما عدا العنصر الذى تراد مقارنته ، وهو أمر متعذر فى غير انتفاعيل المجردة . ولكن العناصر الموسيقية الأخرى فى رأى متقاربة فى هذين النموذجين وفى النماذج التى تختار للمقارنة فى هذا البحث ، من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الدقة .

(٤) التفت بعض الدارسين إلى الفارق بين الأوزان الطويلة والأوزان القصيرة . وقد ربط الدكتور « أنيس » بين الأوزان الطويلة والتعبد عن اليأس والحزن . ولكنه عاد فربط بين الأوزان القصيرة والانفعالات الحادة . وبين الأوزان الطويلة والانفعالات الهادئة . وربط بين الأوزان القصيرة ووصف مجالس العبث واللهو ومعاقرة الخمر والمجون . =

٤ - قد يتفق الشطران تماما كما في :

مستفعّلن مستفعّلن مستفعّلن	والثاني	مثله
، متفاعّلن متفاعّلن متفاعّلن	والثاني	مثله
، فاعلاتن فاعلاتن فاعّلن	والثاني	مثله

وقد يختلفان كما في التكوينات :

مستفعّلن مستفعّلن مستفعّلن	مستفعّلن مستفعّلن مفعولن
متفاعّلن متفاعّلن متفاعّلن	متفاعّلن متفاعّلن فاعلاتن
، فاعلاتن فاعلاتن فاعّلن	فاعلاتن فاعلاتن فاعّلن

واتفاق الشطرين تماما أقرب إلى وضوح النغم وبساطته ، والعكس صحيح .
ويتضح ذلك إذا قارنا بين هذين النموذجين من شعر « إيليا أبو ماضي » ؛ الأول :
من قصيدة بعنوان « حديث موجة » ، وتفاعيله (متفاعّلن متفاعّلن متفاعّلن ،
والشطر الثاني مثله :

بالأمس مر بنا فتى من قومكم رقت شمائله وذق شعوره

== (د . إبراهيم أنيس : بحور الشعر وأوزانه - ضمن كتاب :

د . محمد مندور وآخرون : آراء حول قديم الشعر وجديده - كتاب « العربي » - الكويت ١٩٨٦ -
ص ٢٨ وما بعدها)

وكذلك ربط « أربري » Arberry انتشار الأوزان القصيرة في عصور ما بعد الإسلام ، بالتحضر ، والميل
إلى المتعة ، وموضوعات الحب والخمر ، وزيادة الميل إلى الغناء والرقص .

Arberry, A.J., Arabic poetry, prime for Students, Cambridge University press, 1965, p.

LL.

وذهب د . « شوقي ضيف » إلى شيء قريب من هذا (وقد قرن د . ضيف الأوزان المجزوءة - بما سماه
الأوزان الخفيفة ، ومثل لها بالرمال السريع والخفيف والمتقارب والمزج والوافر) .

(د . شوقي ضيف : العصر الإسلامي « من سلسلة : تاريخ الأدب العربي » - دار المعارف -
القاهرة - بدون تاريخ - المقدمة بتاريخ ١٩٦٣ - ص ٣٤٧ وما بعدها . ، د . شوقي ضيف : العصر
العباسي الأول « من سلسلة نفسها - دار المعارف - القاهرة - بدون تاريخ - ص ١٩٣
وما بعدها) . وقد آيد هذا الرأي في الأوزان القصيرة « د . أحمد نعيم الكراعين » (د . أحمد نعيم
الكراعين : اللغة وموسيقى الشعر بين النظرية والتطبيق - مجلة الدراسات اللغوية - مركز اللغات -
جامعة صنعاء - ح ٢ - أكتوبر ١٩٨٥) .

مترنح من خمرة قدسيّة فيها الهوى وفتونه وفتوره
مترفق في مشيه يظا الثرى وكأنا بين النجوم مسيره^(١)

والثاني من قصيدته « مجاهد » ، وتفاعيله (متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن) :
متفاعِلن مفعولن) :

لبس الصبا ونضاه غير مدّس كالنجم لم تعلق به الأوضارُ
ومشى المشيب برأسه فإذا به كالحقل فيه الزهر والأثمار
وتطاوَلت أعوامه فإذا به كالطود فيه صلابه ووقار^(٢)

٥ - غلبة المقاطع القصيرة تؤدي إلى إيجاء بالحركة السريعة ، بخلاف غلبة المقاطع الطويلة ، فلو افترضنا أن تفعيليتين متساويتين في الزمن ولكن تغلب على إحداهما المقاطع القصيرة ، وتغلب على الأخرى المقاطع الطويلة ، مثل « متعلن » و « فاعلن » ، فحركات الشفاه واللسان ونبضات الصدر في التفعيلة الأولى كثيرة متلاحقة إذا قيسست بالتفعيلة الأخرى ، بالرغم من التساوى أو التقارب في الزمن . ولعل هذا هو الذي يسبب الإيجاء بسرعة الحركة في التفعيلة الأولى وما شابهها . ثم إن المقاطع القصيرة في اللغة العربية ترتبط بالأفعال أكثر مما ترتبط بالأسماء ، فالماضي الثلاثي الصحيح يتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة عند الرصل ، وصيغ الماضي الرباعي والماضي الخماسي تغلب عليها المقاطع القصيرة عند الوصل ، وفي السداسي يتعادل النوعان عند الوصل ، والمضارع أيضا تغلب عليه المقاطع القصيرة عند الوصل ، و « الأمر » هو النوع الوحيد الذي تغلب عليه المقاطع الطويلة . وهذا الارتباط بين الأفعال والمقاطع القصيرة مما جعلها توحى بالنشاط والحركة^(٣) .

(١) ، إيليا أبو ماضي : الحمائل - دار العلم للملايين - بيروت - ط ١١ - ١٩٧٧ م - ص ١٣٠ .

(٢) السابق - ص ١٣٦ .

(٣) لاحظ ذلك « العياشي » ، ولكنه استشهد أيضا بعدد من الكلمات لا أدري كيف اختارها للتدليل على الطابع التعبيري للمقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة . وكثير من ملاحظاته وأرائه في هذا الموضوع تحتاج إلى مناقشة . (العياشي - ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦) .

والتكوينات التي تغلب عليها المقاطع القصيرة - من ناحية أخرى - ذات موسيقى بارزة لافتة ، لخروجها على النسبة المألوفة بين المقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة في لغة النثر ، على نحو ما تقدّم في الفصل السابق .

ومما يميز المقطع القصير عن المقطع الطويل أن الأول يأتي على صورة واحدة ؛ فهو يتكون من (صامت يليه صائت قصير) ، أما الثاني فله صورتان ؛ فهو إما (صامت يليه صائت طويل) ، أو (صامت يليه صائت قصير يليه صامت) . ويساعد ذلك على جعل التكوينات التي تغلب عليها المقاطع القصيرة أكثر وضوحا وبساطة من التكوينات التي تغلب عليها المقاطع الطويلة .

ولإبراز الفرق بين النوعين أضرب مثلا للتكوين الذي تغلب عليه المقاطع القصيرة هذا البيت الذي يستشهد به العروضيون ، وإن كان نادر المثال :

كرة قذفت بصوالة فتلقفها رجل رجل

وللتكوين الذي تغلب عليه المقاطع الطويلة - وقد راعيت أن يكون قريبا من التكوين السابق في زمن المقاطع^(١) هذين البيتين من شعر « بشار » :

قلت للائم فيها/غصّ منها بالشراب
لا تطاع الدهر فيما/قد عناني بقراب^(٢)

ومن الشعر الذي تغلب عليه المقاطع القصيرة كذلك قول « المتنبي » :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهنّ منك أواهل

....

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل^(٣)
ومن النوع الآخر قوله :

(١) المقطع الطويل يساوى أو يقارب مقطعين قصيرين في إحساس السامع . ولهذا لا نشعر بفارق زمني بين « متفاعلين » و « مستفعلين » مثلا .

(٢) بشار بن برد : ديوان بشار بن برد (نشره وشرحه : محمد الطاهر بن عاشور) - القاهرة - ط ٢ - ١٩٦٧ - ١ - ص ٢٧١ .

(٣) المتنبي - ص ١٧٧ .

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل وهذا الذى يضنى كذاك الذى يبلى
كانك أبصرت الذى ب وخفته إذا عشت فاخترت الحمام على الشكل^(١)

٦ - عدد البدائل الممكنة للتفعيلة : ففي تكوينات الرجز مثلا تأتى التفعيلة على
صور أربع :

مستفعِلن - متفعِلن - مستعلن - متعلن^(٢) ، وإن كانت الصورة الأخيرة
نادرة أو شاذة . وفي بعض التكوينات لا ترد التفعيلة إلا بصورتين^(٣) ؛ ففي الكامل
مثلا صورتان للتفعيلة : « متفاعِلن » و « مُتفاعِلن » . أما الصورتان « مفاعِلن » و
« مُتفعِلن » فلا تكاد أن توجدان إلا في أمثلة العروضيين ، وإن جاءت إحداها فهي
أقرب إلى أن تكون إخلالا بالوزن . وفي الوافر تجتمع « مفاعِلتن » و « مفاعِلن » ،
أما « مفاعِلُ » فنادرة جدا . وكلما زادت قابلية التكوين لتعدد الصيغ التفعيلية
خفنت موسيقاه واضطربت قليلا أو كثيرا ، وكلما قلَّ تعدد الصيغ ارتفع الجرس
وظهر الاتساق^(٤) .

ومن أمثلة النوع الأول هذه الأبيات « للبهاء زهير » :

وفرس على المسا	وى كلها محتوية.
فما مساويها لمن	عددها منتهية
وليس فيها خصلة	واحدة مستوية
ياقبحها مُقْبِلَة	وقبحها مَوْلِيَة
مستقبح . ركوبها	مثل ركوب المعصية ^(٥)

(١) المنتهى - ص ٢٧٩ .

(٢) هناك صور أخرى للتفعيلة إذا دخلتها العلة ، وهي ليست موضوع البحث في هذه الفقرة ، لأن التغيير
بالعلة يستمر في الموضع نفسه في كل الأبيات .

(٣) يستطيع الشاعر - نظريا - أن يلتزم صور، واحدة لكل تفعيلة ، وأن يتجنب بدائلها . ولكن ما يحدث -
عمليا - أن الشاعر يستعمل في القصيدة الواحدة كل الصور المتاحة أو أكثر هذه الصور .

(٤) لا يعنى ذلك بالضرورة أن تتشابه كل القصائد المنتمية إلى تكوين واحد في أسلوب استعمال البدائل وفي
كمية هذه البدائل ، فالمقصود هنا أن قصائد التكوين الواحد تتشابه - عادة - في عدد الصور التي ترد بها
للتفعيلة الواحدة ، وتبقى بعد ذلك فروق مهمة تميز قصيدة عن غيرها .

وفي الفصل التالي يبحث موضوع الزحاف بالتفصيل .

(٥) البهاء زهير - ص ٣٩٥ .

ومن أمثلة النوع الثانى هذه الأبيات للبهاء زهير أيضا ؛
 أعد الرسالة ثانية وخذ الجواب علانية
 فعسى بتكرار الحديث على أنسى ما بهيه
 وعساك تطفى من غليل الشوق نارا حامية*
 فإذا رجعت مسلما فابدأ برد سلاميه
 وقل السلام عليكم أهل القصور العالية^(١)

فبين المثالين عدة فروق ، من أهمها تعدد البدائل وكثرتها فى المثال الأول إذا قيس
 بالثانى ، ففي الأول اجتمعت الصور الأربع لتفعيله الرجز ، وفى كل بيت ثلاث
 منها ، إلا البيت الأول الذى اجتمعت فيه كل الصور ، أما فى المثال الثانى فلا نجد
 إلا صورتين : « متفاعلين » و « متفاعلين » . وتجتمع الصورتان فى كل الأبيات ،
 إلا البيت الأول الذى اقتصر على « متفاعلين » .

٧ - المكونات الصوتية والتركيب المقطعى لمنطقة القافية :

وتزجج أهمية هذه المنطقة إلى ارتباطها بالروى من ناحية ، ومن ناحية أخرى إلى
 اعتياد الناس أن يعنوا عناية خاصة بالخواتيم .

وقد بلغ من هذه الأهمية أن الشاعر يلتزم فيها مالا يلتزمه فى غيرها ، فإلى جانب
 التزام الروى فى الأبيات المقفاة ، نجد التزام الردف ، وهو الصائت الطويل الذى
 يكون قبل الروى . ومعنى التزامه أن الروى إذا سبقه صائت طويل فالقاعدة أن
 يسبقه صائت طويل فى كل الأبيات ، فإذا كان هذا الصائت ألفا التزمت الألف ،
 وإذا كان واوا فى بعض الأبيات جاز أن يكون واوا أو ياء فى الأبيات الأخرى^(٢) .
 ونجد أيضا التزام ألف التأسيس ، وهى الألف التى بينها وبين الروى صامت
 فصائت قصير ، كما فى اللفظين : « منازل » و « أوائل » . والتزام الوصل ، وهو
 الصائت الطويل التالى للروى بغير فاصل ، أو الهاء التى تلى الروى وبينها صائت
 قصير . ومثل الهاء بعض الصوامت الأخرى . ومثال الصائت الطويل ، الياء التى
 بعد اللام فى بيتى المتنبى السابقين^(٣) ، ومثال الهاء الصوت الأخير فى أبيات « البهاء

(١) البهاء - ص ٣٩١ .

(٢) المقصود هنا « الواو » و « الياء » حين تكونان صائتين .

(٣) معروف أن الكسرة تمد حتى نصير ياء صائنة ، وكذلك الضمة والفتحة بصيران صائتين طويلين .

زهير، السابقة . ولا تميز القواعد أن يكون بعض الأبيات في القصيدة مطلق القافية وبعضها مقيد القافية ، فإما أن تكون كل الأبيات مطلقة أو تكون مقيدة . والتزام الخروج ، وهو صائت طويل بينه وبين الروى صائت قصير « هاء » ، مثل الواو في أواخر أبيات « حديث موجة » التي أوردت بعضها منها فيما سبق .

وفي أكثر التكوينات يلتزم الشاعر تركيباً مقطعيًا موحدًا في منطقة القافية في كل القصيدة ، فإذا وقع زحاف في هذه المنطقة التزمه الشاعر في الموضع نفسه من كل بيت . أى أن الشاعر يلتزم في منطقة القافية مالا يلتزمه في غيرها (كما تقدم في الفصل الأول) . ولهذا كله كان التركيب المقطعي والصوت لأحرف القافية عاملاً مؤثراً في « شخصية » التكوين ، فقد يجتمع في هذه المنطقة صائتان طويلان ، وقد يكون بها صائت طويل واحد ، وقد تخلو تماماً من الصوائت الطويلة . وزيادة الصوائت الطويلة عموماً - ولا سيما في هذه المنطقة - مما يساعد على علو الجرس ، ومساعد على خفوت الجرس قلتها أو غيابها . وذلك لأن الصوائت من أعظم الأصوات وضوحاً وجهارة وريناً (sonority) ، وهو ما قرره بعض علماء الأصوات^(١) . ولا شك أن طول الصوائت يزيد وضوحاً . ويجتمع في منطقة القافية صائتان طويلان على النحو التالي :

وصل مع ردف - وصل مع تأسيس^(٢) - خروج مع ردف - خروج مع تأسيس . وقد اجتمع الوصل والردف - مثلاً - في قول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خطوط بان	وفاحت عنبراً ورنّت غزالاً
وجارت في الحكومة ثم أبدت	لنا من حسن قامتها اعتدالاً
كأن الحزن مشغوف بقلبي	فساعة هجرها يجد الوصالاً ^(٣)

واجتمع الوصل مع التأسيس في قوله :
 ألح على السقم حتى ألفتة . وملّ طيبى جانبي والعوائد

Hartman & Stark, op. cit. p. 211, 212.

(١)

د . مختار عمر - ص ٢٤٤

(٢) المقصود هنا الوصل حين يكون صائتا طويلاً لا حين يكون صامتاً كالماء وغيرها .

(٣) المتنبي - ص ١٤٠ .

مررت على دار الحبيب فحجمحت جوادى وهل تشجى الجياد المعاهد
وما تنكر الدهماء من رسم منزل سقتها ضرب الشول فيه الولائد^(١)

واجتمع الخروج مع الردف فى قول « شوقى » :
نجا وتمائل ربانها ودق البشائر ركبانا
وهلل فى الجوقيدومها وكبر فى الماء سكانها
تحول عنها الأذى وانثنى عباب الخطوب وطوفانها^(٢)

واجتمع الخروج مع التأسيس فى قول « بشار » :
إن المحب تلين شوكته يوما إذا ماعز صاحبه
فله على وإن تجنبى ما عشت أن لا أجانبه
ريم أغن مطوقا ذهباً صفر الحشا يفض ترائبه^(٣)

وقد يكون بين أحرف القافية صائت واحد طويل ، إما أن يكون الوصل أو لردف أو التأسيس . ففى الأبيات التالية لأبى صخر الهذلى نجد الوصل وحده ؛
أما والذى أبكى وأضحك والذى أمات وأحيا والذى أمره الأمر
لقد تركنى أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر
فيا حبها زدن جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعذك الحشر^(٤)

وفى الأبيات الآتية للشابى نجد الردف وحده :
ألا أيها الظالم المستبد حبيب الظلام عدو الحياة
سخرت بأثبات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماء
وسرت تشوّه سحر الوجود وتبذر شوكة الأسى فى رباه^(٥)

(١) المذنب - ص ٣١٨ .

(٢) أسد - ص ١ - ح ١ - ص ٢٤١ .

(٣) ١١٦٥ . سب (مطوقا) ، بشار - ص ٢١٧ .

(٤) أبو تمام - ديوان الحماسة - (شرحه ونشره : محمد عبد القادر الرافعى) - القاهرة - ١٣٢٢ هـ .

(٥) أبو الماسم الشابى : أغلى الحياة - منشورات دار الكتب الشرقية - تونس ١٩٥٥ - ص ١٨٥ .

وفي الأبيات الآتية للبهاء زهير نجد التأسيس وحده :
ومشبه بالغصن قلبى لا يزال عليه طائر
حلو الحديث وإنها لحلاوة شقت مرائر
أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر^(١).

وقد لا يكون بمنطقة القافية أى صائت طويل كما فى قول شوقى :
أبا الهول طال عليك العُصْرُ وبلّغت فى الأرض أقصى العُمرُ
فيالدة الدهر لا الدهر شبّ ولا أنت جاوزت حد الصعرُ
إلام ركوبك متن الرمال لطفى الأصيل وجوب السحر^(٢).

فإذا قارنا مثلاً بين هذه الأبيات وأبيات شوقى النونية السابقة ، وكلاهما فى وزن من أوزان المتقارب ، تبين لنا أثر الصائتين الطويلين فى منطقة القافية .

ومن الملامح التى تميّز بعض التكوينات عن النثر أن ينتهى البيت بصائت طويل ناتج عن مدّ صائت قصير ، كما فى شطر المتنبى (وملّ طبيى جانبى والعوائد) ، فالشطر ينتهى بصائت طويل ناتج عن مدّ الضمة . أما فى النثر فالصائت القصير يهدف عند الوقف عليه ، كما فى قولنا (بعد ليل طويل بزغت الشمس) وقولنا (عاد المسافر أمس) . فالوقوف عند كلمتى « الشمس » و « أمس » يكون بالسكون . وبعض تكوينات الشعر لا تختلف عن النثر من هذه الناحية ، حين تنتهى الأبيات بصامت ، كما فى أبيات البهاء زهير الرائية ، وحين تنتهى بصائت طويل أصيل ليس ناشئاً عن إطالة صائت قصير ، كما فى أبيات شوقى النونية .

وفى حالة وجود صائتين طويلين يكون تشابههما أوضح وأبسط من اختلافهما . وقد تشابهنا فى أبيات المتنبى اللامية ، إذ اجتمع فى القافية ألفان ، وكذلك فى أبيات شوقى النونية ، واختلفا فى أبيات بشار البائية ، فكان أحدهما ألفاً والآخر واوا . وفى بعض التكوينات لا يتحد فى قوافى الأبيات إلا صوت واحد ، كما فى القصائد المسماة بالمقصورات . وهذا مثال لها من شعر « المتنبى » ؛

(١) البهاء زهير - ص ١٥٦ .

(٢) شوقى - ج ١ - ص ١١٧ .

لتعلم مصر ومن العراق ومن بالعواصم أنى الفتى
وأنى وفيت وأنى أبيت وأنى عتوت على من عتا
وما كل من قال قولاً وفًى ولا كل من سيم خسفاً أبى
ومن يك قلب كقلبي له يشق إلى العز قلب التوى^(١)

فالصوت الوحيد المشترك في قوافي كل الأبيات هو الصائت الطويل (الألف)
(الاشتراك في الناء بين البيتين الأول والثاني أمر عارض ، وهذا الاشتراك يجعل
التقفية بين البيت الأول والثاني أقوى جرساً من التقفية بين الثالث والرابع) . وقد
تشابه عدة أصوات تصل إلى ستة في بعض القوافي ، كما في أبيات بشار البائية ، التي
تتحد أبياتها في ستة أصوات هي ؛ الألف - الكسرة التي قبل الباء - الباء -
الضمة - الهاء - الواو^(٢) . وكلها زادت الأصوات المشتركة زادت جهرارة
الموسيقى ، والعكس صحيح .

وقد تناول البحث فيما سبق أثر التركيب المقطعى والنسبة بين المقاطع في التكوين
عموماً ، وهذا الأثر أهم وأوضح في منطقة القافية ، لما لها من أهمية . وتنقسم القوافي
من هذه الناحية إلى خمسة أنواع وفيما يلي أسماؤها المتعارف عليها في علم العروض
والقافية ، والتركيب المقطعى لكل منها :

١ - المترادف : ويتكون من مقطع واحد زائد الطول (+) ، ومثاله أبيات
الشابى الهائية .

٢ - المتواتر : ويتكون من مقطعين طويلين (- -) ، كما في أبيات البهاء
زهير الرائية .

٣ - المتدارك - ويتكون من مقطعين طويلين بينهما مقطع قصير (- ٧ -) ،
كما في أبيات « شوقي » النونية .

٤ - المتراكب : ويتكون من مقطعين طويلين بينهما مقطعان قصيران
(- ٧٧ -) ، مثل القافية في أبيات « بشار » البائية .

(١) المتنبي - ص ٥١

(٢) وقد تزيد الأصوات المشتركة على ستة - إذا لزم الشاعر مالا يلزم ، كما فعل المعري في « لزوميات » .
ولكن هذا النمط نادر جداً ، يكاد ينحصر في لزوميات المعري .

٥ - المتكاوس : ويتكون من مقطعين طويلين بينهما ثلاثية قصيرة
(- ٧٧٧) ، ومثاله الذى يذكر فى كتب العروض : (قد جبر الدين الإله
لعجبر) .

والمترادف من أقرب القوافى إلى طبيعة اللغة ، فمن المألوف فى النثر أن تنتهى
العبارة بهذا المقطع . ومن ناحية أخرى ينتهى المقطع زائد الطول دائما بصوت
صامت . وهذا أيضا مما يقرب التكوين من طبيعة اللغة النثرية . ويلاحظ أن هذا
النوع يرد فى الشعر المعاصر بأشكاله المختلفة أكثر مما يرد فى الشعر القديم .

والمتوالى والمتدارك تركيبان مألوفان جدًا فى الشعر والنثر . أما المتراكب فتبرز فيه
المقاطع القصيرة ، لأن نسبتها فيه أعلى من النسبة المألوفة . وأما المتكاوس فهو شاذ
جدا لغلبة المقاطع القصيرة عليه . وقد استقبحه القدماء ، ولعل التسمية تدل على
هذا الاستقباح (كما ذكرت من قبل) .

ولهذا كله كانت المكونات الصوتية والتركيب المقطعى لأحرف القافية من عناصر
التكوين التى تعطيه ملامحه المميزة مع العناصر الأخرى .

٥ -

وقد يكتسب التكوين صفات لا ترجع إلى أى من العوامل التى سبق ذكرها ،
بل ترجع إلى ارتباط التكوين بأعمال شعرية معينة ؛ فشيوع الطويل - بتكويناته
المختلفة فى العصور القديمة ، ولا سيما العصر الجاهلى - أضفى عليه طابع العراقة
والأصالة و« الكلاسيكية » . وارتباط التكوينات الرجزية بأنواع من الغناء الشعبى
فى الجاهلية (بالإضافة الى كثرة أنواع الزحاف) جعلها عند الكثير أدنى مرتبة من
« القصيدة » ، وحصرها حيناً من الدهر فى بعض الأغراض ، كأغاني العمل والحرب
ومداعبة الأطفال ، وأبعدها عن أغراض أخرى كالمسح . والتكوين المتمثل فى
قصيدة « الحصرى » :

ياليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده

ارتبط بهذه القصيدة وما عورضت به من قصائد ، أشهرها قصيدة شوقي :

مضناك جفاه مرقده

وبكاه ورخم

عوده

فإذا قصد الشاعر هذا التكوين ، مثلت هذه القصائد أو بعضها أمام عينيه .
ولكن الصفات الناتجة عن الارتباط بين التكوين وأعمال شعرية معينة ، ليست
صفات لازمة مفروضة على الشاعر ، وليس من المبال أن يخلع الشاعر عن التكوين
ثوبه الذى اشتهر به ، وأن ينسج له ثوبا آخر . وقد ظهر بعد الإسلام عدد من
الشعراء عونا بالرجز وعاملوه كما يعامل غيرهم أوزان الشعر الأخرى ، حتى سُموا
« الرّجّاز » ، فلم يعد الرجز عندهم وزنا شعبيا مبتذلا^(١) .

٦ -

قد تتوافق العوامل التى سبق ذكرها وتتضمن لخلق شخصية التكوين ، وقد
يعارض بعضها بعضا ؛ فقد يجتمع فى التكوين - مثلا - صغر الوحدات وتشابهها
وقصر الأبيات وتشابه الأقطر ، ويجتمع فى قافيته مع ذلك - صائتان طويلتان
متشابهتان ، فتتعاون كل هذه العوامل لإبراز الجرس . وقد يعمل بعض العناصر فى
اتجاه الجهرارة ويعمل بعضها فى اتجاه الخفوت ، فيكون التكوين مثلا متشابه
الوحدات مع خلوقوافيه من الصوائت الطويلة . فيتعاذل هذا مع ذاك ، أو يتغلب
أحدهما على الآخر ، وعندئذ لن يكون الأثر واضحا قويا كأثر العوامل التى تتضمنان
وتعمل فى اتجاه واحد .

وبالمثل قد تتضمن هذه العوامل مع العناصر الأخرى فى القصيدة (ومنها عوامل
التنوع الموسيقى وهى موضوع الفصل التالى) وقد تعارضها .

١/٧

الفنون - عموما - لا تلتزم التوافق دائما ، بل كثيرا ما تقبل التعارض أو
التقابل ، ومن الأمثلة البسيطة التى توضح ذلك الخطوط التى نكتب بها عناوين
الكتب ، فقد نجد عناوين يدلان على مادة تراثية قديمة أو وثيقة الصلة بالتراث
القديم ، وقد كتب أحدهما بخط تقليدى ، وكتب الآخر بخط مستحدث . ففى
الحالة الأولى نشعر بالتوافق بين الخط ومدلول الكلمات ، وفى الحالة الثانية نشعر

(١) وللرجز الشعر الجديد شأن عظيم ، فلا ينافس فى الشيوع فيه إلا المتدارك والخبب . (على يونس :
النقد الأدبى وقضايا الشكل الموسيقى فى الشعر الجديد - ص ١٢٤ وما بعدها) .

بالتقابل بينها . ومثل ذلك يقال إذا دلّ العنوانان على مادة حديثة ، وكان أحدهما بخط مستحدث ، والآخر بخط تقليدى . وفى الشعر لاحظ القدماء الطباق والمقابلة ، وهما من أبسط صور التعارض بين العناصر . وأكد الناقد المعاصر « كلينث بروكس » أن للمفارقة معنى يجعلها اللغة المناسبة ، بل اللغة المحتومة للشعر . فاللغة التى لا تشوبها المفارقة فى رأيه لا يحتاجها سوى العالم ليعبر عن حقائقه . ومن الواضح عنده أن الحقيقة التى يعبر عنها الشاعر لا يمكن تصويرها إلا عن طريق « المفارقة »^(١) . ومن أمثلة التقابل فى الشعر — على مستوى المعنى — استعمال الكلمات فى غير سياقها المألوف ، كقول « أبى نواس » على لسان الخمر :
 لا تمكّننى من العرييد يشربنى ولا اللثيم الذى إن شمنى قطبا
 ولا المجوس فإن النار ربهم ولا اليهود ولا من يعبد الصلبا
 ولا السفال الذى لا يستفيق ولا غرّ الشباب ولا من يجهل الأدبا
 ولا الأراذل إلا من يوقرنى من السقاة ، ولكنى أسقى العربا^(٢)
 فهو يذم أنماطا من الناس بسبب خلقهم أو دينهم ، ويمجد العرب على لسان الخمر . أى أنه يتحدث بعبارات الجدل فى سياق عابث .

ومثله « المتنبى » حين يستعمل أسلوب الفقهاء وهو يطلب الخمر من المحبوب :
 كل شئ من الدماء حرام
 شربه ما خلا ابنة العنقود

فاسقنيها فدى لعينيك نفسى من غزال ، وطار فى وتليدى
 شيب رأسى وذلتى ونحولى وشحوبى على هواك شهودى^(٣)

(١) محمد محمد عنان : النقد التحليلى — الأنجلو المصرية — القاهرة — بدون تاريخ — ص ٣٩ . والمقصود بالمفارقة هنا التناقض بين موقفين يتسقان — أى يتكاملان فى الوحدة الكبرى التى هى القصيدة (ص ٤٠) .

ويراجع أيضا :

د . نبيلة إبراهيم : المفارقة — مجلة « فصول » — القاهرة — العددان ٣ ، ٤ — أبريل — سبتمبر — ١٩٨٧ م .

(٢) أبو نواس (الحسن بن هان) : ديوان أبى نواس (تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالى) — مطبعة مصر — القاهرة — ١٩٥٣ — ص ٩٢ .

(٣) المتنبى — ص ٢٠ .

وكذلك الأخطل الصغير حين يصف وجه المحبوب الجميل بالعبوس ،
ويستعمل كلمات القتل والثكل والفخر المجلجل في غزل تغلب عليه الدعابة :
يا عاقد الحاجبين على الجبين اللجين
إن كنت تقصد قتلى قتلتنى مرتين

.....
ستحرم الشعر منى وليس هذا بهين
أخاف تدعو القوافي عليك في المشرقين (١)

والعلاقة بين الملامح الإيقاعية للتكوين ومحتوى التكوين قد تكون علاقة توافق وقد تكون علاقة تقابل . ففي حالة التوافق تجتمع في القصيدة عوامل البساطة الإيقاعية مع بساطة المضمون ، أو تجتمع عوامل الجهارة وسرعة الإيقاع مع الانفعالات الحادة ، أو تتلافى عوامل الرزانة والخفوت مع المحتوى الذى يغلب عليه الفكر المتأمل أو العواطف الهادئة ، وهكذا . وفي التقابل ينعكس الوضع . فتجتمع الصفات الإيقاعية مع محتوى مضاد لها . وفي كلتا الحالتين تتفاعل العناصر المتوافقة أو المتضاربة ، فينتج عن هذا التفاعل أو ذلك « سبيكة » واحدة ، لا ينفصل فيها عنصر عن آخر . وعلاقة التكوين بالمحتوى يمكن أن تُشبه بالعلاقة بين سلوك الانسان وانفعالاته ، ففي الانفعال الحاد — حزنا كان أم فرحا أم غضبا أم غير ذلك ، يميل الناس — أكثرهم — إلى السرعة والحدة في أصواتهم وتحركاتهم . يبدو ذلك عندما نشاهد طفلا وهو يتلقى الهدية التى كان يحلم بها ، أو عندما نشاهد امرأة تتلقى نبأ مفجعا ، فكلاهما يظهر انفعاله برفع الصوت ، وكلاهما يتحرك بسرعة وحدة ، وقد يأتیان بحركات أشبه بالرقص السريع . ولا ينفى ذلك أن بعض الناس يحاول أن يضبط نفسه عند الانفعال ، وأن يعبر عن انفعاله بهدوء ظاهرى .

وعلى الجانب الآخر يميل الناس بعامة ، إلى بقاء الحركة وهدوء الصوت ، عندما تبدأ انفعالاتهم أو تغيب . ويكون ذلك — مثلا — عندما يجلس الرجل في استرخاء وهو يتأمل نهرا أو حديقة ، أو عندما يتناول طعامه المعتاد في بيته ، أو عندما

(١) الأخطل الصغير (بشار عبد الله الخورى) : شعر الأخطل الصغير — دار الكتاب العربى — بيروت —

يخلد إلى فراشه للراحة ، ويميل بعض الناس إلى السرعة والحدة في سلوكه ولولم يكن في حالة انفعال شديد .

والتكوينات تشبه في ذلك سلوك الانسان ، فالتوقع أن يتناسب التكوين مع المحتوى فيكون حاداً إذا كان المحتوى حاداً ، هادئاً إذا كان المحتوى كذلك . وهكذا . ولكن كثيراً ما نجد الوضع معكوساً ، فيجتمع المحتوى الحاد مع التكوين الهادئ والمحتوى الهادئ مع التكوين الحاد . . وهكذا ، كما سنرى في الفقرة التالية) .

٧/ب

لتوضيح العلاقة بين ملامح التكوين والمحتوى ، أضرب بعض الأمثلة^(١) :
١ - قصيدة « مهب البردة » لـ « شوقي » وقصيدة « المجلس البلدي » لـ « بيرم التونسي » مصوغتان في تكوين واحد ، تفاعلات الشطرنج : (مستغلان فاعلان مستغلان فعلم) ، والقوافي متشابهة التركيب المقطعي في القصيدتين . يقول شوقي :

ريم على القاع بين البان والعلم	أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
رمي القضاء بعيني جوذر أسدا	يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم
لمارنا حدثتني النفس قائلة	يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي
جحدتها وكتمت السهم في كبدي	جرح الأحبة عندي غير ذي ألم
رزقت أسمح ما في الناس من خلق	إذا رزقت التماس العذر في الشيم
يالأمي في هواه - والهوى قدر -	لو شفق الوجد لم تعذل ولم تلم

لقد أنلتك أذنًا غير واعية ورب متصت والقلب في صمم
ياناعس الطرف لا ذقت الهوى أبداً أسهرت مضناك في حفظ الهوى فمم^(٢)

(١) في هذا الفصل يتركز البحث في ملامح التكوين على النحو الموضح . وهناك عوامل أخرى تشارك مشاركة فعالة في خلق موسيقى القصيدة ، لا تخص تكويناً بعينه ، بل تختلف من قصيدة إلى قصيدة . وسوف تبحث في الفصل التالي . وغض النظر عنها في هذا الفصل لا يعني التقليل من قيمتها .
(٢) شوقي - ١ - ص ١٧٥ .

ويقول « بيرم » :

قد أوقع القلب في الأشجان والكد
ما شرد النوم عن جفني القريح سوى
إذا الرغيف أتى فالنصف آكله
والنصف أتركه للمجلس البلدي

....

وإن جلست فجيبى لست أتركه
كأن أمى بلّ الله تربتها
أخشى الزواج لأن يوم الزواج أتى
وربما وهب الرحمن لى ولدا
يبائع الفجل بالمليم واحدة
كم للعيال وكم للمجلس البلدي (١)

القصيدة الأولى معارضة لقصيدة قديمة هي قصيدة « البوصيري » المعروفة بـ « البردة » . وهي تحاكي هذه القصيدة ، وتحاكي الشعر القديم عموماً ؛ ففيها المطلع الغزلي ، وفيها ما يسمى بـ « تعدّد الأغراض » ، وفيها بعض المعاني والصور المألوفة في الشعر القديم مثل : الحبيب الريم ، وسفك دم المحب على يد المحبوب ، وسهم الحب ، والكبد الجريحة ، واللائم العاذل ، ونعاس الحبيب وسهر المحب ، بالإضافة الى اختيار ألفاظ عتيقة لم تعد مألوفة في عصرنا. كل ذلك أضفى على القصيدة — وبخاصة الجزء الذي استشهدت به — سيما العراقية و « الكلاسيكية » . وقد ساعد التكوين على ذلك مساعدة ظاهرة ، فهو من أكثر التكوينات شيوعاً منذ العصر الجاهلي . ثم إنه يستدعى إلى النفس قصائد معروفة ، معدودة في عيون الشعر العربي ، مثل

قصيدة « النابغة » :

يا دار مية بالعياء فالسند
أقوت وطان عليها سالف الأمد

وقصيدة « الأعشى » :

ودّع حريرة إن الركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

(١) بهرم التونسي : الأعمال الكاملة لبهرم التونسي — ج ٤ — بيرم وحياتة كل يوم (إ.ش. الف : أحمد رشدي

صالح) — هيئة الكتاب — سنة ١٩٨٤ م — ص ٣٨ ، ٣٩ .

وقصيدة « أبى تمام »
 السيف أصدق إنباء من الكتب فى حدة الحد بين الجد واللعب
 وقصيدة « المتنبى » :
 واحرّ قلباه عن قلبه شيم ومن بجسمى وحال عنده سقم
 وقصيدة « البوصيرى »
 هى بطبيعة الحال أول ما يخطر على البال عند قراءة قصيدة شوقى ، ومطلعها :
 أمن تذكر جيران بلدى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
 « فالهارمونى » بين التكوين والمحتوى ظاهر ، على الأقل من هذه الزاوية التى
 أوضحتها .
 أما قصيدة « بيرم » فالتقابل فيها أوجه متعددة ؛ ففيها تقابل بين معنيين ؛
 المعنى الأول العشق الذى يتظاهر به الشاعر سخرية ، ويبدو فى كلمات وتعبيرات
 وثيقة الصلة به ، مثل : الأشجان والكمد - الجفن القريح - طيف
 الحبيب . . الخ ، والمعنى الثانى هو الضيق والسخط والغضب ، وتعبر عنه أكثر
 القصيدة .
 وفيها تقابل آخر بين مستويين من المفردات والتعبيرات ؛ المستوى الأول يتمثل
 فى كلمات مألوفة متداولة فى عصرنا حتى توشك أن تكون عامية ، مثل : المجلس
 البلدى - بائع الفجل - باللميم واحدة - بلّ الله تربتها - العيال . . الخ ،
 والمستوى الثانى يتمثل فى كلمات أقل شيوعا فى العصر الحديث وأبعد عن الاستعمال
 العامى هى كلمات : الأشجان - الكمد - هوى - القريح - طيف الخيال .
 وفيها أخيرا التقابل بين التكوين النظمى الكلاسيكى العريق والمحتوى الذى
 يخوض فى مشكلات الحياة اليومية ، كأنه مقال فى صحيفة ، بطريقة بسيطة فكهة
 قريبة - فى معظمها - من العامة .

٢ - من قصيدة للمتنبى :
 أهلا بدار سباك أغيدها أبعدما بان عنك خرّدها
 ظلّت بها تنطوى على كبد نضيجة فوق خلبها يدها
 يا حادى عيسها وأحسبى أوجد ميتا قبيل أفقدها
 قفا قليلا بها على فلا أقل من نظرة أزودها

ففى فؤاد المحب نار جوى أحرّ نار الجحيم أبردها
شاب من الحجر فرق لمته فصار مثل الدمقس أسودها^(١)

ومن قصيدة لـ « ابن زيدون » .
منية الصبّ أغثنى قد دنت منى المنون
واحفظ العهد فلإن لست والله أخون
وارحم صبا شجيا قد أذا به الشجون
ليله همّ وغمّ وسقام وأنين
شقّه الحب فأمسى سقما ، لا يستبين
صار للأشواق نهبا فنبت عنه الميون^(٢)

إذا قارنا بين النموذجين السابقين ، وجدنا النموذج الثانى أوضح فى موسيقاه
وأحد من النموذج الأول ، وذلك للأسباب الآتية :

— العلاقة بين التفاعيل فى النموذج الأول تقوم على الاختلاف ، فتفاعيل الشطر
(مستعلن مفعلات مستعلن) ، وكل تفعيلة منها تختلف عن غيرها ، (لم أعد
« مستعلن » صورة مزاحفة لـ « مستعلن » لأن الزحاف فيها ملتزم) . أما فى
النموذج الثانى فالعلاقة بين تفعيلتى الشطر تقوم على التشابه (فاعلاتن فاعلاتن) .

— الشطر فى النموذج الأول أطول من الشطر فى النموذج الثانى .

— القافية فى النموذج الأول تتضمن صائتا واحدا طويلا ، وفى الثانى تتضمن
صائتين طويلين .

— الصائت الطويل فى قوافى النموذج الأول لا يجعل الأبيات مخالفة للمألوف فى
النثر ، فهى ليست ناتجة عن مدّ صائت قصير ، بل هى جزء من الضمير (ها) ،
ومن الممكن أن تنتهى الجملة النثرية بمثل هذه الألف . أما النموذج الثانى فالصائت
الطويل فى أواخره ناتج عن مدّ صائت قصير ، وهو أمر لا نظير له فى النثر .

(١) المتنبي — ص ٨ .

(٢) ابن زيدون — ص ٧٤ .

ومن ناحية أخرى نجد التركيب المقطعي لقوافي الأول من النوع المسمى بالترائب ، وفي الثاني من النوع المسمى بالترادف . والثاني أقرب الى المألوف في لغة النثر كما تقدّم . ولكن هذا العامل يَضْعُفُ أثره أو يختفى بجانب العوامل الأخرى .

ومع هذا الاختلاف بين ملامح التكوينين ، فالكلمات في كل منهما تنزف وتصرخ ألما . واجتماع التكوين الخافت مع المحتوى الحادّ يختلف كثيرا عن اجتماع التكوين الحادّ مع المحتوى الحادّ ، ففي النموذج الأول نحسّ أن الشاعر يمتلك لإرادته ، بمسك بزمام نفسه ، وفي النموذج الثاني نشعر أن الانفعال قد فاض حتى طغى على الشاعر . أى أن التكوين الوزني كانت له وظيفة تعبيرية في كل من النموذجين .

وكأن الشاعر في المثال الأول رجل ملتانع يعبر عن انفعاله همسا . وكأنّه في المثال الثاني رجل منفعل كذلك ، ولكنه يصيح ليعبر عن انفعاله .

لقد استطاع الهمس والصياح أن يعبرا عن انفعال واحد ، أو انفعالين متشابهين ، ولكن الصيغة الكلية للانفعال الهماس تختلف كثيرا عن الصيغة الكلية للانفعال الصارخ .

ومثل النموذج الأول قصائد الحزن الحادّ المصوغة في التكوينات الهادئة ، كقصيدة « ابن الرومي » في رثاء ولده ، وغيرها . وهى كثيرة لا يخلو منها ديوان قديم أو جديد . ومثل النموذج الثاني القصائد الحزينة ذات التكوينات الهادئة ، كقصيدة أم السليك في رثاء ولدها ، وقصيدة « لشوقي » منها :

الضلوع	تتقدّ	والدموع	تطرّد
أيها الشجى	ألق	من عناء	ما تجدّ
قد جرت لغايتها		عبرة لها	أمدّ
كل مسرف جزعا		أو بكاسيقتصدّ	
والزمان	سنّته	في السلوّ	يجتهد
قل لشاكّلين مشى		في قوامها	الكمّد
لم يعاف قبلكما		والد ولا	ولدّ
الذين ميل بهم		في سفارهم	بعدّوا

ما علمتما أشقوا بالرحيل أم - سعدوا^(١)

ومثل قول « المتنبي » :

أرق على أرق ومثل يأرق
جهد الصبابة أن أكون كما أرى
ملاح برق أو ترنم طائر
جربت من نار الهوى ما تنطفئ
وعذلت أهل العشق حتى ذفته
وعذرتهم وعرفت ذنبي أنني
أبني أبينا نحن أهل منازل
نبكى على الدنيا وما من معشر
أين الأكاسرة الجبارة الألى
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا
فالموت آت والنفوس نفائس
والمرء يأمل والحياة شهية
ولقد بكيت على الشباب ولتى
حذرا عليه قبل يوم فراقه

وجوى يزيد وعبرة تتدفق
عين مسهدة وقلب يخفق
ألا انشيت ولى فؤاد شيق
نار الغضى وتكل عما يحرق
فعبجت كيف يموت من لا يعشق
غيرتهم فلقيت منه ما لقوا
أبدا غراب البين فيها ينق
جمعهم الدنيا فلم يتفرقوا
كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
حتى ثوى فحواه لحد ضيق
أن الكلام لهم حلال مطلق
والمستعز بما لديه الأحق
والشيب أوقر والشبية أنزق
مسودة ولما وجهى رونق
حتى لكدت بماء جفنى أشرق^(٢)

وقول « الحصري » :

ياليل الصب متى غدّه
رقد السمار فأرقه
لبكاه النجم ورق له
كلف بغزال ذى هيف

أقيام الساعة موعده
أسف للبين يردده
ما يرعاه ويرصده
خوف الواشين يشرده

(١) شوقي - ج ٣ - ص ٥٩ .

(٢) المتنبي - ص ٢٨ .

بأمن جحدت عيناه دمي
خداك قد اعترفا بدمي
اني لأعيدك من قتلى
بأله هب المشتاق كرى
ما ضرك لو داويت ضنى
لم يبق هواك له رمقا
وغدا يقضى أو بعد غد
وعلى خديده توره
فعلام جفونك تجحده
وأظنك لا تتعمده
فلعل خيالك يسعده
صب يدنيك وتبعده
فليبك عليه عوده
هل من نظر يتزوّه^(١)

وقصيدة « إيليا أبي ماضي » بعنوان (من أغاني الزوج) :
فوق الجميزة سنجابُ والأرنب تفرح في الحقل
وأنا صياد وثأبُ لكنّ الصيد على مثلي
محظور إذ أني عبْدُ
والديك الأبيض في القنّ يختمال ، كيوسف في الحسن
وأنا أتمنى لو أنّ أبطاد الديك ولكني
لا أقدر إذ أني عبْدُ
وفتاق في تلك الدارِ سوداء الطلعة كالقارِ
سيجيء ويأخذها جاري ياويحي من هذا العارِ
أفلا يكفي أني عبْدُ^(٢)

ومثل ذلك يقال عن قصائد الفرخ والمرح والانطلاق والحركة النشطة ، فإذا كانت هادئة التكوينات فهي أشبه بالرجل الوقور الذي يكتفي بانتسامة ليظهر شعوره بالبهجة ، مهما تكن درجة هذا الشعور وقوته ، وإذا كانت تكويناتها بسيطة ،

(١) محمد المرزوقي والجبلان بن الحاج يحيى؛ على الحصري ، دراسة وختارات - الشركة التونسية للتوزيع - تونس - ط ٢ - ١٩٧٤ م - ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) إيليا أبو ماضي : الجداول - دار العلم للملايين - بيروت ط ١٧ - ١٩٨٦ - ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
(ويصدق على مثل هذه الأشكال التنظيمية ما يصدق على الأشكال العمودية التقليدية ، والتنوع المنتظم هنا لا يقلل من وضوح النغم ، بل يؤكد ، وسوف تعالج أشكال التنوع المنتظم في فقرة تالية من هذا الفصل) .

واضحة الجرس ، توحى بالحركة السريعة ، كانت أشبه بالصبي حين يفرح ، فيقفز ويصيح ويصفق ليعبر عن فرحه . فمن النوع الأول مثلاً قول « البارودي » :

صبح مطير ونسمة عطرة	وأنفس للصبح منتظرة
فدر بعينيك حيث شئت تجد	ملكاً كبيراً وجنة خضرة
سماؤها بالغصون واشجة	وأرضها بالنبات مؤترة
منظر لهو تعيد بهجته	أكنة العيش وهي منحسرة
فالعفر تحت الظلال راتعة	والطير فوق الغصون منتشرة
والطل ينهل من مساقطه	مثل عقود الجمان منتشرة
جداول في الفضاء جارية	ومزنة في السماء منهمة
دنيا نعيم تكاد زهرتها	تزرى على الشمس وهي مزدهرة
لاظلمها راكد النسيم ولا	غدرانها بالغشاء مغمرة

فيا ابن ودّى هلم نقسم اللهو فنفسى إلى الصباحيرة^(١)

وقوله أيضاً :

دعاني إلى غي الصبا بعد ما مضى	مكان كفر دوس الجنان أنيق
فسيح مجال العين أما غديره	فطام وأما غصنه فرشيق
كسا أرضه ثوبا من الظل باسق	من الأيك فينان السراة وريق
سمت صعدا أفنانه فكأنما	لها عند إحدى النيرات عشيق
ومنزل أنس قد عقدنا بجوه	رتائم لهو عقدهن وثيق
جمعنا به الأشبات من كل لذة	وما كل يوم بالسرور حقيق
وغنى لنا شاد أغن مفرط	رفيق بجس الملهيات لبيق
إذا مدّ من صوت ورجع أقبلت	علينا وجوه العيش وهو رفيق
فيا حسنه من منزل لم يطف به	غوى ولم يحلل حماء لصيق
جعلناه تاريخاً لأيام صهوة	إذا ذكرت مسّ القلوب حريق
أقمنا به يوماً طليقا وليلة	دجاها بلألاء المدام طليق ^(٢)

(١) البارودي (عمود سامي) : ديوان البارودي - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧١ م - ج ٢ -

ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) البارودي - ج ٢ - ص ٣٣٣ : ٣٣٧ .

فالتكوين الأول تفاعيله : (مستفعّلن مفعلات مستعلنن - والثاني مثله) ويقال عنه ما قيل عن التكوين في أبيات المتنبي التي سبق الاستشهاد بها (أهلا بدار سباك أغيدها) ، ففيه العوامل نفسها التي تسبب الإحساس بخفوت النغم . ويضاف هنا عامل آخر هو خلوّ منطقة القافية تماما من الصوائت الطويلة .

أما قصيدة البارودي الثانية فتفعيلاتها ؛

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن فعولن

والتفعيلة المجاورة للضرب ليست - في رأيي - صورة بديلة لفعولن ، لأن الشاعر التزم هذه الصورة ولم يستبدل بها غيرها في القصيدة كلها . وفي هذا التكوين من عوامل الخفوت : اختلاف التفاعيل المتناظرة في كل شطر ، ففي الصدر تختلف التفعيلة الثانية عن الرابعة ، وفي العجز تختلف الثانية عن الرابعة ، وتختلف الأولى عن الثالثة . والاختلاف في العجز أوضح من الاختلاف في الصدر . واختلاف العجز عن الصدر يعد من عوامل الخفوت . ومنها طول الشطر بالقياس إلى التكوينات الأخرى . وغلبة المقاطع الطويلة ، وتركيب القافية التي تتكوّن من مقطعين طويلين .

واشتمال القافية على صائتين طويلين يعمل في الاتجاه المضاد ، ولكن العوامل الأخرى تتغلب عليه .

ومن النوع الآخر هذا الجزء من القصيدة لـ « إيليا أبي ماضي » على لسان طفل :

ما بالك منكمشا كمدا	قم نلعب في فء الشجر
ونهر الأغصن والعمدا	ونذود الطير عن الثمر
أو نصنع خيلا من قصب	أو طيارات من ورق
ومدى وسيوفا من خشب	ونجول ونركض في الطرق ^(١)

ولهذا التكوين تفعيلتان « فعِلن » و « فعْلن » ، تمتزجان ، دون نظام ما ، وهو

(١) إيليا أبو ماضي - الجداول - ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

من أكثر التكوينات حدّة وعلو جرس وإيحاء بالحركة السريعة ، وذلك لصغر وحداته (بالنسبة إلى غيرها) وتشابه هذه الوحدات (إذا أغضينا عن الزحاف) ، وغلبة المقاطع القصيرة على القوافي ، وإطلاقها . والشاعر لم يقتصر على التقفية المعتادة ، بل قفى الصدور أيضا . وتنوع الروى هنا لا يتعارض مع هذه العوامل لأنه تنوع منتظم بسيط . وفي هذه الأبيات يتّحد التكوين مع كلمات المرح واللعب والانطلاق . ومثل ذلك أو قريب منه يقال عن أبيات « بيرم التونسي » في وصف حفل راقص :

ما كاد مغنى القوم يدقّ الدفّ بلحن منه شجى

حتى انفرطت وحداتهم	ثم ازدوجت بالمزدوج
رجل وقريته التصقنا	بصدور العزّ وبالمهجع
فعلى كتفيه معاصمها	ويداه بخصر ذى عوج
وإذا نقلت قدما رفعت	قدما والرفع بلا عرج
مضيا بذراعين ارتفعما	بهما كالسباح في اللجج
ورواحهما ومحيثهما	ما زال على ذاك الهج
طورا كالصاعد في درج	أو كالمنحط من الدرج
من كل اثنين اثنين معا	ذهبا في اللعب وفي المهرج ^(١)

ومن ذلك قصيدة لشوقي ، يقول فيها :

حف كأسها الحبيبُ	فهى فضة ذهبُ
أو دوائر درر	مائج بها لببُ
أو فم الحبيب جلا	عن جمائه الشنبُ
الليوث مائية	والظباء تنسربُ
الحرير ملبسها	واللجين والدهبُ
والقصور مسرحها	لا الرمال والعشبُ
يستفززها نغم	لا صدى ولا لجبُ

(١) بيرم التونسي : مقامات بيرم - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط ٢ - ١٩٨٥ - ص ٥٩ ، ٦٠ .

يستمد مرقصه تارة ويقتضب
فالقُدود بان ربا بيد أنها تثب
يلعب العناق بها وهو مشفق حذب
لهى مرة صعد وهى مرة صبيب
وهى ههنا وههنا تلتقى وتصطحب^(١)

ففى هذه الأبيات من عوامل الجرس المرتفع : قصر الأسطر ووفرة المقاطع القصيرة بالقياس إلى ما فيها من مقاطع طويلة ، ولا سيما فى أحرف القافية ، والصائت الطويل فى آخر كل بيت .

٣ - وليست العلاقة بين التكوين والمحتوى بهذه البساطة دائما ؛ يقول « إيليا أبو ماضى » :

يشرب بنت الكرم بعضُ الناس
وبعضهم لأنه قد ظفرا
وبعضهم لأنه فى فرح
وبعضهم كى يسترد الأمسا
وبعضهم ليستفيد قوة
وبعضهم فى النفس أو وسواس
وبعضهم لأنه قد خسرا
وبعضهم لأنه فى ترح
وبعضهم يجرعها كى ينسى
وبعضهم لسورة الفتوة

.....

.....

لكنهم كلهم يحسوها
لسمما وجدت فى زمان رجلا
وسر هذا أنها كالدنيا
الماد حوها والمقبحوها
وقلت : « هل تجبها » ؟ فقال « لا »
تؤذى ولكن مع أذاها تهوى^(٢)

والوزن هنا من تكوينات الرجز ، تمتزج فى حشوه مستفعلن ومتفعلن ومستعلن دون نظام معين . والضرب والعروض يجمعان بين هذه الوحدات وغيرها . وهو من التكوينات القريبة من النثر (كما ذكرت من قبل) . وقد زاد من هذا القرب استبدال

(١) أحمد شومى .. - ٢ - ص ٩ .

(٢) إيليا أبو ماضى ، الخمائل - ص ٩٢ وما بعدها .

التصريح بالتقفية ، فصارت الأبيات كأنها الجمل الشرية المسجوعة . وهذا الشكل - وإن قُرب المسافة بين الأصوات المتشابهة - أفقد القصيدة علو الجرس الناتج عن وحدة كل من الروى والقافية والعروض والضرب في أبيات القصيدة (كما في الشعر العمودي التقليدي) ، أو في عدد من الأبيات المتتالية ، كما في المسمطات وما شاكلها . وفي كل بيت - فيما عدا البيت الأول والأبيات الثلاثة الأخيرة - يرسم الشاعر في الصدر صورة لطائفة من شارب الخمر ، وفي العجز يرسم صورة لطائفة أخرى مخالفة أو مناقضة للصورة الأولى . ففي معظم القصيدة نجد تناظرا تاما بين الشطرين في التفاعيل والقافية والروى ، مع الاختلاف أو التناقض بين الصورتين . وفي الجمع بين التناظر والاختلاف ، أو بين التناظر والتناقض نوع من التقابل . واختلاف الأبيات بعضها عن بعض في العروض والضرب والروى يتوافق مع اختلافها معا في المضمون ، فكل منها ينظر إلى شارب الخمر من زاوية .

أما الأبيات الثلاثة الأخيرة - التي تشبه أن تكون تعليقا عاما على الصور السابقة - فليس بينها مثل هذا الاختلاف ، بل هي أقرب إلى التلاحم والاتحاد ، ولكنها مع ذلك مختلفة في أعاريضها وأصبرها وأحرف الروى فيها .

ومن ناحية أخرى يخفت صوت العاطفة في القصيدة أو يختفى ، فالشاعر في معظم الأبيات يكتفى بعرض الصورة والصورة المقابلة لها . وحتى في الأبيات الأخيرة التي جعل منها خيطا يجمع الحبات بعضها إلى بعض ، لم يرفع صوته بما يظهر انفعالا حادًا ، فجاءت الأبيات « تعليقا » هادئا .

أي أن العلاقة بين التكوين والمحتوى في هذه القصيدة تجمع بين التوافق والتقابل .

٤ - في القصيدة الواحدة من قصائد الشكل التقليدي قد نجتمع عدة « أغراض » ، أو عدة طبقات من المعاني ، فكيف تكون العلاقة بين التكوين والمحتوى في هذا النوع من القصائد ؟

إذا رأينا في هذه « الأغراض » وحدة تجمعها ، وخيطا ظاهرا أو خفيا ينتظمها ، قد يكون فكرة واحدة ، أو جوا نفسيا واحدا ، فقد نرى أن العلاقة بين التكوين والمحتوى - بكل طبقاته - واحدة .

أما إذا رأينا في هذه الأغراض وحدات بها من عوامل الاستقلال والتمايز أكثر مما بها من عوامل الاتحاد والاندماج ، فقد تختلف العلاقة بين كل جزء من القصيدة والتكوين الوزني .

فإذا قارنا مثلاً بين معلقة « امرئ القيس » ومعلقة « عمرو بن كلثوم » ، وجدنا التكوين في الثانية أعلى صوتاً وأشدّ حدة وأكثر إيجاء بالحركة السريعة من التكوين في الأولى ، فالشطر في معلقة « امرئ القيس » تفاعيله : (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن - والثاني مثله) وفي معلقة « عمرو بن كلثوم » تفاعيله : (مفاعلتن مفاعلتن فعولن والثاني مثله) ، والعلاقة بين تفاعل الشطر في التكوين الثاني أوضح وأبسط من العلاقات في التكوين الثاني ؛ ففي التكوين الثاني تماثل التفعيلة الأولى والثانية (إلا إذا زوحت أحدهما ، والزحاف هنا يعد أمراً عارضاً) ، والتفعيلة الثالثة مختلفة عنها . أما في التكوين الأول ، فالتفعيلة الأولى تماثل الثالثة (إلا في حالة الزحاف) ، والثانية لا تماثل الرابعة (والزحاف في الرابعة ليس عارضاً ، فالقواعد تجعله لازماً في كل أبيات القصيدة) . وقد تزاخف التفعيلة الثانية فتصير « مفاعلن » ، ولكن مثل هذا الزحاف عارض من ناحية ، نادر من ناحية أخرى . وفي معلقة « امرئ القيس » - وأبياتها واحد ثمانون بيتاً - لم يرد هذا الزحاف الا اثنتي عشرة مرة ، فإذا شددت الضاد في قوله (فبحثت وقد نضت لنوم ثيابها) تكون مرات الزحاف المذكور إحدى عشرة .

فالعلاقات في التكوين الثاني يمكن أن تمثلها الأرقام (١ - ١ - ٢) ، أما في الأول فتمثلها الأرقام (١ - ٢ - ١ - ٣) .

والوحدة المكررة في كل من التكوينين هي الشطر ، وهي في الثاني أقصر منه في الأول . وفي قافية الثاني صائتان طويلتان ، أما الأول ففي قافيته صائت واحد طويل .

يقول « امرئ القيس » :

وليل كموج البحر أرخى سدوله	على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه	وأردف أعجازاً وناء بكل كل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى	بصبح وما الإصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه	بأمراس كتان إلى صمّ جندل

في هذه الأبيات تتعاقب الحركة البطيئة للأصوات مع الحركة البطيئة لليل والنجوم ، ويتوافق النغم الخافت مع حالة الحزن الساكن اليأس المستسلم كما تظهر في البيتين الثاني والثالث بخاصة .

ثم يقول :

وقد أغتدى والطير في وكناتها	بمنجرد قيد الأوابد هيكلا
مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا	كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه	كما زلت الصفواء بالمتنزل
على الذبل جياش كأنّ اهتزاه	إذا جاش فيه حميه على مرجل
مسحّ إذا ما السابحات على الوى	أثرن الغبار بالكديد المرّكل
يزلّ الغلام الخفت عن صهواته	ويلوى بأثواب العنيف المثقل
درير كخذر وف الوليد أمره	تتابع كفيه بخيط موصل
له أيطلاظي وساقا نعامة	وإرخاء سرحان وتقريب تنفل ^(١)

وفي هذه الأبيات وما بعدها يتقابل الخفوت في التكوين مع صورة الصياد النشط المبكر ، على متن جواده السريع القوى الضامر الذي يجيش حيوية ونشاطا . أما قصيدة « عمرو بن كلثوم » فهي على اختلاف « أغراضها » تشدق بقوة وحيوية ، كان الشاعر في القصيدة — كلها أو معظمها — يصيح بأعلى صوته ، فهو ينادى الساقية قائلا :

ألا هبّ بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

كأنه يريد أن يعبّ — مع صحبه — خمور الأندرين حتى الثمالة . ثم يقول :

وكأس قد شربت ببعبك وأخرى في دمشق وقاصرنا

فلا يكفيه الشرب في موطنه ، بل يذكر ثلاثة بلاد أخرى ، كأنه يريد أن ينتهب لذات الدنيا في كل مكان . وكأن هذا الإقبال النهم على لذات الدنيا هروب من المنيا والبين الوشيك ، فبعد البيت السابق مباشرة يقول :

(١) الزوزن : شرح للمغلفات السبع — دار صادر ، بيروت — بدون تاريخ نص المعلقة ص ٧ وما بعدها .

وإنّا سوف تدركنا المنايا مقدّرة لنا ومقدّرنا
قفى قبل التفرق يا ظعينا نخبرك اليقين وتخبرنا

ويصف المرأة التي يهاها وصفا حسيا صارخا فيقول :

تريك إذا دخلت على خلاء وقد أمنت عيون الكاشحين
ذراعى عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا
وثديا مثل حق العاج رخصا حصانا من أكف اللامسينا
ومتنى لدنة سمقت وطالت روادفها تنوء بماوليننا
ومأكمة يضيق الباب عنها وكشحا قد جنت به جنونا
وساريتى بلنط أو رخام يرن خشاش حليهما رنينا

ويتحدث بالصوت المرتفع ذاته عن وجهه كأنه يصرخ ألما :

لما وجدت كوجدى أم سقب أضلته فرجعت الحنينا
ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة الا جنينا

فصوته هنا أعلى من صوت الناقه التي أضلّت ولدها فأخذت تصيح ؛ تطلبه وتتوجّع لفقده ، وهو أعلى كذلك من صوت الثكل العجوز التي أبى الشاعر إلا أن يجعلها تفقد أبناءها كلّهم ، وهم تسعة . . فإذا تحدث الشاعر بعد ذلك مفتخرا بقومه وقوتهم وبأسهم وجبروتهم لم نشعر أن نبرته قد تغيّرت . إنه تيار واحد متصل :

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونون فى اللقاء لها طحيننا
يكون ثفالها شرقى نجد وهوتها قضاة أجمعينا

....

....

نجد رؤسهم فى غيربر فما يدرون ماذا يتقونا

....

....

بشبان يرون القتل مجدا وشيب فى الحروب مجربينا

على آثارنا يبيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا

.....

يقتن جياندا ويقلن لستم بمولتنا إذا لم تمنعنونا

.....

إذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقر الدلّ فينا

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الفطام لنا صبي نخر له الجواهر ساجدينا^(١)

فالمحتوى بالرغم من تعدد الأغراض أو طبقات المعاني — إذا أردنا — تشملها روح واحدة تتناغم في تآلف مع موسيقى التكوين .

٥ — بعض التكوينات توحى ملاحظة بالتوسط بين الحدة والخفوت ، أو بين البساطة والتركيب ، أو غير ذلك من الصفات . فإذا حدث تقابل بين إحدى هذه الصفات وبعض جوانب المحتوى فلن يكون تقابلا حادًا كالذي وجدناه في أمثلة سابقة .

يقول « على محمود طه » في قصيدة يرثى بها « حافظ إبراهيم » :

الأديب العريق في لغة الضاد وقاموسها الصحيح المرتب

لم يكن شاعر القسديم ولا كان لأدب عصره يتعصب

كان يعنى بكل فادّ من القول ويزهى بكل حسن ويعجب

شاعر الحب والجمال ورب المنطق الحق واليراع المؤدّب

شعره من ينابيع السحر ينساب وفي عالم الحقيقة ينصب^(٢)

ويقول « أبو القاسم الشابي » :

يا صميم الحياة ! إني وحيد مدليج تائه فأين شروقك

يا صميم الحياة ! إني فؤاد ضائع ظامئ فأين رحيقك

يا صميم الحياة قد وجم الناي وغام الفضا فأين بروقك

يا صميم الحياة ! أين أغانيك ! فتحت النجوم يصغى مشوئك^(٣)

(١) الزورنى — نص المعلقة ص ١١٨ وما بعدها .

(٢) على محمود طه : الملاح الثالث — دار العودة — بيروت — ١٩٧٢ م — ص ١٦٧ .

(٣) الشابي — ص ١١٢ .

وتفاعيل الشطر في كلا المثالين : (فاعلاتن مستفععلن فاعلاتن) ، ويغلب الزحاف على التفاعيل فيها ، فتستبدل (فعلاتن) بـ (فاعلاتن) و (متفععلن) بـ (مستفععلن) في أكثر الأحيان . والتكوين على هذا النحو هادئ خافت إذا قورن بتكوين تفعيلات الشطر فيه : (متفاععلن متفاععلن متفاععلن) أو (فععلن فععلن فععلن) أو (فاعلاتن فاعلاتن) . وهو أيضا مركب إذا قيس بأحد التكوينات المذكورة أو ما شابهها . وهو من ناحية أخرى واضح الإيقاع إذا قورن بتكوين تفعيلات الشطر فيه : (فاعلاتن فاععلن فععلن) أو (مستفععلن مفعلات مستفععلن) أو (مستفععلن فاععلن فععلن) . وهو كذلك أكثر منها بساطة وأقل تركيبا ، فالعلاقة بين تفاعيله تكرار مقطوع ، فهو متوسط بين العلاقة التي تقوم على التكرار الخالص وتلك القائمة على الاختلاف الخالص^(١) .

والتكوين يوازن بين المقاطع القصيرة والطويلة أو يرجع جانب المقاطع الطويلة ترجيحاً طفيفاً ، فهو يتميز عن النثر تميزاً محدوداً .

والقافية في المثالين من النوع الهادئ ، فهي في كل منها تتركب من مقطعين طويلين ، وفي المثال الأول تخلو تماماً من الصوائت الطويلة ، وفي الثاني تتضمن صائناً واحداً طويلاً . والوقف في كلتا القافيتين لا يختلف عن الوقف المألوف في النثر ، إذ تنتهى أحرف القافية في كل من المثالين بصامت .

ولهذه الأسباب أرى أن إحساسى بتوسط هذا التكوين له ما يبرره . والمحتوى في المثال الأول خافت النبرة بشكل واضح ، ولغته أشبه بلغة المقالات ، وصوت العاطفة فيه يكاد يختفى ليظهر صوت الفكر . ولا بد من التقابل بين مثل هذا المحتوى وأى تكوين إيقاعى يحتويه أياً كانت ملاحه وخصائصه ، ولكن لو كان التكوين من النوع الحاد لكان التقابل أجلى وأشد .

أما المثال الثاني فالشاعر فيه يصرخ متألماً شاكياً ، فهو ينادى ويردد النداء بالحاح أربع مرات (يا صميم الحياة !) ، وهو يذكر أوصافاً متتالية تدل على ما يعانیه ، وأكثرها على صيغة اسم الفاعل ، وثلاث منها على وزن « فاعِل » ، فهو (وحيد -

(١) والمقارنة في كل هذه الحالات تفترض التعادل أو التقارب في الجوانب الأخرى ، والا فتفاعيل ليست إلا ركناً من البناء .

مدلج - تائه - ضائع - ظامى - مشوق) . وهو يكرر كذلك التركيب
الاستفهامى المبدوء بـ (أين) : (أين شروقك - أين رحيقك - أين بروقك - أين
أغانيك) .

ولهذا نشعر بالتقابل بين المحتوى والتكوين ، لكنه ليس كالتقابل الذى وجدناه
مثلا فى أبيات المتنبي التى كان أولها : (اهلا بدار سباك أغيدها) ، بل هو أقل منه
وضوحا .

١/٨

يمكن تقسيم الشعر العربى - قبل ظهور الشعر الجديد (شعر التفعيلة) -
قسمين :

١ - الشعر العمودى التقليدى الذى تتشابه فى القصيدة منه الصدور ، وتشابه
الأعجاز^(١) ، وتتحد الأبيات فى القافية والروى .

٢ - شعر التنويع المنتظم ، وأشهر أنواعه الموشحات ، ومنه المسطحات
وما شاكلها . والتنويع فى هذا القسم يجعل التكوين أكثر تركيبا وأوضح نغما . وقد
تناول الوشاح « ابن بقل » بيتين للشاعر « كشاجم » ببعض التغير وجعلها جزءا من
موشح . والمقارنة بين البيتين وهذا الجزء من الموشح توضح الفرق بين طابع الشعر
العمودى التقليدى وشعر الموشحات . قال « كشاجم » :

يقولون تب والكأس فى كف أغيد وصوت المثنى والمثالث عال
فقلت لهم لو كنت أضمرت توبة وأبصرت هذا كله لبسالى

وقال « ابن بقل » :

قالوا ولم يقولوا صوابا
أفنىت فى المجون الشبابا
فقلت لو نويت متابا
والكأس فى يمين غزالى

(١) إلا فى الأبيات المصرفة ، فقد يختلف صدر البيت المصرع عن صدر البيت غير المصرع .

والصوت في المثال عالي

لبدالي^(١)

والفروق بين كلمات المثالين واضحة ، فقد أضاف « ابن بقي » أنهم (لم يقولوا صوابا) ، وجعلهم يقولون (أفنيت في المعجون الشبابا) بدلا من قولهم (تب) ، والكأس هناك (في كف أغيد) وهنا (في يمين غزال) . ولكن الشاعر في كلا النموذجين يتحدث على لسان رجل يُدعى إلى التوبة فلا يستطيع مقاومة الفتنة ، ويؤكد أنه لو أراد التوبة وأبصر هذه المفاتن لفكر في الارتداد عن توبته . ومع هذا التشابه يختلف النموذجان اختلافا كبيرا . ولا يعود هذا الاختلاف إلى التغيير الذي أحدثه الوشاح في بعض الكلمات ، بقدر ما يعود إلى التباين بين التكوينين ؛ فالتكوين الأول رزين خافت الإيقاع إذا قيس بالتكوين الثاني (تفاعيله : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن / فعولن مفاعيلن فعولن فعولن) ، وهو من الأوزان المألوفة في الشعر القديم . ولذلك شارك في الإيحاء بجذبة الموقف الذي يصوره البيتان . فالقارئ يحس أن الشاعر لا يقبل على ملذاته خفيفا مرحا ، بل يسير إليها مثقلا بشيء ما ، كأنه الشعور بالإثم .

أما كلمات « ابن بقي » فتفاعليها :

مستفععلن فعولن فعولن (٢)
مستفععلن فعولن فعولن
مستفععلن فعولن فعولن

(١) ابن سناء الملك : دار الطراز (تحقيق : د . جودت الركابي) - دمشق ١٩٤٩ - ص ٣٣ وما بعدها .
، سيد غازي : ديوان الموشحات الأندلسية - منشأة المعارف - الاسكندرية - ١٩٧٩م -
ص ٤٦٣ ، ٤٦٤

(٢) قطعها « د . سيد غازي » (مستفععلن فعولن فعولن) د . سيد غازي - في أصول التوشيح - دار المعارف - القاهرة ط ٢ - ١٩٧٩ م (ص ١٥١) ، ولعل التقطيع الذي أورده أنسب ، لأنه يبرز عنصر التكرار الذي نجده في داخل الشطر أو البيت في أكثر القصائد ، ونجده في داخل القفل وفي داخل الدور في أكثر الموشحات . ونجده دائما على مستوى القصيدة العمودية (تكرار تكوين البيت) ، وعلى مستوى الموشح (تكرار أوزان القفل ، وتكرار أوزان الدور) .

مستفعلن فعولن فعولن مستفعلن فعولن فعولن

فعلاتن

ولو استعملت التفاعيل (مستفعلن فعولن فعولن) شطراً لبیت في قصيدة على النمط التقليدي^(١) لكانت عاملاً من عوامل خفوت النغم ، جمعها بين الاتفاق والاختلاف . ولكن الموشح — بالرغم من استعمال هذه التفاعيل — جاء واضح النغم ، فيه رشاقة وخفة ؛ فالقوافي وأحرف الروى على مسافات زمنية قصيرة ، والأجزاء تتوالى متشابهة ثلاثية التفاعيل ، ثم يفاجئنا الشاعر بـ « ذيل » مكون من تفعيله واحدة مختلفة عن التفاعيل التي سبقها . ولكن هذا « الذيل » يشبه الجزئين السابقين في القافية والروى ، كأنه بالرغم من التفاوت — يستطيل محاولاً أن يحاكيهما . والتنوع ينتظم انتظاماً دقيقاً — على مستوى الموشح كله — كأنه الزخرفة العربية المنمقة . وكل ذلك يشعرون أن الشاعر يخاطب حواسنا أولاً ، وأنه يلعب أو يرقص أو يغنى . ولذلك اتخذت الكلمات معنى لم نشعر به في كلمات المثال الأول ، كأن الشاعر هنا ينطلق إلى اللهو ضاحكاً عابثاً ساخرًا من الذين (قالوا ولم يقولوا صواباً) . وما يقال عن موشح « ابن بقی » يقال عن الموشحات بوجه عام ، فهي في تعقيدها أشبه بزخارف الأبنية العربية القديمة .

وبالرغم من تشابه الموشحات في شكلها العروضي العام . فباب التنوع داخل هذا الشكل العام مفتوح على مصراعيه ، فلا نستطيع إذا قرأنا أو سمعنا مطلع الموشح أن نتنبأ بأوزان الجزء التالي أو بقوافيه ، وإذا اكتملت لدينا الصورة العرضية للفقرة المكونة من قفل ودور^(٢) استطعنا أن نتنبأ بأوزان الأجزاء التالية ؛ فالأقفال متشابهة الوزن ، وكذلك الأدوار . ومع ذلك يبقى عنصر لا نستطيع التنبؤ به هو قوافي الأدوار وأحرف الروى فيها ، فالقوافي وأحرف الروى تتشابه في كل الأقفال ،

(١) ويلاحظ أن هذه التركيبة من التفاعيل غير معروفة في العروض

(٢) المصطلحات الدالة على أجزاء الموشح تختلف عليها . (د . عنان ص ٢٥ وما بعدها) ولذلك أوردتها

مثلاً من الموشحات (لابن زهر الحفيد) مبيناً به المقصود بالقفل والدور :

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعونك وإن لم تسمع — فقل =

ولكنها تختلف من دور إلى دور . والموشحات — مع ذلك كله — لا تكنفى بالأوزان المعروفة بل تستعمل الأوزان المهمة وتولد أوزانا لم تستعمل من قبل ، بل تخرج على نظم الوزن المعروفة في بعض الأحيان^(١) . وهكذا يبقى القارىء مشغولا بالشكل الموسيقى ومحاولة فهم النظام الذى يحكمه وما قد يكون فيه من خروج على الوزن . ولكل ذلك يتضح الإحساس بالشكل الموسيقى ويرتفع صوت النغم حتى نحس أن الوشاح أشبه بالراقص ، أو المغنى الملحن ، أو اللاعب المرح ، كما قلت من قبل .

	ونديم همت في غرته	=
دور	ويشرب الراح من راحته	
	كلما استيقظ من سكرته	
	جذب الزق اليه واتكا	وسقاني أربعا في أربع - قفل
	مالعيني غشيت بالنظر	
دور	أنكرت بعدك ضوء القمر	
	واذا ماشئت فاسمع خبري	
	عشيت عيناي من طول البكا	وبكى بعضي على بعضي معي - قفل
	غصن بان مال من حيث استوى	
دور	بات من يهواه في فرط الجوى	
	خفق الأحشاء موهون القوى	

(ابن سعيد) على بن موسى) وآخرون : المغرب في حل المغرب (تحقيق د . شوقي ضيف) - دار المعارف - القاهرة - ١٩٥٣ ، ١٩٥٥ - ج ١ - ص ٢٦٧ .

(١) أنكر بعض الدارسين هذا الخروج (د . غازي : في أصول التوشيح) ولكن الأمثلة الدالة عليه قائمة ؛ ففي موشح « ابن الجزار » نجد هذا القفل :

وواعدنى السقم حتى انتهك فؤادى ليا ويحنا قد هلك
وأفعال الموشح كلها على الوزن نفسه ، إلا الخرجة فهي :

ملكك فكن خير من قد ملك يامولى الملاح يا عبد الملك

(د . غازي - ديوان الموشحات ص ٩) ومن الواضح أن الجزء الثانى من الخرجة يختلف في وزنه عن نظيره في الأفعال الأخرى ، ويمثلها القفل الذى أورده أنفا .

وفى موشح (ابن مالك الريسطى) نجد هذه الأفعال :

وليست كل الموشحات سواء ، فبعضها أشد إمعانا في الزخرفة والتنميق من البعض الآخر ، سواء أنظرنا الى النظام الداخلى لـ « الفقرة » أم النظام العام للموشح . وفيما يلي مجموعتان من أقفال الموشحات ، المجموعة الأولى :^(١)

١ - حىَّ الوجوه الملاحا وحىَّ سود العيون (ابن زهر « الحفيد »)
مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
٢ - ياليلة الوصل والسعود بالله عودى (ابن هرودس)^(٢)
مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلاتن

٣ - أعانق بالفكر تلك الطلول وألثم بالوهم تلك الرسوم (ابن الفضل)^(٣)
فعولن فعولن فعولن فعول فعول فعولن فعولن فعول

٤ - سل حارسى روضة الجمال وصوبلى ذلك العذار
من توجَّ الغصن بالهلل وأنبث الورد فى البهار (ابن حريق)^(٤)
مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعول
٥ - لأتبعن الهوى إلى أقاصيه
حتى يقول فريق رقت حواشيه (ابن زهر الحفيد)^(٥)
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعولن
مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فعولن

=	-	ماذا	حملوا	لؤاد الشجى يوم ودعوا
-	-	بالحب	يحمل	عبون وتلتاع أضلع
-	-	للو	يعدل	مايت أظما وينقع

(ابن سعيد - ح ٢ - ص ٤٤٦)

هنا أيضا نجد الأجزاء المتناظرة غير متماثلة الأوزان ، إذا احتكنا الى العروض العربى . وقد ذكر ابن سناء الملك « مثالا للموشح » الذى وزن أبياته مضطرب (ابن سناء الملك - ص ١١٦ ، ١١٧) .

(١) ابن سعيد - ح ١ - ص ٢٧٣ .

(٢) ابن سعيد - ح ٢ - ص ٢١٥ .

(٣) ابن سعيد - ح ٢ - ص ٢٨٩ .

(٤) ابن سعيد - ح ٢ - ص ٣٣٩ .

(٥) ابن سعيد - ح ١ - ص ٢٧٠ .

المجموعة الثانية :

١ - رح للراح وباكراً بالمعلم المشوف غبوقاً وصبحوح على الوتر
الفصيح

(عبادة بن ماء السماء) (١)

فَعْلَن مستفعلن فَعْلَن مستفعلن فَعْلَن فاعلان مفاعلتن فعولٌ

٢ - سطوت بالهيمن ظلماً ولم يستنصر يا ساطي

خف سطوة الرحمن إذا حكم بين البري والخطي

ابن عبادة القزاز (٢)

مستفعلن فَعْلَن مستفعلن مستفعلن مفعولن

٣ - فقلماً أسلو عن مرشف الأكواس

مستفعلن فعْلَن مستفعلن فعْلان

وساحر الطرف مساعد الجلاس فسقيني بنت الزراجين (٣)

مستفعلن فعْلَن مستفعلن فعْلان مفاعيلن مستفعلن فعْلَن

٤ - عرف الرض فاح والطير قدغنى والصبح أضأ فباكر الدنا

(ابن عيسى الإشبيلي) (٤)

مفعولن فعولٌ مستفعلن فعْلَن فعْلَن فعْلَن مستفعلن فعْلَن

٥ - فالوصال ماقد خلا من أمل فائت

والخيال ماقد علا من نفس خافت (ابن القزاز) (٥)

فاعْلان مستفعلن مستفعلن فاعْلَن

(١) ابن سناء الملك - ص ٧١ .

(٢) د . سيل غازي : ديوان الموشحات الأندلسية - ص ١٧٣ .

(٣) ابن سناء الملك - ص ٦٢ .

(٤) ابن سعيد - ج ١ - ص ٢٧٧ .

(٥) ابن سناء الملك - ص ٦٢ .

من الواضح أن المجموعة الثانية أشد تعقيدا وتنميكا من المجموعة الأولى ، فالعلاقات في المجموعة الأولى تكرر بسيط ، فأكثرها أشبه بأبيات الشعر التقليدي الذي تتساوى فيه الأعجاز والصدور . أما المجموعة الثانية فكل قفل فيها يتكوّن من أجزاء متعددة ، متباعدة في أطوالها وأوزانها . والتقفية في المجموعة الأولى إما أن تجعل القفل كببت أو بيتين من الشعر التقليديّ المصّرّع أو غير المصّرّع ، وأما أن تجمع بين تقفية الأعجاز وتقفية الصدور ، (كما في المثال الرابع) ، أما المجموعة الثانية فقوايفها كأوزانها شديدة التعقيد .

ولا يقتصر الأمر على الأقفال ، فالأدوار مثلها في التفاوت .

فإذا نظرنا إلى النظام العام للموشح وجدنا مثل هذا التفاوت ؛ فمن أمثلة الموشح شديد التعقيد موشح « عبادة بن ماء الساء » ، ومنه قوله :

حب المها عبادة	من كل بسام السوار
قمر يطلع	من حسن آفاق الكمال حسنه أبدع
لله ذات حسن	مليحة الحيا
لها قوام غصن	وشنفها الشريا
والشفر حب وزن	رضابه الحميا
من رشفه سعادة	كأنه صرف العقار
جواهر رصع	يسقيك من حلو الزلال طيب المشرع
رشيقة المعاطف	كالغصن في القوام
شهدية الراشف	كالدر في نظام
دعصية الروادف	والخصير ذو انهضام ^(١)

ومن أمثلة الموشحات بسيطة التكوين — نسبيا — موشح « ابن الفضل » الذي يقول فيه :

ألا هل إلى ما تقضى سبيل فيشفى العليل وتوسى الكلام

(١) د . غازي — ديوان الموشحات ص ٨ . وفي الاصل (نهدي الراشف) ، وأشار بهذا التعديل د . محمود مكي .

رعى الله أهل اللوى واللوى
ولاراع بالبين أهل الهوى
فو الله ما الموت ألا السنوى
عرفت السنوى بتوالى الجوى

ومما تَحُلِّلُ جسمى النحيل لقد كدت أنكر حشر الجسوم

فواحسرتا لزمان مضى
عشيّة بان الهوى وانقضى
وأفردت بالرغم لا بالرضا
وبتّ على جمرات الغضا^(١)

تظهر المقارنة بين المثالين أن الأول أشد تعقيدا من الثانى ، فإذا رمزنا للقوافى وأحرف الروى بالأرقام ، وجدنا قوافى الأقفال فى الموشح الأول على هذا النحو :
(١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٣) ، ولكن قوافى الأدوار أبسط من ذلك ، فهى على هذا النحو (٥ - ٦ - ٥ / ٦ - ٥ - ٦) .

أما موشح « ابن الفضل » فقوافيه كلها بسيطة ، فهى فى الأقفال (١ - ٢) ، ولكل دور قافية واحدة تشترك فيها أجزاء الدور .

والأوزان نظامها فى أقفال الموشح الأول بآدى التعقيد ، فالقفل يتكون من خمسة « أجزاء » :

(مستفعلن فعولن - مستفعلن مستفعلاتن

فاعلن فَعْلَن - مستفعلن مستفعلاتن - فاعلن فَعْلَن)

ولكن الأدوار أبسط من الأقفال كثيرا ، فكل جزء منها على وزن واحد (مستفعلن فعولن) ، واختلاف الأقفال والأدوار على هذا النحو عامل من عوامل التعقيد فى تركيب الموشح . فهو يجمع بين التعقيد الداخلى فى تركيب القفل ، والتعقيد فى التركيب العام .

(١) ابن سعيد - ج ٢ - ص ٢٨٩ .

أما موشح « ابن الفضل » فكل قفل فيه مكون من جزئين ، كل منهما على وزن (فعولن فعولن فعولن فعول) ، وكل دور مكون من أجزاء ، كل منها على وزن (فعولن فعولن فعولن فعول) (١).

وكلما زاد نصيب الموشح من التنسيق والتعقيد الزخرفي زاد نصيبه من الصفات التي ذكرتها ، وبالعكس إذا قل نصيبه من التعقيد الزخرفي قل نصيبه من هذه الصفات .

وما قيل عن التكوين وعلاقته بالمحتوى يصدق على الموشح ، فهذا الشكل الزخرفي المنمق يتألف اثتلافا « هارمونيا » مع المحتوى في كثير من الموشحات ، ولا سيما موشحات الغزل الحسى والخمريات وغيرها من معاني اللهو والاستمتاع بملذات الحياة . وقد أشار دارسو الموشحات إلى ارتباطها بالغزل والخمريات والوصف منذ نشأتها ، فالغزل يحتل محل الصدارة في الموشحات ، فللموشحات الغزلية المكانة الأولى من حيث الكثرة العددية . والخمريات كثيرة الشيع في الموشحات . أما الوصف فهو عنصر أساسى فيها ولكنه يأتي في العادة - ممتزجا بالغزل والحديث عن الخمر . وأما الأغراض الأخرى كالممدح والثناء والهجاء فهي في

(١) النماذج المذكورة تمثل أكثر الموشحات بساطة وأكثرها تعقيدا . ومن الموشحات ما يتوسط بين الطرفين ، فلا يصل إلى هذه الدرجة من البساطة ، ولا يبلغ تلك الدرجة من التعقيد ومن ذلك موشح « ابن زهر الحفيد » ومنه هذا الجزء :

جَئْتُ	مقل	الغزلان	جنايا	الشمول
على	عالم	الإنسان	جيلا	بعد جيل
أهيم	بمن	يطغيه	على	الجمال
أداريه	أسترضيه	فيأبى	الدلال	
لقد	عدلوني فيه	وقالوا	وقالوا	
على	حيث قد ألهان	عن	قال	وقيل
ليل	الصد والهجران	ويوم	الرحيل	
إلى	كم أدارى اللوام	مضى	ومرأى	
ونا	الله أخرى الأيام	لا أعطى	قيادا	
لهفى	صرت بين الأقوام	حديثا	معادا	

(ابن سعيد - ج ١ - ص ٢٦٩ ، ٢٧٠)

الموشحات أدنى مكانة من الأغراض الثلاثة (الغزل والخمريات والوصف) ، ثم إن هذه الأغراض الثلاثة قد ارتبطت بالموشحات منذ نشأتها ، أما الأغراض الأخرى فهي فيها مستحدثة ، لاوتباط الموشح عند ظهوره بالغناء^(١) .

قال « ابن بقي » :

دن بالصبا شرعا	ما عشت	يا صاح
ونزه السمع	عن منطق	اللاحى
فالحكم أن تسمى	عليك	بالراح
أنامل العناب	ونقلك	الورد
حف بصدعئ آس	يلويهما	الخد ^(٢)

وقال « ابن رحيم » :

لا أنسى ما عشت	يوما	شربت
مع من به همت	يوما	فقلت
حين تناشيت	وقد	طربت
بالله صاح	در	كاس راح
ودع كلام الناس	مع	الرياح ^(٣)

فالعجب بالشكل هنا يتسق ويتعائق مع اللهو والعبث الذى يعبر عنه الوشاحان ، فى اتجاههما إلى الخمر والحب (بمعناه الحسى) ، واستخفافهما بالقيم السائدة^(٤) ؛ « فابن بقي » يجعل الصبا شرعا ، ويدعو إلى تنزيه السمع عن منطق اللاحى ، و « ابن رحيم » يأمر صاحبه أن يدع كلام الناس مع الرياح . وإلى جانب ذلك نجد اللعب بالألفاظ ، فهناك الجناس فى قول « ابن بقي » : (مالى - مالى) ،

(١) د . عثمان : ص ٤٩ وما بعدها .

(٢) د . غازى : ديوان الموشحات - ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

(٣) د . غازى - ديوان - ص ٣٥٤ .

(٤) والمثالان عتشان جدا إذا قيسا بغيرهما من موشحات المجون ، ففي الموشحات من الصراحة والجرأة مالا نجله فى غيرها إلا نادرا . والأمثلة على ذلك كثيرة (يراجع على سبيل المثال : د . غازى - ديوان الموشحات) .

واستعمال فعلين غريبين في قول « ابن رحيم » : « تناشيت من النشوة و « در »
بمعنى « أدر » .

وقد نجد في الموشح كلمات ظاهرها الحزن والشكوى ، ولكننا نشعر أنها تبطن
الرغبة في العبت واللهو ، وكأنَّ التظاهر بالحزن والسهد والمرض والاحتضار حيلة
يحتال بها الشاعر لا ستمالة الحبيب . ويؤكد شعورنا هذا ما نجده من تطرّف
وتلاعب بالألفاظ مع ادعاء الحزن والألم ، كما في قول أحدهم :

لما أطال حزني	ولم يرحم
وزاد في التجني	وما سلّم
شدوته أغنى	غنا مفرم
حبيبي أنت جاري	
دارك بجانب داري	وتهجرني ^(١)

وقول « ابن بقی » :

الحبيب سر	لم تدره إلا العقول
لا يستمر	إلا ويبدیه النحول
تسرى تسر	عواذلى بها أقول
عدّال - يا عدّال -	قلتكم محال

رمت ضلال - لست بسال - عن ذا الغزال
من شاء قال - فالبال - ذو بلبال^(٢)

وقد يخاطب الوشاح بعض الملوك مادحا ، ولكن طابع الموشح يجعلنا نشعر أنَّ
المدح ممزوج بالدعابة ، يبدو ذلك في قول « ابن القراز » :

كلّ الأنعام	بذاك يمتدّ
ففى الكرام	كلاما فرد
إنّ الحمنام	في أيكها تشدو

(١) ابن سناء الملك - ص ٤٧ .

(٢) د . غازي : ديوان - ص ٤٢٥ .

قل هل علم أوهل عهد أوكان
كالمعتصم والمعتمد ملكان^(١)

وبعض الموشحات ذو طابع صوفى ، وامتزاج الروح الصوفية بشكل الموشح
يؤدى إلى نوع من المقابلة ، ويذكرنا بحلقات الذكر حيث يمتزج الطرب الحسى
بالنشوة الروحية . ومن أمثلة ذلك قول « أبى عربى » :

لله ما أحلى طعم المذاق
بالمناظر الأعلى عند المساق
آياته تتلى على اتساق
ليل طويل صبح مبين كأنه إلياس فى المرسلين
لما رأى العاذل ما أملا
وقال للسائل هذا سلا
أنشد للقائل إذ عللا
مالى شمول إلا الشجون مزاجها فى الكاس دمع هتون^(٢)

وقد توحى موشحات الرثاء - وهى نادرة^(٣) - بالحزن المفجع لعلو نغمتها ،
ولكن المعانى الخزينة تتقابل - من ناحية أخرى - مع العناية بالزخرفة الشكلية ، كما
فى هذا الجزء من موشح لـ « ابن حزمون » :

يا عين بكى السراج الأزهر النيرا اللامع
وكان نعم الرتاج فكسرا كى تنشرا مدامع
من آل سعد أغر مثل الشهاب المتقد
والمشرف الذكر والسمهرى المطرد
شق الصفوف وكر على العدو متشد^(٤)

(١) ابن سناء الملك - ص ٦٩ .

(٢) ابن عربى : ديوان « ابن عربى » - مطبعة بولاق - القاهرة - ١٢٧١ هـ - ص ١٠٩ .

(٣) د . عنانى - ص ٦٢ .

(٤) ابن سعيد - ج ٢ - ص ٢١٧ .

٨/ب

وما يقال عن الموشحات يقال عن سواها من أشعار التنويع المنتظم ،
كالمسمطات وغيرها ، فبعضها أكثر بساطة من البعض الآخر في التركيب العروضي
وفي نظم التقفية . فمن القسم الأكثر بساطة قول أحدهم :

خيال هاج لي شجننا	فبت مكابدا حزنا
عميد القلب مرتبنا	بذكر اللهو والطرب
سبتني ظبية عُطّل	كأن رضاها عسل
ينوء بخصرها كفل	ثقل روادف الحُقب ^(١)

وقول « نازك الملائكة » :

يا حبّ لم تبق لنا ذكرى	لم يطوها الموت
كان لنا ماض وقد مرّا	ولفّه الصمت
نحن هنا وهما ، لالونا	لا صوت لا شكالا
سراب لاشيئين ، لا معنى	لا لفظ لا ظلاً ^(٢)

ومن القسم الآخر قول الشابي :

ليت شعري	أى
طير	أى
يسمع الأحزان تبكى	بين أغماق القلوب
ثم لا يهتف في الفجر	برنات النحيب

بخشوع واكتئاب
لست أدرى
أى أمر

(١) أس رشيق : العمدة - مطبعة همدية - القاهرة ط ١ - ١٩٢٥ - ص ١١٨ .

(٢) نازك الملائكة : شظايا ورماد - المكتب التجاري - بيروت - ط ٢ - ١٩٥٩ م - ص ٤٩

أخرس العصفور عني أتري مات النشور
في جميع الكون حتى في حشاشات الطيور؟

أم بكى خلف السحاب^(١)

وقول نازك :

نحن إذن أعداء

من عالم لا يفهم الأشواق
ولا يعي أغنيّة الأحداق
أعيننا لا تفهم النجوى
الحب فيها سيرة تروى
كان لها أمس
وضمها رَمَس
من تربة البغضاء

نحن إذن أعداء

تفصلنا عوالم شاسعة
حدودها المجهولة الضائعة
تبث في دروبنا المستحيل
فنذرع العمر الجديب الطويل
بحثا عن الباب
وحبنا الخابى
يفرى بنا الصحراء^(٢)

(١) الشابي - ص ٢٠ .

(٢) نازك الملائكة : قرارة الموجة - دار الكاتب العربى - القاهرة - بدون تاريخ - ص ٦٧ .

٨/حـ

ركّزت في تناوُلِي لما سَمَّيته بأشعار التنويع المنتظم على جانب واحد من جوانب التكوين الإيقاعي ، هو الشكل العام وما فيه من تعقيد وتنمين زخرفي لا نجد في القصائد التقليدية . ومن الواضح أن هذا الجانب إنما هو واحد من جوانب التكوين الإيقاعي ، فهناك جوانب أخرى تشترك فيها هذه الأشعار وقصائد الشكل التقليدي ، كالعلاقة بين نوعي المقاطع ، والعلاقة بين التفاعيل ، وغيرها . وقد سبق تناول هذه الجوانب في هذه الفصل .

٩ -

يمكن أن نقسم الشعر الجديد (شعر التفعيلة) إلى تكوينات ، لكل منها ملامحه ، كما قسمنا أشكال الشعر الأخرى . وملامح التكوين في الشعر الجديد يحددها عاملان : نوع التفعيلة أو التفاعيل التي بنى عليها التكوين ، وأواخر الأبيات .

فالتفعيلة أو التفاعل الأساسية تؤدي إلى نسبة معينة بين نوعي المقاطع ، وتحدد أنواع الزخافات التي يمكن أن تدخل التكوين . ثم إن حجم الوحدة المكررة له أثر في ملامح التكوين (كما ذكرت عند تناول الشكل التقليدي في موضع سابق من هذا الفصل) ، ويبدو أثر التفعيلة في خلق ملامح التكوين إذا قارنا مثلاً بين قصيدتين ، إحداهما مبنية على « مستعلن » والأخرى مبنية على « فاعلن » ، الأولى بعنوان « الصمت والجناح » للشاعر « صلاح عبد الصبور » :

الصمت راكد ركود ربح مينة
حتى جنادب الحقول ساكنة
وقبة السماء باهتة
والأفق أسود وضيق بلا أبواب
منكفي من حيثما التفت كالسرداب
ونحن ممدودان في ظلال حائط قديم
مفترشان ظلنا
ملتحفان بالعذاب

وفجأة أوراق في حقل السما نجم وحيد
ورن في الصمت البليد ريش طائر فريد
همست يا صديقتي توجهي لربنا
وناشديه أن يبت في ظلالنا
رفرفة الحياة من جديد^(١)

والثانية للشاعر « محمد إبراهيم أبو سنة » بعنوان « انتظار » :

واقف في الظلال التي ..
لم تكن غير ذكرى ..
.. النهار البعيد
أستعيد

بعض ما كنت أعرف نفسي به
في الظلام الشديد
وسط هذا السراب الذي ..
.. كان يبدو مدينة
والربيع الذي قد تنثر
فوق الجليد
واقف في انتظار البريد
علّ بخراً يُريد مراسلتى
أو غيوماً ..
.. تحاصرن من جديد
واقف ..

في دموع النشيد
في انتظار احتضار الزمان البليد
واقف كالجواد
وسط دغل القيود

(١) صلاح عبد الصبور : عمر من الحب - مؤسسة روز اليوسف - القاهرة بدون تاريخ - ص ١١٥

والصهيل الطويل يتخطى الحدود^(١)

فالقصيدية الأولى تقوم على « مستعلن » وبدائلها ، أى أنها مبنية على « مستعلن » و « متعلن » و « مستعلن » ، والثانية تقوم على « فاعلن » وبديلتها « فيعلن » ، (فيما عدا تفاعيل الأضراب في المثاليين) . ونتيجة لذلك كانت المقاطع القصيرة أرجح من المقاطع الطويلة في القصيدة الأولى ، أما في القصيدة الثانية فكانت المقاطع الطويلة راجحة رجحانا ظاهرا على المقاطع القصيرة ، ففي القصيدة الأولى كانت النسبة بين المقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة ١٠٠ : ٨٤ ، وفي القصيدة الثانية كانت النسبة بين المقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة ٦٦ : ١٠٠ . فالقصيدة الأولى تخالف النثر بترجيح المقاطع القصيرة ، وتخالفه الثانية أيضا - من جهة أخرى - بالمبالغة في ترجيح المقاطع الطويلة .

أما أواخر الأبيات في الشعر الجديد فهي في بعض القصائد تشبه مواضع الوقف في النثر ، وفي بعضها الآخر تختلف عن هذه المواضع ، وفي قسم ثالث تجمع بين هذا ذاك (يراجع ما كتب عن قوافي الشعر التقليدي في الفقرة « ٣ » من هذا الفصل) ، ومن القسم الأول قصيدة « نازك الملائكة » : (لنكن أصدقاء) ، ومنها :

لنكن أصدقاء
في متاهات هذا الوجود الكثيب
حيث يمشى الدمار ويحيا الفناء
في زوايا الليالي البطء
حيث صوت الضحايا الرهيب
هازئا بالرجاء
لنكن أصدقاء
ففيوم القضاء
جامدات الحدق
ترمق البشر المتعبين

(١) محمد إبراهيم أبوسنة : مرايا النهار البعيد - هيئة الكتاب - القاهرة - ١٩٨٧ م - ص ٤٧ ، ٤٨ .

في دروب الأسى والأنين
تحت سوط الزمان النزق^(١)

ومن القسم الثاني قصيدة « مرثية يوم تافه » « نازك » أيضا ، إلا أبياتا قليلة ،
ومن هذه القصيدة :

لاحت الظلمة في الأفق السحيق
وانتهى اليوم الغريب
ومضت أصداؤه نحو كهوف الذكريات
وغدا تمضي كما كانت حياتي
شفة ظمأى وكوب
عكست أعماقه لون الرحيق
وإذا ما لمست شفتايا
لم تجذ من لسدة الذكرى بقايا
لم تجذ حتى بقايا
انتهى اليوم الغريب
انتهى وانتحبت حتى الذنوب^(٢)

ومن القسم الثالث قصيدة « البيات » : « بطاقة بريد الى دمشق » ، يقول
« البيات » :

والتقيننا ، يادمشق
وعلى معطفك الأخضر ثلج
وعصافير وغابات وورد
وبحار لائح
أنت فيها يا بساط الحب موج
ومناديل وشوق

(١) نازك الملائكة : شظايا ورماد - ص ١٢٥ .

(٢) نازك - ص ٧٦ .

وبعينيك من الصحراء شمس
فوق بيتي الموحش البارد ترسو

ثم يقول :

آه لو تتفجر الأحرف بركان قصائد
لتقحمت جدار الليل
علقت المشانق
- مثل جندي من الجبهة عائد
مثل طائر
عاد من أرض الجزائر^(١) -

ومع هذه الملامح التي تجمع بين قصائد التكوين الواحد في الشعر الجديد ، تظل عوامل التمايز بين هذه القصائد قوية إذا قورنت بعوامل التمايز بين قصائد التكوين الواحد في الشعر التقليدي ، ويعود هذا الفارق إلى عوامل تنوع في الشعر الجديد لا نظير لها في الشعر التقليدي .

١٠ -

عندما ننظر إلى التكوين في عمل شعري ما ، نزداد رؤيتنا وضوحاً إذا نظرنا إليه في ضوء معرفتنا بأمرين : الأمر الأول هو التكوينات المعروفة ، وبخاصة في العصر الذي ينتمي إليه هذا العمل ، ووضع هذا التكوين بينها ، والأمر الثاني هو التكوينات التي جاءت في شعر صاحب العمل ومكانة هذا التكوين بينها .

وعلى سبيل المثال عندما نجد في الشعر الجاهل أحد تكوينات الطويل فهذا أمر معتاد لا يلفت النظر ، كأننا نشاهد بدويًا عربيًا على رأسه عمامة^(٢) . أما عندما نجد

(١) عبد الوهاب البياتي : أشعار في المنفى - دار الكاتب العربي - القاهرة - ط ٤ - ١٩٦٨ م -

ص ٣٢ ، ٣٣

(٢) يكفي أن نتصفح بعض الدواوين أو المختارات من الشعر القديم لتبين بوضوح أن الطويل أكثر البحور يوعا في الشعر الجاهل ، وفي الشعر القديم بعمامة ، وتؤكد ذلك الإحصاءات التي قام بها بعض =

تكويننا كالذى نجده فى قول الشاعر « عبيد بن الأبرص » :
ياذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالا وحينا
أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا ومينا
لوما على حجر بن أم قطام تبكى لا علينا
إننا إذا عضّ الثفاف برأس صعدتنا لوينا^(١)

فكأننا نشاهد يدويا حاسر الرأس ، فهذا التكوين نادر جدا . فى الشعر الجاهلى . وكذلك أكثر « المجزوءات »^(٢) . و « اختيار » الشاعر هذا التكوين أمر لافت للنظر ، وقد نستطيع تفسيره إذا درسنا القصيدة نفسها من ناحية ، ودرسنا أسلوب الشاعر فى صوغ موسيقاه من ناحية أخرى .

وفى العصر الحديث عندما نجد شاعرا يُعنى بالتكوين الوافى للكامل أو الخفيف أو الرمل مثلا فهذا أمر مألوف^(٣) ، أما إذا وجدنا شاعرا مثل « عبد اللطيف عبد الحليم » يعنى بـ « المنسرح » الوافى فيصوغ منه ست قصائد بين ثلاث وثلاثين قصيدة فى مجموعته (لزوميات وقصائد أخرى)^(٤) فهذه نسبة عالية (أكثر من ١٨٪) لا أعرف لها مثيلا ؛ فهذا الوزن قليل جدا فى الشعر العربى قديما وحديثا ، بل إنه فى العصر الحديث يوشك أن يختفى^(٥) . فإذا أراد الناقد أن يدرس هذا الشاعر فمعن المهم أن يتساءل عن عنايته بهذا الوزن محاولا أن يجد للأمر تفسيرا . ولا يتسع المجال لمثل تلك الدراسة ، وأكتفى هنا بهذه الإشارة .

= الباحثين . (د . أنيس : موسيقى الشعر — ص ١٩٣ وما بعدها ، محمد الهادى الطرابلسى : خصائص الأسلوب فى « الشوقيات » — منشورات الجامعة التونسية — كلية الآداب والعلوم الانسانية — تونس — ١٩٨١ م — ص ٣١ وما بعدها) .

(١) ابن الشجرى : مختارات ابن الشجرى (ضبطها وشرحها : محمود حى زناى) — مطبعة الاعتماد — القاهرة — ط ١ — ١٩٢٦ — ص ٣٩ .

(٢ ، ٣) د . أنيس : موسيقى الشعر — نفسه .
والطرابلسى — نفسه .

(٤) عبد اللطيف عبد الحليم : لزوميات وقصائد أخرى — دار الثقافة العربية — القاهرة — تاريخ الإيداع ١٩٨٥ م .

(٥) د . أنيس : نفسه ، الطرابلسى ص ٣٢ .

الفصل الثالث

« التنوع »

حاولت أن أبين في الفصل السابق أن لكل تكوين ملامح خاصة تميزه عن غيره ، وتجعل منه وحدة واحدة . وأحاول في هذا الفصل أن أبين عوامل التنوع في داخل التكوين الواحد ، هذه العوامل التي تميز بين قصائد التكوين الواحد ، بل بين أبيات القصيدة الواحدة . وهذا التنوع هو — بطبيعة الحال — غير منتظم . وتنقسم عوامل التنوع إلى قسمين ؛ القسم الأول : العوامل التي تؤدي إلى الخروج على النسق ، والقسم الثاني : العوامل الأخرى .

١ — الخروج على النسق

أ/١

يجمع إيقاع الشعر العربي بين النسق والخروج على النسق ، ولعلها سمة مشتركة بين الشعر العربي وغيره من الأشعار ، بل لعل لها نظائر في غير الشعر من الفنون ، كما قدمت .

والإيقاع الفنى الذى يقوم على النسق المنتظم المنضبط دون أية شائبة تشويه ، يغلب على أثره فى النفس أن يكون حسياً . وتتضاءل الآثار الفكرية أمام هذا الأثر الحسى ، فهو — كما أسلفت — أشبه بدقات الساعة ، أو أصوات عجلات القطار ، غيرها من الأصوات الآلية .

والرتوب الشديد الذى يحدثه التكرار المنتظم فى هذا النوع من الإيقاعات يؤدى إلى ما يشبه الخدر ، ويقلل من اليقظة . ومن الأمور المعروفة التى يلمسها الإنسان فى حياته اليومية — الأثر المنوم للإيقاعات المنتظمة ، كاهتزازات الأرجوحة ، وحركات

البندول ، ودقات الساعة ، وأصوات عجلات القطار . ولهذا كانت القدرة التعبيرية في مثل هذه الإيقاعات محدودة ، فالفنون التعبيرية — كما تقدم — تحاكي الحياة الإنسانية ، وهى ليست انتظاما خالصا ، بل تجمع بين الانتظام والاضطراب .

فالخروج على النسق له وظائف في الشعر وفي غيره من الفنون ، فهو يقاوم ذلك الحذر الناشئ من التكرار المنتظم فيشير الانتباه واليقظة ، ويدعم الجانب الفكرى في مواجهة الجانب الحسى ، ويجعل العمل الفنى أقدر على التعبير ، كما سنرى .

وللخروج على النسق طريقتان : كسر الوزن ، وبعض أنواع الزحاف والعلل الجارية مجرى الزحاف ، وهما طريقتان مختلفتان ؛ فالزحاف^(١) يأتي في مواضع معينة ، وفي صور معينة ، وكلاهما معروف سلفا ، إذ تقرّه التقاليد السائدة ، وتحدده القواعد تفصيلا . أما كسر الوزن فلا قاعدة له ، ولا سبيل إلى توقع المواضع التي يحل بها أو الصورة التي يكون عليها ، ولهذا فهو أشدّ تأثيرا من الزحاف . والإسراف في كسر الوزن وفي بعض أنواع الزحاف قد يضيّع الإيقاع ويحيل الشعر نثرا ، ولكن الوزن يستوعب من الزحافات قدرا أكبر مما يستوعب من كسور الوزن .

وكلاهما — الكسر والزحاف — يقوم على إخلال جزئى بالنظام الكمي . والنظام الكمي — كما أسلفت — يقوم على ترتيب معين لعدد من المقاطع على أساس أنواع هذه المقاطع من حيث الطول والقصر ، أى أنه يقوم على عدد المقاطع وأنواعها وترتيبها . والكسر يؤدى إلى اختلال في واحد أو أكثر من هذه الأركان بغير حدود . أما الزحاف فهو يؤدى إلى الاختلاف بين بعض التفاعيل المتناظرة في حدود التقاليد المتعارف عليها بين الشعراء ، والقواعد التي وضعها العروضيون .

(١) يختلف الزحاف عن العلة الجارية مجرى الزحاف في أنه يصيب السبب ، أما العلة الجارية مجرى فتصيب الوند . ولكنها يتفقان في أثرهما ؛ فكل منهما يؤدى إلى تنوع غير منتظم ، ويؤدى من ثم إلى إخلال جزئى بالنسق . وحين يُذكر « الزحاف » هنا فالمصطلح يشمل الزحاف والعلل الجارية مجرى الزحاف

وقد وصلت إلينا أمثلة لكسر الوزن في الشعر القديم ، وبخاصة في العصر الجاهلي^(١) ، فقصيدة « عبيد » :

أقفر من أهله ملحوب فالقطيّات فالذنوب

زاخرة بالكسور ، كما في الأبيات التالية :

إما قتيلا وإما هالكا والشيب شين لمن يشيب
أفلح بما شئت فقد يبلغ بالضعف وقد ينجدع الأريب
فقد يعودن حبيبا شائء ويرجعن شائئا حبيب^(٢)

ومثلها قصيدة تنسب إلى « امرئ القيس » ، مطلعها :

عيناك دمعها سجال كأن شأنيهما أو شال
ومنها : صال عليه ربيع باكر كأن قريانه الرجال^(٣)

وقصيدة « المرقش الأكبر » :

هل بالسديار أن تحيب صمم لو كان رسم ناطقا كلم

من السريع ، ولكن هذا البيت من الكامل :

ما ذنبنا في أن غزا ملك من آل جفنه حازم مرغم^(٤)

(١) د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي (من مجموعة « تاريخ الأدب العربي ») - دار المعارف - القاهرة -

بدون تاريخ - ص ١٨٤ وما بعدها .

(٢) عبيد بن الأبرص : ديوان عبيد بن الأبرص (تحقيق : د . حسين نصار) - البابي الحلبي - ط ١ -

١٩٥٧ م - ص ١٠ وما بعدها . ، د . ضيف : السابق - ص ١٨٤ .

(٣) امرئ القيس : ديوان امرئ القيس (تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم) - دار المعارف - القاهرة -

ط ٣ - ١٩٦٩ م - ص ٢٨٩ وما بعدها .

، د . ضيف - الموضع نفسه .

(٤) الفضل الضبي : المضليات (تحقيق : أحمد شاکر وعبد السلام هارون) - دار المعارف - القاهرة -

١٩٥٢ م - ص ٢٣٧ .

لأن التفعيلة الثانية في العجز (نة حازم) على وزن « متفاعلن » .

وقصيدة « عدى بن زيد » :

تعرف أمس من ليس الطلل مثل الكتاب الدارس الأحول

من « السريع » ، وبعضها على غير هذا الوزن ، مثل العجز في هذا البيت
أنعم صباحا علقم بن عدى أثويت اليوم أم ترحل^(١)

ومثل هذا البيت : (إذ هي تسبى الناظرين وتجلو واضحا كالأقحوان رتل) ومثل
ذلك يقال عن قصيدته :

قد حان أن تصحوا لو تقصر وقد أتى لما عهدت عصر^(٢)

وفي قول الراجز :

وغى وغى وغى وغى
حرّ الحرار والتظى
وملئت منه الرّبا
يا حبذا المحلقون بالضحي^(٣)

يتكون كل بيت من تفعيلتين ، إلا البيت الأخير ، فهو ثلاث تفعيل^(٤) .

(١) أبو الفرج الأصفهاني : كتاب الأغاني - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٨ م - ج ٢ - ص ١٥٣ وما بعدها .

(٢) أبو العلا المعري : الفصول والغايات - ص ١٣١ ، ١٣٢ ، د . ضيف - السابق - ص ١٨٥ .

(٣) د . حسين نصار : الشعر الشعبي العربي - المؤسسة المصرية العامة - القاهرة - ١٩٦٢ م - ص ٧٩ .

(٤) ذكر الأحمش أن قسما من الشعر تسميه العرب « الرمل » ، وهو كل شعر (مهزول البناء) ، ولا يتحدون في ذلك شيئا . ويدّون أن من هذا القسم ما يتضمن اختلافا في الوزن ، فقد مثل له بقول عبيد (أقفر من أهله ملحوب) ، ولعله يريد القصيدة في جعلتها . ولكنه ذكر كذلك بقى « ابن الزبيري » :

ألا لله قوم ولدت أخت بنى سهم
هشام وأبو عبد مناف مدره الخصم

وليس في البيتين كسر ، وإنما تزدهم فيها الزخافات . والغريب أنه ذكر من هذا القسم (عامة المجزوءات) . (القوافي - ص ٦٧ ، ٦٨) وذكر « د . شوقي ضيف » ضمن أمثلة اضطراب الوزن قصيدة « سلمى بن ربيعة » ، ومطلعها : إن شواء ونشوة وخبيب البازل الامون

(د . ضيف - السابق - ص ١٨٥) =

وأظن أن الذى بقى لنا من أمثلة الكسر هو قليل من كثير ، وبخاصة ما يتعلق بالرجز ، وما جرى مجراه من الأشعار التى كانوا يستعينون بها فى أثناء العمل ، والحرب ، وحذاء الأبل ، ومداعبة الأطفال ، وغير ذلك . ولعل الرواة — وبخاصة بعد ظهور العروض — كانوا يهملون الكثير من الأبيات المكسورة . ومن الواضح أن الشعر التقليدى قد تخلص من اختلال الوزن ، وصار أشد حرصا على الوزن فى مرحلة تالية ، حين صار الشعراء أبعد عن التلقائية ، وأكثر وعيا بقواعد اللغة وبخصائص الشعر ، ولا سيما بعد ظهور العروض ، فلا نكاد نجد شيئا من اختلالات الوزن فى الشعر التقليدى إلا فى الموشحات ثم فى الشعر الجديد . وقد أوردت فى الفصل السابق أمثلة من هذه الاختلافات فى الموشحات . ولاحظ « ابن سناء الملك » هذه الظاهرة وسجلها .

وفى الشعر الجديد نجد اختلالات الوزن منتشرة إلى حد بعيد^(١) ، كما فى هذه الأمثلة :

— فى قصيدة لـ « بدر شاكر السيّاب » تجمع بين وزن الكامل والمتقارب نجد هذا البيت : (فأما والنعاس يسيل منك على الجنوب) ، وقد اعترف الشاعر بما فى قصيدته من اختلالات ، ووصفها بأنها متعمدة^(٢) .

= ولكن القصيدة كما جاءت فى الحماسة تلتزم وزنا واحد فى كل أبياتها هو :

مستفعلن فاعلن فعو مستفعلن فاعلن فعولن
وقد أشار « ابن القطاع » إلى هذا الوزن ، وإن ذكر أنه شاذ (ابن القطاع — ص ١١٧) يقول الشاعر بعد ذلك :

من لذة العيش والفنى للدهر والدمر ذو فنون
والمسر كاليسر والفنى كالمدم والحق للمنون
(الحماسة — ح ٢ — ص ١٠)

والبيت الأول يتضمن زحافين ؛ طى فى الصدر ، ونخل فى العجز . ولعل هذا الخلل — وهو زحاف شاذ مستقيم — هو الذى دفع « د . ضيف » إلى القول باضطرابها . وربما كان السبب هو ندرة هذا الوزن .

(١) على يونس : النقد الأدب وقضايا الشكل الموسيقى فى الشعر الجديد — ص ٣٣ وما بعدها ، ص ٤٦ وما بعدها

(٢) بدر شاكر الشياب ؛ فى انتظار رسالة — مجلة الشعر — وزارة الثقافة والإرشاد — القاهرة — يونية —

١٩٦٤

— في قصيدة « رجزية » لصلاح عبد الصبور نجد هذا البيت : (كل مساء . . . بلا ملال)^(١) .

— في قصيدة « لملك عبد العزيز » تقوم على تفعيلة الوافر (مفاعلتن) هذا البيت :

(ترانا نملك الزمن الدّوار في يدنا)^(٢)

— في قصيدة رجزية لـ « محمد عفيفي مطر » هذا البيت : (مطوّحا بالسيف جهة اليمين واليسار) والتفعيلة الثانية فيه (مستفعل) . أي أنّ الزحاف أصابي الوتد . وفي القصيدة نفسها :

وتمنح الحفاة والعراة

— لقاء ما يبعثون من دم — صلبة الكنوز

وفي القصيدة نفسها : (مدائح الزّنا وولد السفاح)^(٣) ، وهنا أيضا أصيب الوتد بالزحاف في التفعيلة الثانية فصارت (متفعل) .

— وفي قصيدة من « الحبيب » للشاعر « كمال نشأت » : (أن نسمع لغة مجهولة) . وفي هذا البيت تفعيلة غريبة مكونة من أربعة مقاطع قصيرة (فَعِلْتُ)^(٤) .

— والتفعيلة نفسها نجدها في قصيدة من الحبيب أيضا للشاعر « مجاهد عبد المنعم مجاهد » في كل من هذين البيتين :

كان اكتمل لها التكوين

ثم نحىء لتستلقى بجوار رجال القرن العشرين^(٥)

وقد استعمل الشعر الجديد التفعيلة « فاعلُ » في وزن الحبيب ، والتفعيلة « مفاعيلن » في الرجز ، وقواعد العروض التقليدي لا تجيز هذا أو ذلك ، ولكنها

(١) صلاح عبد الصبور : الناس في بلادى — ط ١ — بيروت — ١٩٥٧ .

(٢) ملك عبد العزيز : بحر الصمت — دار الكاتب العربي — القاهرة — بدون تاريخ ص ١٤٩ .

(٣) محمد عفيفي مطر : رسوم على قشرة الليل — دار آتون — القاهرة — ١٩٧٢ م — ص ١١ وما بعدها .

(٤) كمال نشأت : مجلة الشعر — القاهرة — أبريل — ١٩٧٦ م .

(٥) مجاهد عبد المنعم مجاهد : مجلة الآداب — بيروت — فبراير — ١٩٧٦ م .

شاعا حتى أوشكا أن يكونا زحافين جديدين .

فمن أمثلة « فاعلٌ » في « الخبب » ما جاء في هذه الأبيات للشاعر « كمال نشأت » :

أحلى أوقات العمر
أن نتجول في طرقات المدن المجهولة
أن نسمع لغة مجهولة
ونصافح أيدي الغرباء (١)

فقد وردت « فاعلٌ » في البيتين : الثاني والرابع ، وفي البيت الثاني وحده ثلاث منها .

ومن أمثلة « مفاعيلن » في الرجز :

— الروض رحب والغصون ناءت
بالشمر (٢)

، — عجبت كيف يبقى صوته (٣)
، — لقد كنّا هنا أمس (٤)
، — كانت شرائط الفرو المخططة (٥)
، — وذكرياتها المنشورة (٦)

(١) كمال نشأت — الموضع نفسه .

(٢) ملك عبد العزيز — السابق — ص ٦٨ .

(٣) كمال نشأت : كلمات مهاجرة — دار الكاتب العربى — القاهرة — بدون تاريخ — ص ٤٢ .

(٤) سعدى يوسف : بعيدا عن السماء الأولى — دار الآداب — بيروت — ١٩٧٠ — ص ٨٨ .

(٥) حفيظ مطر — السابق — ص ١١ .

(٦) أمل دنقل : تعليق على ما حدث — مكتبة مدبولى — القاهرة — ط ٢ — ١٩٧٨ م — ص ٥٨ . وفي كتاب

« النقد الأدهى وقضايا الشكل الموسيقى في الشعر الجديد » أمثلة أخرى للتفعيلتين . (ص ١٠٩ وما بعدها ، ص ١٢٤ وما بعدها) .

١/حـ

تحدث بعض الدارسين عن عوامل تعوّض أثر الزحاف في النسق الموسيقى .
(الفقرة « ٤ - ب » من الفصل الأول) . ويفهم من بعض هذه الآراء أن التعويض يلغى الأثر الذى يحدثه الزحاف تماما ، بل إن القياسات المعملية التى أجراها « د . مندور » تثبت أن زمن التفعيلة المزاحفة يساوى زمن التفعيلة السالمة تقريبا ، بل يربو عليه أحيانا .

وهذا الرأى مردود عليه - كما سبق - بأن الزمن الكلى للتفعيلة لا يكفى ، فالوزن في الشعر العربى يقوم على عدد العناصر وأنواعها وترتيبها ، والعناصر هنا هي المقاطع . والتعويض قد يؤدى إلى إطالة نسبية للمقطع الذى قصّره الزحاف ، وهذه الإطالة تقلل أثر الزحاف ولا تلغيه . ولو أننا بالغنا في الإطالة حتى يصير المقطع القصير مساويا لنظيره الطويل ، فهذه الإطالة غير الطبيعية لابد أن تجعل البيت قلعا غير طبيعى . أى أن التعويض في هذه الحالة سوف يؤدى إلى نوع آخر من الخروج على النسق .

ومن ناحية أخرى ذكر « عبد الملك » أن الزحاف يؤدى إلى نوع من الانتظام (periodicity) أو التماثل في مقاطع التفعيلة أو الشطر أو جزء من الشطر ، كما في التفاعل المزاحفة الآتية :

مفاعِلن ٧ - ٧ / متفعِلن ٧ - ٧ / فاعِلات ٧ - ٧ / فعولُ ٧ - ٧ .

وكما في هذا الشطر = ٧ - ٧ - ٧ = فاعلات فاعِلن .

وهي ملاحظة تصدق على بعض الصور المزاحفة للتفاعيل ، وتصدق كذلك على بعض الأَشطر . ولكن النسق إذا تحقق بهذه الطريقة على مستوى الشطر أو التفعيلة فإنه لا يدعم النسق العام للقصيدة ، بل يعمل في اتجاه مضادّ له ، فإذا كانت تفاعيل الشطر مثلا على وزن « فعولن » إلا واحدة على وزن « فعولُ » فلا بد أن تؤدّى هذه التفعيلة المزاحفة إلى شيء من الإخلال بالنسق العام للشطر ، ولو كانت في ذاتها تتضمن نوعا من النسق . ولولا ذلك ما اجتمع الشعراء على تجنّب أنواع من الزحافات ، فلا ترد إلا شذوذا . ولولا ذلك ما اجتمع العروضيون على استقباح أنواع منها ، كما سنرى . بل إن الشعراء يرتكبون الضرورات - أحيانا - فيخرجون

على قواعد اللغة ليتجنبوا الزحاف . ومن ذلك قول الشاعر :

ألم يأتنيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد^(١)
فلم يجزم الفعل « يأتى » بحذف حرف العلة لكى يتجنب كف التفعيلة الأولى
(مفاعيلن) . ومنه قول الشاعر :

ضربت صدرها الى وقالت يا عديا لقد وقتك الأوائى^(٢)
فتبعا للقواعد يكون العلم المنادى مبينا على الضم (يا عدى) ، فغيره الشاعر
على هذا النحو ليتجنب كف التفعيلة الأولى فى العجز « فاعلاتن » .

وقول « على محمود طه » :

وللقلوب أحاديثٌ يجاوبها تناوح الطير فى ظل الخميلات^(٣)

نجد الثالثة « مستعلن » ، ولولا أن الشاعر صرف الممنوع من الصرف
لصارت التفعيلة « مستعلن » .

ومثل ذلك قول « ملك عبد العزيز » فى هذا البيت من قصيدة رجزية من
الشكل الجديد : (بها تهاويلٌ غريبة عجيبة الصور)^(٤) ، فصرف « تهاويل » أدّى
إلى سلامة التفعيلة الثانية (مستعلن) ، ولو منعت من الصرف لكأنه التفعيلة
(مستعلن) .

وقول « صلاح عبد الصبور » فى قصيدة من الشكل الجديد مبينة على
« مفاعلتن » :

وحين يشقّ بالمحراث مملكته
أخاديدا ووديانا^(٥)

(١) ابن رشيّق - ص ٢١١ .

(٢) ابن مالك (جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله) شرح الكافية الشافية - (تحقيق : د . عبد
المنعم أحمد هريدى) - دار المأمون للتراث ومركز البحث العلمى بجامعة أم القرى - مكة المكرمة -
ط ١ - ١٩٨٢ م - ج ٣ - ص ١٣٠٤ .

(٣) على طه - السابق - ص ١٣٦ .

(٤) ملك عبد العزيز : بحر الضمت - ص ٢٥ .

(٥) صلاح عبد الصبور - أقول لكم - دار الشروق - بيروت والقاهرة - ١٩٨١ م - ص ٨٩ .

إذ صرف «أخاديد» ليتخلص من الزحاف المزدوج المسمى «بالنقص» ويكتفى بالزحاف المفرد المسمى بـ «العصب» .

د/١

يؤدي الزحاف إلى خروج على النسق عندما يؤدي إلى اختلاف بين تفعيلتين متناظرتين ، على مستوى الشطر أو البيت أو القصيدة . ومن الزحاف مالا يؤدي إلى ذلك ، ومن ثم فهو لا يعدّ خروجاً على النسق . ويسمى هذا النوع من الزحاف بالزحاف الجارى مجرى العلة . ففى هذا الوزن ؛

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

ومثاله : ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
تُعدّ (مفاعيلن) صورة مزاحفة من تفعيلة «أصلية» هي «مفاعيلن» . ولكن «مفاعيلن» لا ترد عروضاً لهذا الوزن ولا ضرباً له . فإذا جاءت عروضاً ، عد ذلك كسراً ، وإذا جاءت ضرباً ، فالييت من وزن آخر ، لا تجيز القواعد أن يجتمع مع هذا الوزن في قصيدة واحدة .

ومثل ذلك يقال عن «فعلن» التى تعد صورة مزاحفة من «فاعلن» فى عروض هذا الوزن وضربه :

فاعلاتن فاعلن فعلن فاعلاتن فاعلن فعلن
لفقى عقل يعيش به حيث تهدى ساقه قدمه

و «فعلن» التى تعد أيضاً صورة مزاحفة من «فاعلن» فى عروض هذا الوزن وضربه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
يا حار لا أرمين منكم بدهية لم يلقها سوقة قبل ولا ملك

و «مفاعيلن» التى تعدّ صورة مزاحفة من «مفاعلتن» فى ضرب هذا الوزن :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعيلن
أهاتيهها وأمرها فتغضبني وتمصيني

و «مستعلن» التى تعد صورة مزاحفة من «مستعلن» فى ضرب هذا الوزن :

مستفعّلن مفعولات مستعلن مستفعّلن مفعولات مستعلن
بش الليالى سهرت من طرب شوقا إلى من يبيت يرقدها

و « مستعلن » التى تعد صورة مزاحفة من مستفعّلن فى هذا الوزن :
مفعولات مستعلن مفعولات مستعلن
أعرضت فلاح لها عارضان كالبرد^(١)

ويبدو أن العروضيين قد عدوا هذه التفاعيل صورا مزاحفة لأسباب نظرية خالصة ، فهم يجعلون صورة البحر فى الدائرة هى الأصل ، ولو كانت هذه الصورة مجرد افتراض لا وجود له فى واقع الشعر .

هـ/١

عندما يكون للتفعيلة فى الوزن صورتان (أو أكثر) ، يُعدّ العروضيون إحداهما سالمة ، ويعدون الأخرى (أو الأخريات) مزاحفة . ولا بأس بقبول هذا التصوّر إذا كانت غايته التبسيط ، على ألا يقودنا إلى تصوّر آخر ، مؤدّاه أن الصور السالمة هى السائدة ، أو هى الشائعة ، وأن الصور المزاحفة هى الغريبة أو الشاذة ، وأن النسق يقوم على الصورة السالمة ، أما المزاحفة فتؤدى إلى الإخلال بالنسق . فالواقع أن التفعيلتين قد تتعادلان أو تتقاربان ، وأن التفعيلة التى تعد مزاحفة قد تكون أحيانا هى السائدة ، والتفعيلة التى تعد سالمة تكون عندئذ هى النادرة أو الشاذة .

وعلى سبيل المثال اخترت خمس قصائد على وزن :

فاعلاتن مستفعّلن فاعلاتن والثانى مثله

وهو أحد أوزان الخفيف ، وأحصيت فى كل قصيدة مرات ورود الصورتين « مستفعّلن » و « متفعّلن » ، أو كما يفضل بعض العروضيين : « مستفعّ لن » و « متفعّ لن » . وفيما يلى أسماء الشعراء ، ومطالع القصائد ، وعدد مرات ورود كل من الصورتين :

(١) : الشواهد الواردة فى هذه الفقرة ترد دائما فى كتب العروض (على سبيل المثال : « الإقناع ») للمصاحب

بن عباد () . فيما عدا (بش الليالى ..) فهو من شعر المتنّى (ص ٨) .

ويلاحظ أن الأمثلة لا تطابق التفاعيل فى كل الحالات ، إذ يفرّق بينها الزحاف أحيانا .

١ - امرؤ القيس :

ليس رسم على الدفين يبالى فلولى ذروة فجنبى ذبال^(١)

مستفعلن = ٨ متفععلن = ٥٨

٢ - المتنبي :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من أمره ما عانا^(٢)

مستفعلن = ٤ متفععلن = ٢٠

٣ - ابن الفارض :

خفف السير واتد يا حادى إنما أنت سائق بفؤادى^(٣)

مستفعلن = ١٤ متفععلن = ٦٠

٤ - على محمود طه :

أيها الشاعر الكئيب مضى الليل وما زلت غارقا فى شجونك (بعنوان « غرفة الشاعر »)^(٤)

مستفعلن = صفر متفععلن = ٣٢

٥ - الشايب :

يا صميم الحياة إن وجد مدلج تائه فأين شروقك
(بعنوان : « الأشواق التائهة »)^(٥)

مستفعلن = ٣ متفععلن = ٤٥

وكذلك تتبعت الصورتين « مستفعلن ومتفععلن » فى خمس قصائد (على وزن :

« مستفعلن فاعلاتن » مرتين) بعضها قديم وبعضها معاصر فكانت النتائج كما يلى :

(١) ابن الشجرى - القسم الثانى - ص ٤٩ وما بعدها .

(٢) المتنبي - ص ٤٧٤ .

(٣) ابن الفارض : حيوان ابن الفارض - المكتبة الحسينية المصرية - القاهرة - ط ٢ - ١٣٥٢ هـ -

ص ٧٦ .

(٤) على محمود طه - ص ٢٨

(٥) الشايب - ص ١١٢ .

١ - المتنبي :

ما أنصف القوم ضبّة وأمه الطرطبة (١)
مستفعلن = ٥ متفعلن = ٣٣
٢ - ابن زيدون :

متى أبثك ما يـ يارحمتي وعذابي (٢)
مستفعلن = ٩ متفعلن = ٧

٣ - بهاء الدين زهير :

دخلت مصر غنيّا وليس حال بخاف (٣)
مستفعلن = ٦ متفعلن = ٢٢
٣ - ايليا أبو ماضي :

لمن يضوع العبير لمن تغنى الطيور
(بعنوان : « المومياء ») (٤)
مستفعلن = ٤٢ متفعلن = ٥٦

٤ - الشابي :

شعري نفائسة صدى إن جاش فيه شعوري
(بعنوان « شعري ») (٥)
مستفعلن = ٢٦ متفعلن = ١٨

١/و

ذكرت أن الزحاف الذي يؤدي إلى خروج على النسق هو الذي يحدث اختلافًا بين التفاعيل المتناظرة . ويقع التناظر بين قسمين من تفاعيل القصيدة إذا تماثلت في التركيب المقطعي فلا يختلفان في هذا إلا عرضاً ، فإذا كان بينهما اختلاف ثابت في كلّ

(١) المتنبي - ص ٥٧٤ .

(٢) ابن زيدون - ص ٥٠ .

(٣) البهاء زهير - ص ٢٢٢ .

(٤) ايليا أبو ماضي - الحمائل - ص ٤٢ .

(٥) الشابي - ص ٣٣ .

القصيدة ، فلا تناظر بينهما . ففي هذا الوزن مثلا :

فاعِلن	مفاعِلن	فعولن	مفاعِلن	فعولن
١	٢	٣	٤	

تتناظر التفعيلتان « ١ ، ٣ » . أما التفعيلتان « ٢ ، ٤ » فغير متناظرتين ، لأن من الممكن — نظريا وعمليا — أن يكون الخلاف بينهما ثابتا في كل الأَشْطَر . ولهذا التناظر بين التفاعيل مستويات مختلفة ؛ فقد لا يكون للتفعيلة نظير في الشطر ولا في البيت اللذين تقع فيهما ، وإنما تناظر التفعيلة مع التفاعيل التي تقع في الموقع نفسه من الأبيات الأخرى في القصيدة ، ومثلها التفاعيل التي تحتها خط في كل وزن من الأوزان الآتية :

فاعِلن فاعِلن فاعِلن	فاعِلن فاعِلن فاعِلن
فاعِلن فاعِلن فاعِلن	فاعِلن فاعِلن فاعِلن
مفاعِلن مفاعِلن مفاعِلن	مفاعِلن مفاعِلن مفاعِلن
مستفعلن مستفعلن مستفعلن	مستفعلن مستفعلن مستفعلن
فاعِلن مستفعلن فاعِلن	فاعِلن مستفعلن فاعِلن

ولما كانت الأبيات في الشعر التقليدي متماثلة الوزن ، كان من الطبيعي أن تتناظر كل تفعيلة مع التفاعل الأخرى التي تقع في الموقع نفسه من الأبيات الأخرى . وبالإضافة إلى هذا قد لا تتناظر التفعيلة مع غيرها في الشطر الذي تقع فيه ، وإنما تتناظر مع غيرها في الشطر الآخر من البيت نفسه ، كما في الأوزان التالية (وقد وضعت أرقاما تدل على ذلك تحت التفاعيل ، فحين يوجد رقمان متماثلان تحت تفعيلتين في وزن واحد ، فهذا يدل على تناظرهما) :

فاعِلن فاعِلن فاعِلن	فاعِلن فاعِلن فاعِلن
٣ ٢ ١	٣ ٢ ١
مستفعلن فاعِلن فعولن	مستفعلن فاعِلن فعولن
٣ ٢ ١	٣ ٢ ١

فاعلاتن مستفععلن	فاعلاتن مستفععلن
٢ ١	٢ ١
مستفععلن فاعلاتن	مستفععلن فاعلاتن
٢ ١	٢ ١

وقد تتناظر التفعيلة مع غيرها في الشطر الذي تقع فيه ، وفي الشطر الآخر في الوقت نفسه ، كالفاعل التي تحتها خطوط في كل بيت مما يأتي :

<u>مستفععلن</u> فاعلن <u>مستفععلن</u> فعلن	<u>مستفععلن</u> فاعلن <u>مستفععلن</u> فعلن
<u>فاعلاتن</u> مستفععلن <u>فاعلاتن</u>	<u>فاعلاتن</u> مستفععلن <u>فاعلاتن</u>
<u>مفاعلتن</u> مفاعلتن	<u>مفاعلتن</u> مفاعلتن
<u>متفاعلن</u> متفاعلن <u>متفاعلن</u>	<u>متفاعلن</u> متفاعلن <u>متفاعلن</u>

أى أن التفاعيل تنقسم إلى ثلاثة أقسام ؛

- ١ - قسم تتناظر التفعيلة فيه مع التفاعيل التي تقابلها في الأبيات الأخرى ، ولا تتناظر مع أية تفعيلة أخرى في البيت الذي تقع فيه .
- ٢ - قسم تتناظر التفعيلة فيه مع التفاعيل التي تقابلها في الأبيات الأخرى ، وكذلك تتناظر مع تفعيلة أو أكثر في الشطر الآخر من البيت الذي تقع فيه .
- ٣ - قسم تتناظر التفعيلة فيه مع التفاعيل التي تقابلها في الأبيات الأخرى ، وكذلك تتناظر مع تفعيلة أو أكثر في الشطر الذي تقع فيه ، وأيضا مع تفعيلة أو أكثر من الشطر الآخر للبيت نفسه .

١/ز

يمكن وصف الزحافات المفردة وما تحدثه من اختلافات بين الصورة السالمة والصورة المزاحفة للتفعيلة^(١) بتقسيمها على النحو التالي :

(١) تصنيف صور التفاعيل إلى « سالم » و « مزاحف » لا يعنى القول بأن أحدهما أصل والآخر فرع له ، وإنما يراد به التبسيط . وقد أشرت الى ذلك من قبل .

١ - ما يؤدي إلى اختلاف بين تفعيلتين متناظرتين ، بأن يكون بإحدهما مقطعان قصيران ، يقابلان في التفعيلة الأخرى مقطعا طويلا . ومن ذلك الاختلاف بين كل زوج من التفاعل :

مفاعلتين /مفاعيلن (العصب) ٧ - ٧٧ - / ٧ - - -

مفاعيلن /مستفعلن (الإضمار) ٧٧ - ٧ - / - ٧ -

أى أنّ كلّ تفعيلة سالمة يتوالى فيها مقطعان قصيران يمكن أن تزاخف على هذا النحو .

٢ - ما يؤدي الى اختلاف بين تفعيلتين متناظرتين ، بأن يكون بإحدهما مقطع طويل يقابله في الأخرى مقطع قصير . ومن ذلك الاختلاف بين كل زوج من التفاعيل الآتية :

	مستفعلن	/متفعلن	(الخبث)
	-- ٧ -	/ ٧ - ٧ -	
	مفعولات	/مفعولات	(الخبث)
	-- ٧ -	/ ٧ - - ٧ -	
(الطى)	مستفعلن	/مستعلن	
(القبض)	فمعلن	/فمعل	
	-- ٧ -	/ ٧ - ٧ -	
(القبض)	مفاعيلن	/مفاعيلن	
(القبض)	مفاعيلن	/مفاعيلن	
	-- ٧ -	/ ٧ - ٧ -	
(الكف)	مفاعيلن	/مفاعيلن	
	-- ٧ -	/ ٧ - - ٧ -	
(الكف)	فاعلاتن	/فاعلاتن	
	-- ٧ -	/ ٧ - ٧ -	

وهذا النوع من الزخاف يمكن أن يلحق بأى مقطع طويل فى التفعيلة إذا سلمت

مقاطعها ، الأخرى ، باستثناء الحالات الآتية :
(أ) كل مقطع طويل مسبوق بمقطع قصير وفيما يلي التفاعيل السالمة التي تتضمن مقطعا طويلا يسبقه مقطع قصير :

فاعِلن - ٧ -	فعولن ٧ -
فاعِلتن - ٧ -	مفاعِلن ٧ - -
مفاعِلتن ٧ - ٧٧ -	مستعلن - ٧ -

مفاعِلن ٧٧ - ٧ -

والتتابع المكون من مقطع قصير يليه مقطع طويل يسميه العروضيون - في أكثر التفاعيل - وتدا مجموعا . والمقاطع المبنية فيها سبق هي أجزاء من أوتاد مجموعة ، إلا المقطع الأخير من مفاعِلتن ، والمقطع الثالث من مفاعِلن . ويلاحظ أن الوحدة « - ٧ - » إذا استعملت في الخفيف أو المجتث ، لا يقسمها العروضيون إلى سببين وتند مجموع ، بل يجعلونها سببا ، يليه وتند مفروق (- ٧) ، يليه سبب ، ويكتبها بعضهم « مستعلن » ويكتبها البعض الآخر « مستفع لن » .

ومعنى ذلك أن المقطع الطويل المسبوق بمقطع قصير في هذه التفعيلة تجوز مزاحفته تبعاً لقواعد العروضيين ، ولكن مزاحفة هذا المقطع - فيما أعلم - لا ترد إلا في أمثلة العروضيين ، ولو وردت في غيرها فهي من الشذوذ بحيث لا يقاس عليها^(١) . والوحدة « - ٧ - » عندما تستعمل في المضارع يعدها العروضيون وتدا مفروقا « - ٧ - » يليه سببان ، ويكتبها بعضهم « فاعِلتن » ، وبعضهم يكتبها « فاعِلتن » . أى أن المقطع الطويل الثانى ليس جزءاً من وتند مجموع ، بل هو سبب خفيف . ومع ذلك فالعروضيون - فيما أعلم - لا يذكرون مزاحفة هذا السبب .

(ب) المقطع الأخير في فعولن (- ٧ -) المتبوعة بـ « قُل » (-) في بعض أوزان المقارِب مثل :

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن قُل

(١) العيّنات التي أحصيت فيها « مستعلن » و « متعلن » من الخفيف والمجتث تدلّ على ذلك إلى حد ما ، فليس بها تفعيلة واحدة على وزن « مستعلن » . وذكر الأخفش « أن » مستعمل لم ترد في الخفيف إلا في شعر لـ « ابن قيس الرقيات » - (العروض - ص ١٥٥) .

وقد أجاز بعضهم المزاحفة هنا وإن عُدَّت قبيحة^(١) .

(ج) المقاطع المبينة في التفاعيل الآتية :

(الخفيف والمجثث) ^(٢)	— ٧ × —	مستعلن (أو مستفع لن)
(المنسرح والمقتضب) ^(٣)	٧ × — —	مفعولات
(المضارع)	— — ٧ × —	فاعلاتن (أو : فاع لاتن)

ويفسر العروضيون سلامة هذه الأسباب من الزحاف بأنها أجزاء من أوتاد مفروقة . ولا ضرورة لافتراض الوند المفروق ، ففي كثير من الحالات تمتنع مزاحفة السبب دون أن يكون جزءا من وتد . ثم ان التتابع المكوّن من مقطع طويل يليه مقطع قصير يوجد في أكثر التفاعيل ، ولكنه لا يعدّ وتدا مفروقا إلا في هذه الحالات الثلاث .

(د) المقاطع التي تخضع لقواعد « التعاقب » أو « المعاقبة » ، وهي أن يتتابع مقطعان يجوز أن يسلما معا ، وأن يسلم أحدهما ويزاحف الآخر ، ولا يجوز أن يزاحفا معا^(٤) . وقد يكونان في داخل إحدى التفاعيل ، وقد يكون أحدهما في آخر تفعيلية ، والآخر في بداية التفعيلة التالية . ومثال النوع الأول المعاقبة بين المقطعين الأخيرين في « مفاعيلن ٧ — — × — » في الطويل وفي الهزج ، فيجوز أن تكون « مفاعيلن » و « مفاعيلن » و « مفاعيل » ، ولا يجوز أن تكون « مفاعل » « ٧ — ٧٧ » . ومثال النوع الثاني المعاقبة بين المقطع الأخير في « فاعلاتن » والمقطع الأول في « فاعلن » في « الرمل » :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

— ٧ — — — ٧ — — × — ٧ —

فيجوز أن تكونا « فاعلاتن فاعلن » أو « فاعلاتن فاعلن » ، ولا تكونان

(١) (الصاحب ص ٧٤ ، ابن القطاع ص ٢٠٥ ، الزنجشري ص ١٢٦ ، الأنخفش ص ١٥٦ .

(٢) (ويلاحظ أن « الجوهري » قد أورد شاهدين من « شعر المحدثين » على مزاحفة هذا المقطع (الطنى) ،

أحدهما من الخفيف والآخر من المجثث . (الجوهري — ص ٨٥) .

(٣) يذكر العروضيون أنها من تفاعيل « السريع » ، ولكنها لا تظهر إلا في صورته الدائرية .

(٤) (ابن عبد ربه — ص ح ٥ — ص ٤٢٩ .

ابن القطاع — ص ٩٩ .

فاعلات فعْلن - ٧ - ٧٧ ٧ - «

ويلاحظ أن قاعدة المعاقبة تؤدي إلى التقليل من توالي المقاطع القصيرة ، ففي الحالات التي تخضع لهذه القاعدة تتوالى ثلاثة مقاطع قصيرة إذا زوحف المقطعان المتجاوران^(١) .

٣ - ما يؤدي إلى اختلاف بين تفعيلتين متناظرتين ، بأن يكون بإحدهما مقطعان قصيران ، يقابلهما مقطع واحد قصير في التفعيلة الأخرى .

ويكون في الحالتين التاليتين :

متفاعِلن/مفاعِلن (الوقص)

٧٧ - ٧ - ٧ / - ٧ - ٧

مفاعِلن/مفاعِلن

(العقل)

٧٧ - ٧ - ٧ / - ٧ - ٧

١/ج

أما الزخافات المزدوجة فيمكن تقسيمها على النحو التالي :

١ - ما يؤدي إلى اختلاف بين تفعيلتين متناظرتين بأن يتقابل مقطعان طويلان متجاوران في إحدهما مع مقطعين قصيرين في الأخرى ، ويسمى « الخبل » ، كما في الوجدتين :

مستفعِلن متعلِن

٧ - - / - ٧٧٧

٢ - ما يؤدي إلى اختلاف بين تفعيلتين متناظرتين بأن يتقابل مقطعان طويلان غير متجاورين في إحدهما مع مقطعين قصيرين غير متجاورين في الأخرى ، ويسمى

(١) يستثنى من ذلك التعاقب في أوزان الخفيف بين المقطع الأخير في «فاعِلتن» والمقطع الأول في مستفعِلن ؛ فملاحظتهما مما تؤدي إلى توالي مقطعين قصيرين فحسب .

وقد نفى المعاقبة في هذا الموضع « الأفتش » (العروض - ص ١٥٤) ونسب هذا الرأي إلى الخليل وآخرين من العروضيين (اللعنهورى ص ٦٢ ، ٦٣) .

« الشكل » كما في التفعيلتين :

فاعلاتن / فعلات

٧ - ٧٧ / - - ٧ -

٣ - ما يؤدي الى اختلاف بين تفعيلتين متناظرتين بأن يتقابل فيها جزءان ،
الجزء الأول في بداية إحدى التفعيلتين ، ويتكوّن من مقطع قصيرين يليهما مقطع
طويل ، والجزء الآخر في بداية التفعيلة الأخرى ويتكوّن من مقطع طويل يليه مقطع
قصير ، ويسمى « الخزل » ، وذلك على النحو التالي :

متفاعلن / مستعملن

- ٧٧ - / - ٧ -

٤ - ما يؤدي الى اختلاف كالاختلاف السابق ، إلا أن كلا الجزئين المتقابلين
يقع في آخر التفعيلة ويسمى « النقص » ، على النحو التالي :

مفاعلتن / مفاعيل

٧ - ٧٧ - / ٧ - ٧ -

ط / ١

وأما العلل الجارية بحرى الزحاف فتقسّم على النحو التالي :

١ - ما يؤدي الى التقابل بين مقطع قصير يليه مقطع طويل (وتد مجموع) في
إحدى التفعيلتين ، ومقطع واحد طويل في التفعيلة الأخرى ، كما يلي :

فاعلاتن / فالاتن (التشعيث)

- ٧ - / - - -

فاعلن / فالن (التشعيث أو القطع)

- ٧ - / - - -

٢ - ما يؤدي الى التناظر بين تفعيلة مكونة من مقطع قصير يليه مقطعان

طويلان ، وأخرى مكونة من مقطع قصير يليه مقطع واحد طويل ، ويسمى « الحذف »^(١) :

فعولن / فعو
- ٧ / - ٧

٣ - ما يؤدي إلى تناظر بين تفعيلتين ، في بداية إحداها مقطع قصير يليه مقطع طويل (وتد مجموع) ، يقابله في بداية الأخرى مقطع طويل ، ويسمى « الحزم »^(٢) :

فعولن	/	عولن
- ٧ -	/	- -
مفاعيلن	/	فاعيلن
- - - ٧	/	- - -
مفاعلتن	/	فاعلتن
- ٧ -	/	- ٧ -

٤ - ما يؤدي إلى زيادة البيت عن نظائره في القصيدة ، وتكون الزيادة في أول البيت ، ومقدارها مقطع أو أكثر ، ويسمى الحزم^(٣) .

١ / ك

لماذا جاءت الزحافات على هذا النحو الذي حدّده القواعد ؟ ربما استطعنا أن نفّسر بعض أنواع الزحافات بأنه يعمل في اتجاه المحافظة على نسبة بين المقاطع القصيرة والطويلة ، تقترب من النسبة القائمة في لغة النثر ، فحين تغطي المقاطع القصيرة على التفعيلة يعمل الزحاف في الاتجاه المضاد ، فتتغنى المقاطع الطويلة في

(١) ويكون في عروض « المتقارب » .

(٢) ويكون في أول الصدر ، وأحاز بعضهم أن يكون في أول العجز .

(٣) كل أنواع الزحاف والعلل الجارية مجراه تؤدي إلى اختلاف بين التفاعيل المتناظرة ، إلا الحزم ، إذ الزيادة فيه تكاد تكون مستقلة عن البيت كما لاحظ صاحب (ص ٧٧) وحازم (ص ٢٦٣) ، فالأفضل ألا تعدّ جزءاً من تفعيلة .

التفعيلة المناظرة ، كما في « متفاعِلن » / « مستفعِلن » ، وهكذا . (الفقرة ٧ -
حـ من الفصل الأول) .

وربما استطعنا أن نفترض بعض الفروض لتفسير سلامة أكثر الأوتاد
المجموعة ، (الفقرة ٤ - حـ من الفصل الأول) ، ولتفسير قاعدة الثعاقب (الفقرة
٧ - د » من الفصل الأول) ، ولكن نُظِم الزحاف بوجه عام ، كغيرها من قواعد
اللغة ، هي أقرب الى الاصطلاحات المتعارف عليها ، ومن الصعب إخضاعها
للمنطق في كل الحالات . وربما نشأ كثير منها لأسباب كانت قائمة إبان هذه النشأة ،
ثم زالت الأسباب وبقيت آثارها . وربما كان بعضها ظواهر عارضة في أعمال شعرية
معينة ، لم يقصد أصحابها أن يجعلوها قواعد عامة ، ولكن المعاصرين والتابعين
اتخذوا هذه الأعمال نماذج لهم ، واقتدوا بها ، حتى رسخت وأصبحت أعرافا
وقواعد .

ل/١

قام الخليل وآخرون من العروضيين بتصنيف الزحافات إلى حسن وصالح
وقيح . وقد اتفقوا - فيما أعلم - على استقباح الزحافات المزدوجة^(١) ، وذلك
لخروجها الحاد على النسق ؛ فكل منها يؤدي إلى اختلاف بين التفعيلتين المتناظرتين ،
وهو اختلاف يشمل مقطعين أو ثلاثة مقاطع في كل منها ، ولذلك يعدون الزحاف
المزدوج محصلة زحافين مفردين . كما أن هذه الزحافات شاذة في الاستعمال . وهذا
وذاك يفسر اتفاقهم على وصفها بالقيح . أما الزحافات المفردة فأكثرها - في
تصنيفاتهم - إما حسن وإما صالح ، وقليل منها وصف بالقيح . وقد اختلفوا كثيرا

(١) ابن عيدوبه - ص ٤٥٠ ، ٤٥٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ .

، حازم - ص ٢٦٤ .

، الششتري ص ٧٦ ، ٨٠ .

، اللمنهوري - ص ٢٩ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ .

، حميد - ص ٥٥ ، ٦٣ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٢٣ .

ويستثنى من ذلك « النقص » في « الوافر » ، اذ جعله ابن عديبه « صالحا » .

(ص ٤٥٢) .

في حكمهم على هذه الزحافات^(١) . وفيما يلي عرض لأراء أوردها أربعة من العروضيين ، تُبين بعض بعض ما اختلفوا فيه

الزحاف	ابن عبد ربه	الششتري	الدمهري	د . حميد
١ - قبض « مفاعيلن » في « الطويل » .	حسن	قيل « القبض » أصلح من الكف (في التفعيلة نفسها) وقيل العكس	صالح	حسن
٢ - كف « مفاعيلن » في « الطويل » .	قبيح	يراجع قوله السابق في القبض .	عند « الخليل » قبيح ، عند « الأخفش » أحسن من « القبض »	قبيح
٣ - عفل « متفاعلن » في « الوافر »	قبيح	قبيح ، وفي المجزوءه أقيح . « أبو الحسن » يمنعه .	صالح	صالح وغير حسن
٤ - قبض « مفاعيلن » في « المزج » .	قبيح	صالح	قبيح ، وقيل صالح	قبيح
٥ - خين « مستعلن » في « الرجز » .	حسن	قيل « الخين » أحسن من « الطي » هنا ، وقيل العكس .	صالح	حسن وهو قول (ابن عبد ربه ، وفي رأى الجمهور أنه صالح
٦ - طي « مستعلن » في « الرجز » .	صالح	يراجع قوله السابق في الخين	حسن	صالح في رأى « ابن عبد ربه » وفي رأى الجمهور أنه حسن

(١) وللدكتور « أحمد مستجير » رأى آخر ، هو أن الزحاف يكون ثقيلا إذا دخل السبب الخفيف التالى للوئد المجموع سواء أكان هذا الوئد مع السبب الخفيف في تفعيلة واحدة ، أم كان الوئد في تفعيلة وكان السبب نالياه في تفعيلة أخرى . (و د . « مستجير » يعبر عن ذلك بلغة الأرقام حسب النظام الذى اقترحه ، وقد أشرت اليه في التمهيد) .

والحقيقة أن « القاعدة » التى وضعها « د . مستجير » تصطبغ بواقع الشعر وآراء العروضيين ، فقبح فعولن في الطويل - على سبيل المثال - من أكثر الزحافات شيوعا ، بل لعل « فعول » أكثر انتشارا من « فعولن » في هذا البحر . وقبح « فعولن » في المتقارب شائع جدا ، وكلاهما مقبول عند العروضيين ، بل قال بعضهم إن القبض في المتقارب أحسن من التمام . وكلا الزحافين ثقيلا إذا عملنا « قاعدة » د . مستجير .

(د . أحمد مستجير : أبحر الخليل نظام رياضى مغلق - مجلة الشعر - القاهرة - أكتوبر - ١٩٨٨ .
العروضيون المذكورون في هامش ص ٩٢ ، الفصول الخاصة بالطويل والمتقارب ، والجدول التالى) .

٧- خبن « مستعلن » في « السريع »	حسن	خبنها حسن وطبها « حسن » كذلك واختلف في أيها أحسن	صالح ، وقيل حسن	صالح في رأى الجمهور ، حسن في رأى « ابن عبد ربه » .
٨- طى « مستعلن » في « السريع » .	صالح	يراجع رأيه السابق في الخبن .	حسن ، وقيل صالح	حسن في رأى الجمهور ، صالح في رأى « ابن عبد ربه » .
٩- خبن « مستعلن » و « مفعولات » في « المنسرح »	حسن	قبيح	صالح في « مستعلن » قبيح في « مفعولات »	« صالح في « مستعلن » قبيح في « مفعولات » .
١٠- قبض « فعولن » في « المتقارب »	حسن	حسن إذا لم يكثر	أحسن من التمام وقيل التمام أحسن	حسن ^(١)

ولا ضرورة لاتباع العروضيين التقليديين في أحكامهم ، فقد اختلفوا كثيرا كما رأينا . ويلاحظ أنهم رأوا بعض الزحاف حسنا أو صالحا بالرغم من شذوذه قديما وحديثا ، كقبض مفاعيلن في الطويل . ولعلمهم وصفوه بالحسن أو الصلاح لما وجدوه في أشعار بعض الفحول الجاهليين ، فقد ورد عدة مرات في معلقة « امرئ القيس » ، ولكنه فيما عدا ذلك نادر جدا فيما بين أيدينا من شعر جاهلي^(٢) ، وقد انقرض أو كاد بعد العصر الجاهلي ، وفيما يلي بيان بمرات ورود هذا الزحاف في حشو عدد من القصائد من الطويل الثاني (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) والشطر الثاني مثله) ، تنتمي الى عصور مختلفة^(٣) :

(١) قد يذكر العروضى رأيه الخاص ، وقد ينقل رأى غيره ، والآراء التى أوردتها هنا متفرقة في كتبهم الأربعة التى ذكرتها من قبل .

(٢) وفى هذا رد على « محمد العلمى » الذى قال : (وعندى أن هذه الأوصاف الثلاثة التى أسبغها - أى الخليل - على الزحافات فى البحور راجعة إلى نسبة شيوعها فى الشعر أولا ، وإلى استعمال اللوق فى وصفها بالحسن أو الصلاح أو القبح ثانيا . . ولذلك أزعج أن الخليل سمح للدوق بالتدخل ليصف رتبة الزحافات حسب شيوعها . . وهكذا حتى حين حكم ذوقه تراه يحتكم الى الواقع) ص ١٤٣ .
ولكن بعض آرائهم فى بعض الزحافات يمكن ربطه بدرجة الانتشار .

(٣) ضمير الغائب المفرد المتصل إذا جاء بعد مقطع طويل كان هاء « مضمومة مثل (مئة) » أو مكسورة مثل (ليه) ، وإذا جاء بعد مقطع قصير كان هاء يليها واو مثل (لهُ) ، أو ياء مثل (يد) . ولكن الشاعر فى

الشاعر	عدد الأبيات	عدد «مفاعيلن»
مطلع القصيدة		في الحشو
١ - قفانبك من ذكر حبيب ومنزل ^(١) امرؤ القيس	٨١	١٢
٢ - لحولة أطلال ببرقة شهد ^(٢) طرفة	١٠٣	٦
٣ - أمين أم أوفى دمنة لم تكلم ^(٣) زهير	٦٢	٥
٤ - نظرت على فوت ضحياً وعبرني الحطيفة	٢٢ أو ٢٣	صفر
لها من وكيف الرأسى شئ وواشل ^(٤) في رواية		
٥ - عاودت من جمل قديم صباقي جميل	٣٥	صفر
وأخفيت من وجدى الذى كان خافيا ^(٥)		
٦ - أحارث عللى وأن كنت مسهبا بشار	٢٣	صفر
ولا ترج نومي قد أجد ليدهبا ^(٦)		
٧ - محل على القاطول أخلق دائره البحتري	٣٣	صفر
وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره ^(٧)		
٨ - ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل أبو العلاء	٤١	صفر

== العادة لا يلتزم هذه القاعدة ، فمن الممكن إطالة الصائت التالى للهاء للمحافظة على الوزن أولتجنب الزحاف إذا كان الضمير مسبوفاً بمقطع طويل . وفى تنبى للزحاف فى هذه القصائد عدت الصائت التالى للهاء طويلاً إذا قنضت ذلك سلامة التفعيلة من القبض . ولم يحدث ذلك إلا مرات قليلة ، أكثرها فى قصيدة « البحتري » .

(١) الزوزى : شرح المعلقة السبع - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ - ص ٧ الى ٤١ . وقد أحصى د . « النوبى » مواضع القبض فى هذه المعلقة ووصل الى الرقم نفسه ، ولكنه سماه - سهواً - « الطى » . (د . النوبى - ص ٩٦) .

(٢) السابق ص ٤٥ الى ٧١ .

(٣) السابق ص ٧٣ الى ٨٩ .

(٤) ابن الشجرى - القسم الثالث - ص ٢٢ الى ٢٤ .

(٥) جميل : ديوان جميل ، شاعر الحب العلى (جمع وتحقيق د . حسين نصار) مكتبة مصر - بدون تاريخ - ص ٢٢١ الى ٢٢٤ ، وصدر البيت الرابع عشر مكسور ، وصحته (ذرى رد قول يمشى كنت قلته) .

(٦) بشار - ص ٢١٠ الى ٢١٢ ، وفى عجز البيت الثامن عشر بياض .

(٧) نص القصيدة فى : دراسات فى النص الشعرى ، العصر العباسى - د . عبده بدوى - دار الرفاعى -

الرياض - ١٩٨٤ م - ص ١٠٧ الى ١٠٩ .

عفاف وإقدام وحزم ونائل ^(١)			
أبثك وجدى يا حمام وأودع	شوقى	١٨	صفر
فإنك دون الطير للسّر موضع ^(٢)			
١٠ - أيا قبر هذا الضيف آمال أمة	حافظ	٢٦	صفر
فكبر وهلل والى ضيفك جاثيا ^(٣)			

والأقرب الى الموضوعية أن نحتكم إلى درجة انتشار الزحاف في الشعر ومقدار ما يسببه من اختلاف بين التفاعيل المتناظرة .

فبعض الزحاف شائع حتى لتنافس التفعيلة المزاحفة نظيرتها السالمة ، بل قد تفوقها في الشيوع ، مثل الإضممار والعصب ، وخبن « مستفعلن » في الخفيف والمجث ، وقبض « فعولن » في الطويل . وهذا النوع من الزحاف لا يكاد يمس الإحساس بالنسق . وبعض الزحاف نادر جدا ، بل شاذ ، مثل قبض « مفاعيلن » في الطويل والهزج ، ومثل الوقص والعقل ، والزحافات المزدوجة عموما . ومثلها أو أشد منها شذوذا الخرم والخزم ، وهما علتان تجريان مجرى الزحاف . ومن الزحاف قسم يتوسط بين القسمين المذكورين مثل طى « مستفعلن » في الرجز ، وقبض فعولن في المتقارب ، وكف مفاعيلن في الهزج^(٤) .

وكلما زادت كمية التغير الذى يسببه الزحاف في التفعيلة زاد إحساسنا بما فيه من خروج على النسق . ومن ثم كانت الزحافات المزدوجة من أشد الزحافات إثارة للإحساس بالنشوز ، كما تقدّم . وينبغى أن نراعى مع هذا وذاك أمرين :
١ - أن الحكم على نوع من الزحاف لا يكون مطلقا ، فثمة عوامل تؤثر في وضوحه أو خفاءه .

(١) أبو العلاء : سقط الزند - ص ١٩٣ الى ١٩٦ .

(٢) شوقى - ح ٢ - ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) حافظ إبراهيم : ديوان حافظ إبراهيم (ضبطه وصححه : أحمد أمين وآخرون) مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٣٧ م - ح ٢ - ص ١٤٩ وما بعدها .

(٤) اعتمدت في ذلك على ملاحظات فيما قرأت من شعر ، والإحصاءات التى أوردتها في هذا الفصل تؤكد بعض هذه الملاحظات .

٢ - وأن الزحاف - مهما يكن إحساسنا بنشوزه - قد يكون مقبولا إذا أحسنا أنه يقوم بوظيفة تعبيرية .

١م/١

تزيد الزحافات أحيانا في شطر ما حتى تصير تفاعيله ، كلها أو معظمها ، مزاحفة ، فيختلف الشطر بذلك عن الأشطر المناظرة ، حين تغلب عليها التفاعيل السالبة ، كلها أو معظمها أو ما جاور منها ذلك الشطر ، فيؤدى ذلك إلى زيادة الإحساس بخروج الشطر على النسق^(١) .

ويحدث الأثر نفسه حين ينعكس الوضع ، فتكون تفاعيل الشطر ، كلها أو معظمها ، سالمة ، في حين تغلب التفاعيل المزاحفة على الأشطر المناظرة ، كلها أو معظمها أو ما جاور ذلك الشطر .

وكذلك حين تكون تفاعيل الشطر - كلها أو معظمها - مزاحفة بزحاف ما ، في حين تغلب على الأشطر المناظرة ، كلها أو معظمها أو ما جاور منها ذلك الشطر ، زحاف آخر مختلف ، وفيما يلي أمثلة توضح ما سبق :

(١) روى أن « الخليل » كان يستحسن الزحاف إذا قلَّ ، فإذا توالى وكثر في القصيدة سُمِّجَ في نظره . وأيد « قدامة » هذا الرأي ، وذكر من عيوب الشعر « التخليع » ؛ وهو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط قائله في تزحيفه . (قدامة بن جعفر : نقد الشعر « تحقيق : كمال مصطفى » - الخانجي - القاهرة - الإبداع ١٩٧٩ م - ص ١٨١ وما بعدها) .

وفي « الموازنة » لـ « الأمدى » باب بعنوان (فيما كثر في شعره من الزحاف واضطراب الوزن) ، وفيه عاب على أبي تمام كثرة الزحاف في عدة أبيات ، واستشهد « الأمدى » - في هذا المقام - بقول « دُعبل » بن علي الخزاعي « (إنَّ شعر أبي تمام بالخطب وبالكلام المنشور أشبه منه بالكلام المنظوم) . وقال « الأمدى » معلقا على الزحاف في أحد الأبيات (وهذه الزحافات جائزة في الشعر وغيره منكثرة إذا قلت . فاما إذا جاءت في بيت واحد ، في أكثر أجزائه ، فإن هذا في غاية القبح ، ويكون بالكلام المنشور أشبه منه بالشعر المنظوم) .

(الأمدى : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحرئى « تحقيق : السيد أحمد صقر » - دار المعارف - القاهرة - ط ٢ - ١٩٧٢ - ح ١ - ص ٣٠٦ وما بعدها) .

وقال « ابن رشيق » : (إن (من الزحاف ما يستحسن قليله دون كثيره ، كالقَبْلَ السير والفَلَج واللَّثَع) - وروى عن الأصمعي قوله : (الزَّحاف في الشعر كالرخصة في الفقه ، لا يُقَدِّم عليها إلا فقيه) .

(ابن رشيق - ص ٩١ ، ٩٨ ، ٩٩) .

— قال « زهير بن أبي سلمى » :

- ١ — بل اذكرن خير قيس كلها حسبا وخيرها نائلا وخيرها خلقها
- ٢ — القائد الخليل منكوبا دوابرها قد أحكمت حكماث القِدِّ والأبقا
- ٣ — غزت سمانا فأبت ضمرا خُدجا من بعد ما جَنَّبوها بَدْنَا عَققا
- ٤ — حتى يؤوب بها عوجا معطلة تشكو الدوابر والأنساء والصفقا
- ٥ — بطلب شأوا مرأين قدما حسنا نالا الملوك وبدا هذه السوقا
- ٦ — هو الجواد فان يلحق بشأوها على تكاليفه فمثله للحقا^(١)

عجز البيت الأول مكون من (متفعّلن فاعلن متفعّلن فعلن) . وكذلك عجز البيت السادس . وصدر البيت الخامس : (مستعلن فاعلن متفعّلن فعلن) .

والأشطر الثلاثة تخالف نظائرها في القصيدة بسبب مزاحفة التفعيلة الأولى والثالثة في كل منها ، في حين تسلم التفعيلتان أو إحداهما في أكثر الأشطر .

ومن قصيدة لـ « بشّار » :

- ١ — طسال ليلى من حبّ من لا أراه مسقاربى
- ٢ — أبسدا ما بسدا لمعينك ضوء الكواكب
- ٣ — أو تنغنت قصيدة قينة عند شارب
- ٤ — فتعزيت عن عبيدة والحسب غالبى^(٢)

الشطر الأول : (فاعلاتن مستعلن) ، أى أن التفعيلتين سالمتان . والسلامة هنا هى الخارجة على النسق ، فليس فى القصيدة كلها شطر واحد سلمت فيه التفعيلتان ، فكل شطر آخر زوحت فيه التفعيلتان أو إحداهما . .

— قصيدة « الحصرى » المعروفة : (مضناك جفاه مرقده) مبنية على تفعيلتين : « فَعِلن » و « فَعْلن » ، وفى كلّ الأشطر ترجع كفة فَعِلن أو تتساوى الكفتان ، إلا أربعة أشطر يتكون كل منها من ثلاث تفاعيل على وزن « فَعْلن » ، وواحدة على

(١) زهير بن أبي سلمى ؛ شعر زهير بن أبي سلمى (صناعة : الأعلام الشتتمرى — تحقيق د . فخر الدين

قباوة) — دار الأفاق الجديدة — بيروت — ط ٣ — ١٩٨١ ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) بشّار — ص ١٦٣ .

وزن « فعلن »^(١) . وليس المهم أن نعدّ التفعيلتين صورتين مزاحفتين من (فاعلن) كما يقول العروضيون ، أو نعدّ إحداهما سائلة والأخرى مزاحفة ، بل المهم أن تركيب هذه الأشطر يخالف تركيب الأشطر الأخرى ، الأمر الذى يشعرنا بخروجها على النسق . وفيما يلى عدة أبيات من القصيدة تتضمن واحدا من هذه الأشطر المخالفة للنسق :

- ١ - صنم للفتنة منتصب أهواه ولا أتعبد
- ٢ - صاح والخمر جنى فمه سكران اللحظ ممر به
- ٣ - ينضو من مقلته سيفا وكأنّ نماسا يغمده
- ٤ - فيريق دم العشاق به والويل لمن يتقلده

والشطر المقصود هو صدر البيت الثالث . أما الأشطر الأخرى المماثلة فهي :

صلنى بهما واغنم شكرى
- هل تأنى الريح على رضوى
- أنت المولى والسعيد أنا^(٢)

- من قصيدة لـ « شوقى » :

- ١ - قالوا استوى الليث على عرشه فجاء فى المجلس بالصفدع
- ٢ - وقيل للسلطان هذى التى بالأمس آذت على المسمع

.....

.....

- ٣ - فنهض الفيل وزير العلا وقال ياذا الشرف الأرفع
- ٤ - لا خير فى الملك وفى عزّه إن ضاق جاه الليث بالصفدع
- ٥ - فكتب الليث أمانا لها وزاد أن جاد بمستنقع^(٣)

(١) فى القصيدة كسور ، لعلها ترجع الى أخطاء فى الطباعة أو النسخ ، وتقع هذه الكسور فى الأبيات ٤٥ ، ٧٤ ، ٨٨ . وبسبب هذه الكسور لم أتمكن من التقطيع الصحيح لأربعة من الأشطر بين أبياتها التى يبلغ عددها تسعة وتسعين بيتا .

(نص القصيدة فى : المرزوقى والحاج يحيى - ص ١١٣ : ١٧٨) .

(٢) السابق ، الموضع نفسه .

(٣) شوقى - ج ٤ - ص ١٢٩ .

صدرا البيتين الثالث والخامس على وزن : (متعلن مستعلن فاعلن) ، وهما فريدان في ذلك بين أشطر القصيدة ؛ فليس فيها شطر غيرهما اجتمع فيه هذان الزحافان ، وقلما اجتمع زحافان في شطر واحد منها . والزحاف الأول في كلا الشطرين مزدوج (الخبل) ، وقد ساعد ذلك على زيادة الشعور بما فيهما من خروج على النسق .

أما حين يقرأ البيت منفردا فقد نشعر باختلاله (أو باختلال أحد شطريه) إذا كانت تفاعيله (أو تفاعيل الشطر) مخالفة للتفاعيل المألوفة في وزنه . ويوضح ذلك بعض الأمثلة التي يوردها العروضيون للزحافات ، كهذا البيت من الطويل :

أطلب مَنْ أسودَّ بيشةً دونه	أبو مطر وعامر وأبو سعد
فعول مفاعِلن فعول مفاعِلن	فعول مفاعِلن فعول مفاعِلن ^(١)
وهذا البيت من السريع :	
أرد من الأمور ما ينبغي	/ وما تطيقه وما يستقيم ^(٢)
متفعِلن متفعِلن فاعِلن	/ متفعِلن متفعِلن فاعِلن

ومما يثير الشعور الحادّ بالاختلال أن يختلف الشطران في بيت ؛ فتكون التفاعيل في أحدهما مزاحفة ، كلها أو معظمها ، وفي الآخر سالمة ، كلها أو معظمها .

كهذا البيت من قصيدة « الحصرى » الدالية :

أنت المولى والعبد أنا	فبأى وعيدك توعد
فعلُن فعلُن فعلُن فعلُن	فعلُن فعلُن فعلُن فعلُن

وهذا البيت للأخطل الصغير :

أنقذ الانسان من آلامه	ولقد أدرأ بعض الملل ^(٣)
فاعِلاتن فاعِلاتن فاعِلن	فعلاتن فعلاتن فعلن

(١) صاحب - ص ٨ .

(٢) صاحب - ص ٥٤ .

(٣) الأخطل الصغير - ص ٣٥٤ .

٢/١

الأصل في منطقة القافية أن تتخذ تركيباً مقطعيًا واحدًا في القصيدة كلها ، فلا تختلف من بيت إلى بيت ؛ فلما أن تسلم من الزحاف في كل الأبيات ، وإما أن يجرى الزحاف فيها مجرى العلة ، فيكون لازماً في الموضع نفسه وبالصورة نفسها في الأبيات كلها . فلا يجوز أن يزاحف أحد مقاطعها في بيت وأن يسلم نظيره في بيت آخر^(١) .

هذا هو الأصل كما قلت ، ولكن بعض الأوزان يخرج على هذه القاعدة أحياناً ، فتزاحف بعض هذه المقاطع في بعض الأبيات ، وتسلم في أبيات أخرى ، فيختلف تركيب القافية من بيت إلى بيت . ومثل هذا الاختلاف يؤدي إلى حالة من أشد حالات الخروج على النسق ، لأهمية هذه المنطقة ، ولدنرة هذا النوع من الاختلاف وانحصاره في قلة من الأوزان^(٢) . وهذه بعض أمثله ، وبعد كل بيت العلامات الدالة على التركيب المقطعي لأحرف القافية ، ونوع القافية في مصطلح العروضيين :

— من شعر « طرفة » (الرمل) :

خير حتى من معد علموا	لكفى ولجار وابن عم (— ٧ — المتدارك)
نجبر المحروب فينا ماله	بقباب وجفان وخدم (— ٧٧ — المتراكب)
نقل للحم في مشتاتنا	عقر للنيب طرادو القرم ^(٣) (— ٧ — المتدارك)

— من شعر « شوقي » (الرمل) :

علموه كيف يجفون فجفا ظالم لا قيت منه ما كفى (— ٧ — المتدارك)

(١) قال « ابن رشيق » : لا يجتمع نوعان من هذه الأنواع — يعنى أنواع القافية — إلا في جنس من السريع ،

فلأن المتواتر يجتمع فيه مع المتراكب إذا كان الشعر مقيداً ، كقول المرتضى في بيت (وأطراف الأكف عنم)

وفى بيت آخر (قد قلت فيه غير ما تعلم) . ص ١١٤

والمعروف أن العروضيين يقسمون القوافي إلى أنواع ، لكل منها تركيبها المقطعي الخاص به ، وهى : المتكاوس والمتراكب والمتدارك والمتواتر والمترادف .

وقد سبق تفصيل ذلك في الفقرة (٤ —) من الفصل الثانى .

(٢) لاحظته في بعض أوزان الرجز والرمل ، بالإضافة إلى السريع الذى ذكره « ابن رشيق » .

(٣) ابن الشجرى — ص ٤٠ .

مسرف في هجره ما ينتهى أتراهم علموه السرفا (- ٧٧ - المتراكب)
جعلوا ذنبي لديه سهري ليت بدرى إذ درى الذنب عفا^(١) (- ٧ - المتراكب)

— من شعر « بشار » (الرجز) :

هل من رسول غبىر عنى جميع العرب (- ٧٧ - المتراكب)
من كان حيا منهم ومن ثوى فى التراب (- ٧٧ - المتراكب)

.....

.....

أنا ابن فرعى فارس عنها المحامى العصب (- ٧٧ - المتراكب)

نحن ذو والتيجان والملك الأشم الأغلب^(٢) (- ٧ - المتدارك)

من شعر « أبى العلاء » (الرجز) :

الحرص فى كل الأفانين يصم (- ٧٧ - المتراكب)
أما رأيت كل ظهر ينقصم (- ٧ - المتدارك)
وعسرة من كسل حى تنقصم (- ٧ - المتدارك)
أما سمعت الحادثات تخقصم (- ٧ - المتدارك)
أم حبك الأشياء يعمى ويخصم^(٣) (- ٧٧ - المتراكب)

٣/١

عندما يؤدى الزحاف إلى تناظر مقطع طويل فى التفعيلة السالبة وآخر قصير فى التفعيلة المزاحفة يقوم القارئ عامدا أو غير عامد بإطالة نسبية للمقطع القصير حتى يقلل الفارق بينها (وهى إطالة — كما قدمت — لا تصل إلى حد تحويل القصير إلى طويل) ، وربما سكت سكتة قصيرة مع الإطالة ، أو بدلا من الإطالة . فحين يكون المقطع المزاحف فى موقع تسهل فيه الإطالة والسكتة ، يكون الزحاف أخفى وأخف ، والعكس صحيح . ولهذا كانت مزاحفة المقطع الذى يقع فى وسط الكلمة

(١) شرفى — جـ — ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) بشار — ص ٣٧٧ .

(٣) أبو العلاء : اللزومات — جـ — ص ٢٧٧ .

أوفي أولها أشدّ بروزاً وإثارة للشعور بالاختلال من مزاحفة المقطع في آخر الكلمة .
وقد وقع النوعان في هذا البيت الذي يستشهد به العروضيون :

فهذان يذودان/وذا من كَثَب يرمى^(١)

من الواضح أن كلا الزحافين في الشطر الأول أخف من الزحاف في التفعيلة الأولى من الشطر الثاني :

فهذان / يذودان وذا من كـ / ثب يرمى
مفاعيلُ / مفاعيلُ مفاعيلُ / مفاعيلُ
لأن إطالة الكسرة الأخيرة في كل من الكلمتين (هذان - يذودان) أكثر قبولاً
من إطالة الفتحة في أول الكلمة (كَثَب) . وكذلك السكتة في آخر كل كلمة أكثر
قبولاً من السكتة بين أحرفها .

ومن شعر « البهاء زهير » :

من اليوم تعارفنا ونطوى ما جرى منّا
ولا كان ولا صار ولا قلتم ولا قلنا

....
....

وما أحسن أن نرجع للموصل كما كنّا^(٢)

في صدر البيت الثاني تفعيلتان مزاحفتان (ولا كان/ولا صار = مفاعيلُ
مفاعيلُ) وفي صدر البيت الثالث تفعيلتان مزاحفتان كذلك (وما أحسن/ن أن
نرجع = مفاعيلُ مفاعيلُ) ، وقد تفاوت أثر الزحافات في الشطرين للسبب نفسه .

١/م^٤

لاحظ بعض العروضيين أن الزحاف حين يكون في بداية الشطر - أخف منه
حين يكون في داخل الشطر . ويبدو أن وقوع الاختلال في البداية يسر للأذن

(١) الصاحب - ص ٤٠ .

(٢) البهاء زهير - ص ٣٤٠ .

تجاوزه ، حتى إن الخرم والخزم — على استقباح العروضيين إياهما — لا يجوز أن لا في بداية البيت ، أو في بداية الشطر ، في قول آخر .

وملاحظة العروضيين تتعلق بالبيسط على الخصوص . قال « الراضى » : إن الخبن في « مستفعّلن » البسيط دون الخبن في « فاعلن » البسيط ، فهو فيها سائغ مستحسن ، بل هو أجمل جرسا . وخبن مستفعّلن إذا وقع في وسط الشطر كان أثقل منه في أول الشطر^(١) . وقال « الحنفى » : إن خبن مستفعّلن في البسيط لا يقبل إلا في أول الشطر (الصدر أو العجز) ، فإن جاء في غير الموضعين ركّ نسيج الشعر وتهلّل^(٢) . ولهذا الرأي نظير عند بعض نقاد الشعر الإنجليزي^(٣) .

١/ن

تختلف أساليب التعامل مع الزحاف من شاعر إلى آخر ، ومن عصر إلى عصر . والشعر الجاهلى — فيما يبدو — أحفل من أشعار العصور التالية^(٤) بالزحافات (التى تؤدى إلى شىء من الخروج على النسق) ، وكذلك العلل الجارية مجرى الزحاف . ويستثنى من ذلك الشعر الجديد (شعر التفعيلة) الذى عاد إلى أسلوب الشعر الجاهلى فى الإكثار من الزحافات .

ومن الزحافات التى ذكرها الخليل مالا نكاد نجد له أثرا فى العصور التالية ، مثل الزحافات المزدوجة (فيما عدا الخبل « متعلن » الذى يظهر أحيانا فى رجز هذه العصور) ، ومثل الوقص والعقل ، ومثل الخرم والخزم .

ولا يتسع المجال هنا لإجراء إحصاءات دقيقة وافية لعينات من الشعر العربى فى عصوره كافة ، ولكن يدفعنى إلى هذا رأى ملاحظته وما لاحظته عدد من الدارسين قديما وحديثا ، فقد قال « ابن رشيق » : (ولسنا نرى الزحاف الظاهر فى شعر محدث

(١) الراضى ص ١٣٦ .

(٢) الحنفى ص ١٦٦ .

(٣) قال Fussell أن استعمال الزحاف الابتدائى initial أمر تقرّه التقاليد ، وربما تفرضه الظروف ، أما الزحاف الداخلى أو الوسطى medial فيجب أن يكون له من القوة ما يقنعنا أنه أمر محتم .

Fussell, op. cit. p.101.

(٤) ابن رشيق — ص ٩٩ .

إلا القليل لمن لا يتهم ، كالبحتري . وما أظنه كان يتعمّد ذلك ، بل كان على سجيّته ، لأنه كان بدويّاً من قرى منبج . ولذلك أعجب الناس به ، وكثر الغناء في شعره ، استظرافاً لما فيه من الخلاوة على طبع البداوة^(١) .

ولم يكتف «ابن رشيق» بالملاحظة ، بل أعلن انحيازه لهذا الاتجاه الذي ساد الشعر «المحدث» ، فقال إن عمل الشعر بالطبع دون العروض أجود (لما في العروض من المسامحة في الزحاف ، وهو مما يهجن الشعر ، ويذهب برونقه)^(٢) .

ولاحظ «د . الطيب» مثل هذه الملاحظة فذكر أن الجاهليين كانوا لا يبالون بالاختلال اليسير في الطويل بخاصة ، ومثّل على ذلك بمعلقة «امريء القيس» .

وذكر — كذلك — أن «البحتري» كان يحاكي الجاهليين في هذا التساهل ، ولكن الغالب على المحدثين تجنب الزحاف ، وقلّ أن تجده عند «المتنبي» أو «أبي تمام»^(٣) .

ولاحظ «د . النويهي» أن شعراء الجاهلية قد استباحوا «إباحات» ، وأكثروا منها ، لكنها قلت ثم زالت تماماً بعد وضع علم العروض والقافية^(٤) .

وقال — في موضع آخر — إن القدماء قد استعملوا الزحافات بسماحة وحرية ومرونة تركها المقلّدون حين استعبدتهم بروز الإيقاع ورتوبه ، ولا يجرؤ عليها شعراؤنا الجدد — أصحاب التفعيلة — أنفسهم^(٥) . ومثّل على هذه الإباحات بقبض «مفاعيلن» في «الطويل» (سمّاه «الطّي» سهواً) ، وكف التفعيلة نفسها ، وطى «مستفعلن» في الرجز ، وخبل التفعيلة نفسها ، وكذلك «الخرم»^(٦) .

وقال البستاني عن قبض «مفاعيلن» في حشو الطويل إنه جاء في شعر لامرئ القيس والشنفرى ، ولا تخلو قصيدة من شعر الجاهليين من مثله . وعلّل ذلك بنغمة

(١) ابن رشيق — ص ٩٩ .

(٢) السابق — الموضع نفسه .

(٣) د . الطيب — السابق ص ٣٦٢ وما بعدها .

(٤) د . النويهي — ص ٩٦ .

(٥) السابق ص ٢٧٥ .

(٦) السابق ص ٩٦ ، ٩٧ ، ٢٧٥ .

كانت لهم في تلاوة الشعر ، يضيع معها الفرق في الطول بين « مفاعيلن » .
« ومفاعلن » . وتساءل : من يقدم اليوم على هذا الزحاف^(١) ؟ ولاحظ « د . هيثم
الأمين » زحاف الوقص في شعر لـ « صلاح عبد الصبور » ورأى في ذلك اقتراباً من
الواقع العروضي السابق على نظرية الخليل^(٢) .

أما شعر التفعيلة فقد لاحظ كثرة الزحافات فيه ، أوفى بعض أبحره ، عدد من
النقاد^(٣) ، كما لاحظ بعضهم ظهور زحافات مستحدثة فيه^(٤) . ويبدو لي كذلك أن
الزحافات قد كثرت في الموشحات نسيباً ، إذا قورنت بالشعر التقليدي الذي جاء بعد
عصر العروض ، ولعل الأمثلة الواردة في الفصل الماضي تدل على ذلك إلى حد ما .

ويلتقى ما قيل عن الزحاف بما قيل عن « الكسر » في الفقرة (١ - ب) من
هذا الفصل .

١/س

كثرة الاختلالات والزحافات في الشعر الجاهلي ترجع إلى ثلاثة عوامل ؛

١ - أن المستوى الحضاري للعرب في الجاهلية جعلهم أقرب إلى الفطرة .
وجعل شعرهم أقرب إلى الطبيعة ، وأقل حرصاً على الرونق .

٢ - وأن الشعراء كانوا عندئذ أقرب إلى « التلقائية » بالقياس إلى من جاء
بعدهم ، وبخاصة أولئك الذين ظهروا بعد أن ظهرت علوم اللغة ، ومنها علم
العروض والقافية . وربما كان العرب في الجاهلية على علم ببعض جوانب العروض

(١) البستاني - السابق - ص ٩٨ .

(٢) د . هيثم الأمين : مجلة « الفكر العربي » - بيروت - يناير : مارس - ١٩٧٩ .

(٣) نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٤ - ١٩٧٤ - ص ١٠٧

، د . النوي : السابق ص ٢٧٥ إلى ٢٧٧ .

، سلمى الخضراء الجيوسي : مجلة الآداب - بيروت - أبريل ١٩٥٩ .

، د . لويس عوض ؛ دراسات عربية وغربية - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٥ - ص ١٢٥

، علي يونس - السابق - ص ٥٠ وما بعدها .

(٤) د . محمود علي السمان : أوزان الشعر الحر وقوافيه - دار أبو العنين - طنطا - ١٩٨٠ - ص ٧ ،

٦٢ ، ٦٣ .

، علي يونس - ص ٤٥ وما بعدها .

ومصطلحاته كما روى « الجاحظ »^(١) . ورُوى أن الخليل قد لقي في المدينة أحد العرب يعلم ولده تقطيع الأبيات إلى أسباب وأوتاد ، مستعملا اللفظ « نعم » للدلالة على الوجد ، واللفظ « لا » للدلالة على السبب^(٢) . ويبدو أن العرب منذ الجاهلية كانوا على قدر من الوعي بطبيعة الأوزان الشعرية ، ثم ازداد هذا الوعي ، حتى تبلور على يد « الخليل بن أحمد » الذي اتفق على أنه صاحب علم العروض والقافية في القرن الثاني الهجري . ومع تزايد الوعي والاهتمام بنظم الوزن ، صار الشعر أقرب إلى الصنعة ، وأبعد عن « التلقائية » .

٣ - وأن الشعر في الجاهلية كان يؤدي أداء أقرب إلى الغناء من أداء السدين جاءوا بعدهم .

وربما كان أسلوبهم ذاك في أداء الشعر قادرا على سد بعض الثغرات التي تسببها بعض الاختلالات والزحافات ، أو كان يخفف من وقعها .

أما في الموشحات ، فقد استعاد الشعر بعض ملامحه القديمة ، فصار أقرب إلى الفنون الشعبية التلقائية ، وأكثر ارتباطا بالموسيقى والغناء ، ولهذا نجد فيه قدرا من الزحافات لا نجده في الشعر العمودي ، كما نجد فيه أحيانا خروجا على الوزن ، كما تقدم .

وفي العصر الحديث اتجهت الفنون عموما - ومنها الشعر - إلى التحرر من القواعد ومن الشكل المحكم ، واتجه قسم منها إلى مزيد من الالتحام بالواقع ، واتجه قسم آخر إلى إطلاق عقال اللاشعور والتخفف من سيطرة العقل الظاهر . وكل ذلك أدى إلى مزيد من الخروج عن النسق ، بالاختلالات الوزنية ، والإكثار من الزحافات في الشعر الجديد (شعر التفعيلة) .

ولعل ذلك هو السبب في إثارةهم بحرّى الرجز والخبب ؛ فتفعيلة الرجز تأتي في عدة صور ، بسبب الزحافات المتعددة التي تدخلها ؛ فهي « مستعلن » أو « متعلن » أو « مستعلن » أو « متعلن » ، بالإضافة إلى « مفاعيلن » التي كادت -

(١) الجاحظ : البيان والتبيين - (تحقيق : فوزى عطوى) - مكتبة محمد حسين النورى بدمشق ومكتبة

الطلاب وشركة الكتاب ببيروت - ١٩٦٨ - ص ٨٨ .

(٢) الحنفى - ص ٢٤ .

لكثرة ورودها في هذا البحر - تصبح تفعيلة من تفاعيله المزاحفة (الفقرة « ا - ب » من هذا الفصل) . وتفعيلة « الخبب » جعل لها شعر التفعيلة صوراً متعددة كذلك ، بسبب ما يدخل هذا البحر من زحافات قديمة أو مستحدثة ، وهذه الصور هي : « فعلن » و « فعلن » و « فاعل » و « فاعلن » . بل أضاف بعضهم « فعلن »^(١) . ونحن اتجهوا إلى « فاعلن » ليجعلوها تفعيلة أساسية في قدر كبير من قصائدهم في مرحلة من مراحل الشعر الجديد ، لم يقصروا على « فاعلن » بل مزجوها بصورتها المخبونة « فعلن » التي كانت مستقلة عنها في الماضي .

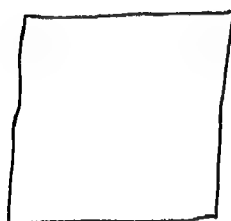
ع/١

فما يؤدى الى استمتاع القارئ أو السامع بالعمل الشعري وتقديره إياه ، أن يشعر من خلاله بقدرة الشاعر على تشكيل مادته وتوجيهها وجهة معينة تبعاً لإرادته ، فالإبداع الشعري صورة من صور الإرادة الانسانية وقدرتها على التأثير . والنسق نظام . ولابد من إرادة وراء كل نظام . والشعور بإرادة الشاعر وقدرته من أسباب المتعة التي يبعثها النسق الشعري في نفس المتلقى . وليس النسق الشعري مجرد ترتيب لأصوات لغوية ، فمثل هذا الترتيب لا يحتاج إلى قدرة خاصة ، بل ينشئه الطفل - أحياناً - وهو يلعب بالكلمات ، وإنما يحقق النسق الشعري عدة أنظمة ، يجمعها معا ويؤلف بينها دون أن يطغى أحدها على الآخر ؛ النظام العروضي ، وأنظمة اللغة الأخرى من صوتية ودلالية وصرفية ونحوية . والإسراف في الإقدام على الضرائر الشعرية قد يشعر المتلقى بطغيان النظام العروضي على بعض الأنظمة الأخرى . وكذلك الخروج على النسق - إذا برز بروزاً حاداً - قد يبدو عدواناً على النظام العروضي لحساب بعض الأنظمة الأخرى . وفي كلتا الحالتين قد تهتز ثقتنا بإرادة الشاعر وقدرته على صوغ مادته ، وتهتز كذلك تقديرنا لعمله واستمتاعنا به . ولا سبيل إلى قبول الخروج الحاد على النسق إلا إذا أقتنعنا بالعمل الشعري بأن هذا الخروج لم يكن عن عجز أو ضعف ، وأن له وظيفة وغاية .

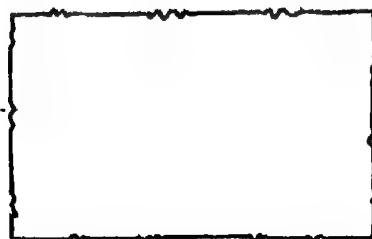
ولذلك نظائر في سلوك الانسان ؛ فحين يلبس أحداً الثياب الرديئة المستقبحة قد نستحسن منه ذلك أو نقبله ، أو - على الأقل - نجد له تبريراً أو تفسيراً ، إذا

(١) على يونس - فقرة ١٣ ، فقرة ١٤ من الفصل الأول من ١٠٩ وما بعدها ، ١٢٤ وما بعدها .

أحسنا أنه قادر على التمييز بين ما يعدّه المجتمع جميلا من الثياب ، وما يعدّه قبيحا ، وأنه قادر على اقتناء الجميل منها ، لكنه اختار هذه الملابس بسبب الزهد ، أو التشبه بطبقة من طبقات المجتمع ، أو لأنه يتحدّى العرف الاجتماعى عامدا ، أو أنه يتبدّل ليقوم بعمل يتطلب التبدّل . أما إذا لبس هذه الثياب لأنه من السذج الذين لا يميزون بين المستحسن والمستقبح ، أو لأنه غريب عن المجتمع لا يعرف تقاليده ، أو لأنه لا يستطيع غير هذا لسبب ما ، فلا بد أن ننظر إليه نظرة سخرية ، أو نظرة إشفاق . وحين يرسم أحدنا هذا الشكل مثلا :



فسيدو أن صاحبه أراد شكلا هندسيا فأعوزته الأدوات التي تمكّنه من ذلك . ولهذا لن يشعر أكثرنا بارتياح لمثل هذا الشكل . أما إذا رأينا هذا الشكل مثلا :



فقد نقبله بالرغم مما فيه من التواءات وتعرجات غير منتظمة ، نخرج على استقامة أضلاعه ، فالواضح أن الذى رسمه قادر على إقامة الخطوط المستقيمة المتعامدة ، وعلى رسم الشكل الهندسى المنتظم ، ولكنه اختار أن يجمع بين الاستقامة والتعرج لغرض ما .

وفي الأدب قد نقرأ عملاً مكتوباً — في جملة — بالفصحى ، ولكن تتخلله كلمات أو جمل عامية ، فنقبل ذلك ، بل نستحسنه أحياناً ، إذا عرفنا أن صاحبه متمكن من لغته الفصحى ، قادر على التعبير بها ، لكنه فعل ذلك لغاية ما ؛ فلعله أراد — مثلاً — أن يحاكي لغة الشخصية في واقع الحياة ، أو لعله رأى أن ما اختاره من كلمات العامية أو تراكيبها ليس له نظير في الفصحى . وكذلك فعل « الجاحظ » و « إليوت » وغيرهما . أما إذا « لحن » الكاتب عبثاً عن الفصاحة لقلّة معرفته باللغة ، أو لتأثره اللاواعي بالعامية أو بلغة أخرى أجنبية ، فسوف يستهجن القارئ هذا اللحن ، أو يسخر منه كما يسخر من غير العرب حين يستعملون العربية دون معرفة كافية .

والخروج على النسق الإيقاعي — مهماً نأكثر — قد يكون مقبولاً إذا أحسننا — من خلال القصيدة — أنه صادر عن إرادة الشاعر واختياره . وأفضل ما يشعرنا بذلك أن يكون للخروج على النسق وظيفة تعبيرية . وربما اختاره الشاعر بحاسته الفنية دون أن يكون واعياً بوظيفته التعبيرية كلّ الوعي .

وقد أراد بعض النقاد أن يجعل لكلّ زحاف على حدة قيمة تعبيرية في الموضع الذي وقع فيه . ومعنى ذلك أنه يريد إقامة توافقٍ حُرْفِيٍّ بين الزحاف والمعنى .

ففى رأى Fussell أن كل تنويع وزنى variation غير متوقع يمكن أن يكون علامة على الدهشة لإلقاء ضوء على تحوّل مفاجئ في الفكر أو الشعور ، أو علامة على وجود فجوة أو مقاطعة . ولكن التفعيلة الاسبوندية (التي تتكون من مقطعين منبهرين) هي التفعيلة المفضلة لهذا الغرض . وفي موضع آخر يوضح الآثار التعبيرية لأشكال التنويعات الوزنية فيقول إن تتابع المقاطع المنبورة دون أن تتخللها مقاطع غير منبورة يمكن أن يقوّي الإحساس بالبطء أو الثقل أو الصعوبة ، وتتابع مقاطع غير منبورة دون أن تتخللها أخرى منبورة يمكن أن يقوّي الإحساس بالسرعة أو الخفة أو السهولة ، والتحوّل العكسيّ reversal غير المتوقع يوحى بحركة مفاجئة ، غالباً ما تكون حركة كشف أو تنوير ، أو بتغيير في مسار الفكر أو النغمة الخ^(١) .

ويتجّه « د . النوبى » الاتجاه نفسه ؛ ففي تناوله لقصيدة « صلاح عبد الصبور » بعنوان « أغنية من فيينا » يتحدث عن هذه العلاقة الموضوعية بين المعنى والخروج على النسق فى عدة أبيات : فمثلا فى قول الشاعر :

وقفت قريبا ، أحسّها ، أرقبها ، أشمّها

يلاحظ الناقد أن التفعيلة الثالثة (سُها أَرْقُ) خرجت على تفاعيل الرجز - الذى تنتمى إليه القصيدة ، فهى (مفاعيلُ) ، (فإذا أعدنا النظر فى البيت مستمعين لهذا الخروج على الوزن التقليدى المستقيم رأينا كيف أنه بإطالته الإيقاعية يطيل من تلك الوقفة المتأملّة المراقبة التى يصفها الشاعر^(١) .

وفى قول الشاعر :

أقول يا نفسى رآك الله عطشى حين بلّ غربتك

جائعة فقوّتك

تائهة فمدّ خيط نجمة يضىء لك .

يلاحظ الناقد أن التفعيلتين الأوليين فى البيتين الثانى والثالث (جائعة - تائهة) على وزن « مستعلن » (مما يرغبنا على إطالة مدّة الألف تعويضا عن الرابع المحذوف ، فيزيد معنى الجوع والتيه تأكيدا)^(٢) .

وربط الخروج على النسق بالمعنى على هذا النحو الحرفى قد يقودنا إلى التعسف . وقد وجد Fussell أن قدرا كبيرا من الشعر المعاصر ، بل معظم الشعر المعاصر ، لا يحقق هذا الربط الذى يريده . فالزحاف الداخلى الذى يعكس الإيقاع ، ويسبب للقارئ هزة أو دفعة ، حين يصير مجردا من الدلالة المعنوية meaningless ، هو علامة شائعة على رداءة الوزن ، وهو - مع الأسف - من مميزات قدر كبير من الشعر المعاصر ، بل معظم الشعر المعاصر^(٣) .

ومع ذلك قد يكون للخروج على النسق وظيفة موضوعية فى بعض الأحيان . وبعض الأمثلة التى ذكرها « د . النوبى » تؤيد ذلك . ويمكن أن يضاف إليها هذا المثال من شعر « العقاد » :

(١) د . النوبى - ص ١٦٠ .

(٢) النوبى - ص ١٦١ . وهناك أمثلة أخرى فى الفصل نفسه ، وكذلك فى ص ٢٧١ .

Fussell, op. cit. p. 101.

(٣)

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا
 حيران حيران لا نجم السماء ولا
 يقظان يقظان لا طيب الرقاد يدا
 غصان غصان لا الأوجاع تبليني
 شعري دموى وما بالشعر من عوض
 يا سوء ما أبنت الدنيا لمغبط
 هم أطلقوا الحزن فارتاحت جوانحهم
 أسوان أسوان لا طب الأساة ولا
 سامان سامان لاصفو الحياة ولا
 أصحاب الدهر لا قلب فيسعدني
 يدك فأنح ضنى يا موت في كبدي

عذب المدام ولا الأنداء ترويني
 معالم الأرض في الغماء تهديني
 نيني ولا سمر السمار يلهيني
 ولا الكوارث والأشجان تبكيني
 عن الدموع نفاها جفن محزون
 على المدامع أجفان المساكين
 وما استرحت بحزن في مدفون
 سحر الرقاة من اللأواء يشفيني
 عجائب القدر المكنون تعيني
 على الزمان ولاخل فيأسوني
 فلست تمحوه إلا حين تمحون^(١)

وتفعيلات البيت الأخير :

متفعّلن فعِلن مستفعّلن فعِلن / متفعّلن فاعِلن مستفعّلن فعِلن

ويبرز في هذا البيت زحاف « الخبن » الذي جعل « فعِلن » (ح ضنى) -
 التفعيلة الثانية في الصدر - مخالفة للتفاعيل المناظرة في كل الصدور الأخرى ، وفي
 بعض الأعجاز .

ووقع هذا الزحاف في نهاية كلمة (أمح) يدفع القارئ إلى مدّ الضمة .
 ويقوى رغبة القارئ في المدّ أن هذا الجزء من الشطر (يدك فامح ضنى) خال من
 الصوائت الطويلة ، في حين تكثر الصوائت الطويلة في أكثر الأجزاء المناظرة من
 الأَشطر الأخرى ، ولا سيما الصدور (ظمآن ظمآن لا - شعري دموى وما -
 أسوان أسوان لا - أصحاب الدهر لا . . . الخ) . ولكن هذه الرغبة في المد
 تصطدم بالقاعدة النحوية التي تقضى بِقَصْر هذا الصائت (فعل الأمر هنا مبنى على
 حذف حرف العلة) . وكلّ ذلك أدى إلى جعل الشطر ، بل البيت قلقلًا . ولو أن
 الشاعر جعله مثلاً : (يدك فامح ضنى يا موت في كبدي) ، لتجنب الزحاف

(١) عباس عمود العقاد : وهج الظهيرة - دار العودة - بيروت - ١٩٨٢ م - ص ٦٤ .

وما ترتب عليه من أثر . ولكنه اختار المزاخفة ، والأرجح أنه كان على وعى بها ، وأنه كان يستطيع أن يتجنبها لو أراد ، يدل على ذلك تمكن الشاعر من عروضه ولغته في هذه القصيدة ، وفي شعره بعامية . والبيت يأتي بعد أبيات مشحونة بالألم والياس ، كأنه يحمل الخلاص ، ولكن اختيار الخلاص بالموث ليس الحل الذي تقرّبه عين الشاعر ، فيلقى رأسه ويتنفس في ارتياح . إنه حلّ اليأس الذي لا يجد حلاً . ولذا لم يجعل الشاعر شطره حاسماً قاطعاً ، بل جعله قلقاً مضطرباً .

هذا مثل من الأمثلة التي يقوم فيها الخروج على النسق بوظيفة موضوعية . ولكن الأصل — في رأيي — أن يُنظر إلى الخروج على النسق في القصيدة بوجه عام ، وأن نبحث عن علاقته بالمحتوى كلّهُ ؛ فالخروج على النسق حين يكون خفيفاً قد لا يستوقف القارئ ، ولذلك لا يكون له أثر على الإحساس بالنسق العام ، ولكنه قد يبرز حتى يسبب للقارئ شعوراً بشيء قليل أو كثير من اضطراب الوزن على مستوى النص كلّهُ . وسيطرة النسق تعني انضباط الشكل وانتظامه . والشكل المنضبط المنتظم له وظيفته التعبيرية ، وكذلك الشكل المضطرب . وقد اخترت للتمثيل قصيدتين من الشعر الجديد لـ « كمال عمار » و « أمل دنقل » ، وفيما يلي قصيدة « القيظ » للشاعر « كمال عمار » (وبعد كل بيت تفاعيله) :

في كل يوم ألقط الحصى من الطريق (مستفعلن مستفعلن متفعّلن فعول)
 وأنثر الورد (متفعّلن فعول)
 وأفتح الشباك كي أراه (متفعّلن مستفعلن فعول)
 مورّد الخدود (متفعّلن فعول)
 ورائعاً بلا حدود (متفعّلن متفعّلان)
 لكنّ كلّ غائب يعود (مستفعلن متفعّلن فعول)
 أما الذي انتظرته فلم تلحّ خطاه (مستفعلن متفعّلن متفعّلن فعول)
 أما الذي انتظرته فالعين لا تراه (مستفعلن متفعّلن مستفعلن فعول)
 يا حسرق إذ يفرح الأحباب بالأحباب (مستفعلن مستفعلن مستفعلن فعول)
 أما أنا ففرحتى مقطوعة الذراع (مستفعلن متفعّلن مستفعلن فعول)
 ويغلق النهار كل باب (متفعّلن متفعّلن فعول)
 ويزحف الظلام فوق قلبي الوحيد (متفعّلن متفعّلن متفعّلن فعول)

وأشعل المصباح لحظة . . لينطفئ (مستفعلن مستفعلن متفعلن فعل)
 فالزيت في حقيبة المسافر البعيد (مستفعلن متفعلن متفعلن فعول)
 وحينئذ أشد فرق جسمي الغطاء (متفعلن متفعلن متفعلن فعول)
 عيني تنام وحدها والقلب لا ينام (مستفعلن متفعلن مستفعلن فعول)
 فكل ليلة أراه يعبر الجبال (متفعلن متفعلن متفعلن فعول)
 أذوب في عيني (متفعلن فعولان)
 وأنحنى على يديه (متفعلن متفعلنان)
 ياسيدى الكريم (مستفعلن فعول)
 يا سيدى الكريم (مستفعلن فعول)
 متى تعود يا نسيم (متفعلن متفعلنان)
 فالقبط سدّ أعين الساء^(١) . (مستفعلن متفعلن فعول)

أما قصيدة « أمل دنقل » (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) فطويلة ، أختار منها
 هذا الجزء :

أيتها العرافة المقدسة (مستعلن مستفعلن متفعلن)
 جئت إليك مشحنا بالطعنات والدماء (مستعلن متفعلن مستعلن متفعلنان)
 أزحف في معاطف القتل وفوق الجثث المكسدة (مستعلن متفعلن مستفعلن)
 مستعلن متفعلن)
 منكسر السيف مغر الجبين والأعضاء (مستعلن مستعلن متفعلن مفاعيلان)
 أسأل يا زرقاء (مستعلن فعولان)
 عن فمك الياقوت عن نبوءة العذراء (مستعلن مستفعلن متفعلن فعولان)
 عن ساعدي المقطوع وهو ما يزال ممسكا بالراية المنكسة (مستفعلن مستفعلن)
 متفعلن متفعلن مستفعلن متفعلن)
 عن جاري الذي بهم بارتشاف الماء (مستفعلن متفعلن متفعلن فعولان)
 فيثقب الرصاص رأسه . . في لحظة الملامسة (متفعلن متفعلن مفاعيلان متفعلن
 فعل)

(١) كمال عمار : أنهار الملح - دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٩٦٨ - ص ١٩ : ٢١ .

عن الفم المحشو بالرمال والدماء (متفعّلن مستفعّلن متفعّلن فعول)
 أسأل يا زرقاء (مستعلن فعّالان)
 عن وقفتي العزلاء بين السيف . . والجدار (مستفعّلن مستفعّلن مستفعّلن فعول)
 عن صرخة المرأة بين السبي والفرار (مستفعّلن مستعلن مستفعّلن فعول)
 كيف حملت العار (مستعلن فعّالان)
 ثم مشيت دون أن أقتل نفسي دون أن أنهار (مستعلن متفعّلن مستعلن مستفعّلن فعّالان)
 ودون أن يسقط لحمي . . من غبار التربة المدنسة (متفعّلن مستعلن مستفعّلن مستفعّلن متفعّلن)
 تكلمى أيتها النبية المقدسة (متفعّلن مستعلن متفعّلن متفعّلن)
 تكلمى . . . بالله . . باللعنة . . . بالشيطان (متفعّلن مستفعّلن مستعلن فعّالان)
 لا تغمضى عينيك فالجرذان (مستفعّلن مستفعّلن فعّالان)
 تلعق من دمي حساءها . . ولا أردّها (مستعلن متفعّلن متفعّلن متفعّلن)
 تكلمى لشدّ ما أنا مهان (متفعّلن متفعّلن متفعّلن)
 لا الليل يخفى عورتي . . ولا الجدران (مستفعّلن مستفعّلن مفاعيلان)
 ولا اختبائي في الصحيفة التي أشدّها (متفعّلن مستفعّلن متفعّلن متفعّلن)
 ولا احتمائي في سحائب الدخان (متفعّلن مستفعّلن متفعّلان)
 تقفز حولي طفلة واسعة العينين . . عذبة المشاكسة (مستعلن مستفعّلن مستفعّلن متفعّلن متفعّلن فعل)
 كان يقصّ عنك يا صغيرتي . . ونحن في الخنادق (مستعلن متفعّلن متفعّلن متفعّلن فعول)
 فنفتش الأزرار في ستراتنا . . ونسند البنادق (متفعّلن مستفعّلن مستفعّلن متفعّلن فعول)
 وحين مات عطشا في الصحراء المشمسة (متفعّلن متعلن مستعلن مستفعّلن)
 رطبّ باسمك الشفاه اليابسة (مستعلن متفعّلن مستفعّلن)
 وارتخت العينان (مستعلن فعّالان)

فأين أخفى وجهى المتهم المدان (متفعّلن مستفعّلن مستعلن فعول)
والضحكة الطروب ضحكته . . (مستفعّلن متفعّلن فعِل)
والوجه والغمازتان . (مستفعّلن مستفعّلان)^(١)

من الواضح أن النسق في قصيدة « دنقل » - متمثلة في هذا الجزء - أكثر اضطراباً منه في قصيدة « عمار » . وكلتاها من الرجز ، ولكن « كمال عمار » لم يستعمل في الحشو إلا زحافاً واحداً هو الخبن ، أو ، بعبارة أخرى ، لم يستعمل إلا تفعيلتين : « متفعّلن » و « مستفعّلن » . وفي معظم القصيدة يجمع البيت بين التفعيلتين . أما هذا الجزء من قصيدة « أمل دنقل » فقد اجتمع في حشوه الخبن والطي والخبل ، أى أنه جمع بين تفاعيل الرجز المعروفة كلها وهى : مستفعّلن - متفعّلن - مستعلن - متعلن . بل أضاف إليها « مفاعيلن » ، وقد سبق الحديث عنها في الفقرة (١ - ب) من هذا الفصل .

أما الأضرب فبلغت أنواعها في المثال الأول أربعة وإن كان أكثرها على وزن « فعول » (في ١٧ بيتاً من ٢٣) . أما في المثال الثانى فكانت الأضرب فيه على تسع صور (أو سبع إذا تجاوزنا عن الفرق بين مستفعّلن ومتفعّلن ، والفرق بين مستفعّلان ومتفعّلان) .

وبالإضافة الى ذلك تتشابه القوافي في قصيدة « عمار » ، فكل أبياتها - إلا ثلاثة - تنتهى بمقطع زائد الطول ، يتوسطه صائت طويل ، أما قوافي « دنقل » فهى أنواع متباينة ، فبعضها يتكوّن من مقطعين طويلين ، وبعضها يتكوّن من مقطعين طويلين بينهما مقطع قصير ، وبعضها من مقطع زائد الطول . والنوعان الأخيران هما الغالبان . ومن ناحية أخرى يتضمن بعضها صائتاً طويلاً أو أكثر ، ويخلو بعضها من الصوائت الطويلة . ويختلف موقع الصائت فهو أحياناً الصوت الأخير (أردّها - أشدها) وأحياناً يأتى قبل الأخير مباشرة (دماء - عذراء) ، وأحياناً يفصل بينه وبين الصوت الأخير صوتان أو أكثر (خنادق - يابسة) . وأخيراً

(١) أمل دنقل : الأعمال الشعرية الكاملة - دار العودة ومكتبة مدبولي - بيروت والقاهرة - ط ٢ - ١٩٨٥ م - ص ١٢١ وما بعدها .

تتراوح تفاعيل الأبيات عند « كمال عمار » بين تفعيلتين وأربع تفاعيل ، أما عند « دنقل » فتتراوح بين تفعيلتين وست تفاعيل .

وكل هذه العوامل تجعل النسق في المثال الأول أبسط وأوضح منه في المثال الثاني . ووضوح النسق وبساطته (نسبيا) في المثال الأول يأتلفان مع المحتوى الغنائي البسيط . واضطراب النسق (نسبيا) في المثال الثاني يأتلف مع المحتوى المتشعب المركب المضطرب .

وقارئ الشعر الجديد يلاحظ في سهولة غلبة النوع الثاني على النوع الأول ، وإن كان الخروج على النسق في الشعر الجديد بعامة أكثر وأوضح من الخروج على النسق في أشكال الشعر الأخرى .

ولعل الشعر الجديد بذلك — يعكس ما تعجّ به النفوس — في هذا العصر — من حيرة وقلق ، وما تعجّ به الحياة من تعقيد واضطراب . ويكشف ذلك أيضا عن ميل عام إلى التحرر من « الشكل المحكم » ، وهو ميل لا يظهر في الشعر والفنون فحسب ، بل يظهر في أساليب الحياة عموما .

٢ — العوامل الأخرى

لو تكونت « منظومة » من تفاعيل مجردة ، أو من أصوات تشبه التفاعيل المجردة ، مثل (تَرَمَ تَمَ) أو (نَعَمْ لَا) أو (دَذَنْ دَنْ) لما سُميت قصيدة ، ولا نصرفت عنها الأسماع بعد شطر أو شطرين . فما هذه « المنظومة » إلا هيكل عظمي ، فإذا صارت قصيدة كسيت العظام لحما ، ونُفِخت فيها الروح ، بما في الكلمات من معانٍ ، وما فيها من تنوع صوق .

والعوامل التي تميز بين قصيدتين — ولو كانتا تنسبان إلى تكوين واحد — أوسع من أن تستقصى في هذا المجال ، ولذا أكتفى بتناول أهم هذه العوامل :

(١) العلاقة بين الوحدات الوزنية والوحدات اللغوية الأخرى^(١) :

(١) تناول « جون كوين » هذه العلاقة في اللغة الفرنسية . يراجع :

جون كوين : بناء لغة الشعر (ترجمة : د . أحمد درويش) — مكتبة الزهراء . القاهرة — الإيداع بتاريخ ١٩٨٥ م — ص ٦٥ وما بعدها .

فقد تتطابق التفعيلة مع الكلمة ، وقد تتطابق مع أكثر من كلمة ، وقد تتقاطع التفاعيل مع الكلمات . فمن أمثلة تطابق التفعيلة مع الكلمة (والأشطر المقصودة^(١) هي الموضوعية بين أقواس) :

— (تطالعنا/خيالات/لسلمى) — كما يتطالع الذين الغريم^(١)

مفاعلتن/مفاعلتن/فعولن

— (أشاروا/بتسليم/فجدنا/بأنفس) — تسيل من الآماق والسُّم أدمع^(٢)

فعولن/مفاعيلن/فعولن/مفاعيلن

— (رهو اجل/وصواهل/ومناصل وذواهل/وتوعد/وتهدد)^(٣)

متفاعيلن/متفاعيلن/متفاعيلن متفاعيلن/متفاعيلن/متفاعيلن

— (وقالوا/يعود/لقلنا/يجوز) — بقدره خالقنا الأفل^(٤)

فعولن/فعول/فعولن/فعول

— (وكفى/عجبا/أنى/قنص) — للسرب سباني أغيد^(٥)

فعيلن/فعيلن/فعيلن/فعيلن

— مث وجدنا ولوعة — (فاسقنيها/لعلنى)^(٦)

فاعلاتن/متفاعيلن

ومن أمثلة تطابق التفعيلة مع أكثر من كلمة :

— (لمن طلل/برامة/لا/يريم عفا وخلا/له حقب/قديم)^(٧)

مفاعلتن/مفاعلتن/فعولن مفاعلتن/مفاعلتن/فعولن

— (حشاي/على جمر/ذكى/من الهوى) — وغيناي فى روض من الحسن ترتع^(٨)

(١) زهير : شعر زهير — ص ١٤٨ .

(٢) المتنبي — ص ٣٠ .

(٣) المتنبي — ص ٤٨ . والبيت الذى قبله فى القصيدة :
عدوية بدوية من دوما — سلب النوس وثار حرب تولد .

(٤) أبو العلاء — اللزوميات — ج ٢ — ص ٢١١ .

(٥) البيت لـ « الحصرى » ، والنص فى : المرزوقى والحاج يحيى — ص ١٧٣ .

(٦) البهاء زهير — ص ٣٦٦ .

(٧) زهير — ص ١٤٧ .

(٨) المتنبي — ص ٣٠ .

فعولن / مفاعيلن / فعولن / مفاعلن

— (إن التي / سفكت دمي / بجفونها) لم تسدر أن دمي الذي تتقلد^(١)

متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن

— عمل كلا عمل ووقت فائت (ويد إذا / ملكت رمت / ما تملك)^(٢)

متفاعلن / متفاعلن / مستفعلن

— (لست أصغى / ولا أعى) خلّني منك خلّني^(٣)

لمفاعلتن / متفعلن

— (إن عادلي / ذاك الرضا) فلك البشارة يا رسول^(٤)

مستفعلن / مستفعلن

— الواحة الزهراء ذات الغنى (تربى التي / مامثلها / في البلاد)^(٥)

مستفعلن / مستفعلن / فاعلان

أما التقاطع فأمثله كثيرة لا تخلو منها قصيدة ، وأكثر الأبيات التي استشهد بها
فيها سبق تجمع بين التناظر في أحد الشطرين والتقاطع في الشطر الآخر ، فيت
زهير :

تطالعنا خيالات لسلمى / كما يتطلع الدين الغريم

يقسم الى تفاعيل على النحو التالي :

تطالعنا / خيالات / لسلمى كما يتطلد / لع الدين الـ / غريم

مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن

ففي العجز تقطع التفعيلة الأولى كلمة « يتطلع » ، أى أن نهاية التفعيلة تقع في
وسط الكلمة ، وتقطع التفعيلة الثانية كلمتي « يتطلع » و « الغرم » ، أى أن

(١) المتنبي — ص ٤٧ .

(٢) أبو العلاء — السابق — ص ١٣١ .

(٣) البهاء زهير — ص ٣٦٧ .

(٤) البهاء زهير — ص ٢٦٦ .

(٥) شوقي — الشوقيات — ج ١ — ص ١٠٣ .

بدايتها تقع وسط الكلمة الأولى ، ونهايتها وسط الكلمة الثانية . والتفعيلة الثالثة تقطع كلمة « الغريم » ، أى أن بدايتها تقع فى داخل الكلمة .

وقلما يشمل التتطابق تفاعيل الشطر كلها ، ناهيك عن تفاعيل البيت ، وإنما بكثرة اجتماع التتطابق مع التقاطع فى الشطر .

ومن الواضح أن التتطابق يعمل على بروز النغم وبساطته ، على العكس من التتقاطع^(١)

ومن ناحية أخرى ، هناك العلاقة بين الشطر والجملة ، فقد يتطابق الشطر مع جملة أو أكثر من جملة ، أى أنه يبدأ ببداية جملة ، وينتهى بنهاية هذه الجملة ، أو بنهاية جملة أخرى . وقد يتقاطع الشطر مع جملة أو أكثر ، أى أن أحد طرفيه أو كليهما لا يقع فى طرف جملة ، بل فى داخلها .

ومن أمثلة التتطابق هذه الأبيات من شعر « المتنبى » :

— ذلّ من يغبط الدليل بعيش	ربّ عيش أخفّ منه الجِسام ^(٢)
— من يهن يسهل الهوان عليه	ما لجرح بميت إيلام ^(٣)
— ما كل ما يتمنى المرء يدركه	تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن ^(٤)
— لولا المشقة ساد الناس كلهم	الجود يفقّر والإقدام قتّال ^(٥)
— لا تشتر العبد إلا والعصامعه	إن العبيد لأنجاس مناكيد ^(٦)

(١) ولهذا « التقاطع » نظير فى الشعر اليونانى والشعر اللاتينى ، يسمى Ceasura وهو انقسام التفعيلة بين كلمتين ، أو انتهاء الكلمة فى داخل التفعيلة . ويراجع :

Drabble (editor), 'The Oxford Companion to English Literature, Oxford university press, 1985, Ceasura.

ويراجع كذلك :

Webster's Ninth New Collegiate Dictionary, U. S. A. 1986, ceasura.

(٢ ، ٣) المتنبى — ص ١٦٤ ، النعالي ص ٣٢٢ وما بعدها .

(٤) المتنبى — ص ٤٧٢ ، النعالي — نفسه .

(٥) المتنبى — ص ٤٩٠ ، النعالي — نفسه .

(٦) المتنبى — ص ٥٠٦ ، النعالي — نفسه .

أما التقاطع فمنه ما يجعل الصدر مرتبطاً بالعجز نحويًا ، بحيث لا يمكن أن يستقل أى منها بنفسه ، كما في الأمثلة الآتية من معلقة « امرئ القيس » :

- كأن غداة البين يوم تحمّلوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل
- وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل
- تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتّل^(١)

وكذلك الأمثلة التالية من قصيدة « إيليا أبو ماضى » :

- قد انقضى العمر وأرواحنا مفطومة بالحرص ، بشي الفطام
- نيوبيورك يا ذات البروج التى سمت وطالت كى تمس الغمام
- وتدركى أن قصور المني تبقى وتهدّ قصور الرجاء^(٢)

وقد يُظنّ الصدر مستقلاً ، فإذا قرأنا العجز وجدنا أنه مرتبط بالصدر نحويًا كما في الأمثلة التالية :

- وجيد كجيد الرثم ليس بفاخش إذا هى نصّته ولا بمعطل
- وليل كموج البحر أرخى سدوله علّى بأنواع الهموم ليبتلى^(٣)
- فد غدغ الأوتاد لا تكثرت أن تذهب الفتنة بالإحتشام
- لن تبلغى والله باب السّما إلا بأوتار كنار الشّام^(٤)

ويبلغ الارتباط بين الشطرين حدّ الالتحام حين يقع بعض الكلمة في الصدر وبعضها في العجز ، فإذا قسم البيت شطرين ، أدّى ذلك إلى شطر الكلمة . ويسمّى هذا بالتدوير . ومن أمثله معظم الأبيات التالية من معلقة « الحارث بن حلزة » .

لا أرى من عهدت فيها فأبكي اليوم . . . دلها وما يجير البكاء

(١) أبو ماضى - الحمائل - ص ١٨٠ وما بعدها .

(٢) أبو ماضى - الحمائل - ص ١٨٠ وما بعدها .

(٣) الزوزى - نفسه .

(٤) أبو ماضى - الحمائل - الموضع نفسه .

وبعينك أوقدت هند النار أخيراً تلوى بها العليا
فتنورت نارها من بعيد بخزاري هيهات منك الصلاة
أوقدتها بين العقيق فشخصين يعود كما يلوح الضياء^(١)

ومعظم الأبيات الآتية من قصيدة لـ «حافظ إبراهيم» :
أهلاً بأول مسلم فى المشرقين علا وطار
النيل والبسفور فيك تجاذبا ذيل الفخار
يوم امتطيت براقك الميمون واجتزت القفار
تلهو وتعبث بالرياح على المفاوز والبحار^(٢)
وقد يرتبط البيت ، أو أحد شطريه ، بالبيت التالى ، أو بأحد الأبيات التالية
نحوها ، وهو ما يسميه العروضيون «التضمين» . وهو معيب عند كثير من
العروضيين وبخاصة حين يؤدى إلى تعلق آخر كلمات البيت بالبيت التالى^(٣) .

(١) الزوى - ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) حافظ - ج ٢ - ص ٧٦ .

(٣) قال «ابن رشيق» : (والتضمين أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها . وكلما كانت اللفظة المتعلقة
بالبيت الثانى بعيدة من القافية كان أسهل عيباً من التضمين) - (ابن رشيق - ج ١ - ص ١١٣) .
ويبدو من هذا القول أنه يتردد فى تعريف التضمين ، بين تعميمه على كل ارتباط معنوى بين البيت والبيت
التالى ، وبين قصره على ارتباط القافية (أى الكلمة الأخيرة فى البيت) بما بعدها .
وعرف «ابن عبد ربّه» التضمين فقال : هو (أن لا تكون القافية مستغنية عن البيت الذى يليها) ،
ومثل له بالبيتين المذكورين هنا ، وعلق عليها بقوله : (وهذا قبيح ، لأن البيت الأول متعلق بالبيت
الثانى لا يستغنى عنه . وهو كثير فى الشعر) (ابن عبد ربّه - ج ٥ - ص ٥٠٨)
وللدكتور «سيد البحراوى» دراسة عن التضمين ، التف فيها إلى سبب من اسباب «انتوتر» الذى
ينشأ عن التضمين ، فالجملة (إذا انتهت تماماً ، فإنها تنتهى - على المستوى التنغمى - بنغمة هابطة
(لا) أما إذا انتهت نهاية جزئية ، وظلت مرتبطة بما بعدها ، فإن هذه النهاية الجزئية تخلق نغمة مستوية
(→) ، نغمة تعليق . وعلى هذا الأساس ، فإن نغمة التعليق التى ينتجها التضمين تكون فى صراع مع
الوقف التقليدى فى نهاية البيت . كذلك فإن هذه النغمة تكون فى صراع مع الجرس الصوتى - المطلوب -
الناتج عن تكرار حرف الروى) . (د . سيد البحراوى : التضمين فى العروض والشعر العربى - مجله
«فصول» - القاهرة - أبريل - سبتمبر ١٩٨٧)

والمثل الذى يضره العروضيون لتعلق القافية (ويقصدون بها هنا الكلمة الأخيرة في البيت) بما بعدها :

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ إنى
شهدت لهم مواطن صالحات شهدن لهم بحسن الظن منى

واستقلال الأشر ، كل منها بنفسه ، يعمل على بساطة الموسيقى ووضوحها ، إذ يعتنق الاستقلال العروضى والاستقلال النحوى . أما ارتباط الشطر نحويا بغيره فيعمل في الاتجاه المعاكس ، لأنه يخلق في نفس القارئ صراعا بين شعورين : شعور بالاتصال النحوى ، وشعور بالاستقلال العروضى^(١) . ويختلف القراء إزاء هذا الموقف ؛ فبعضهم يرجع الجانب النحوى ، فيقف حين يستدعى المعنى أن يقف ، ويصل حين يستدعى المعين أن يصل ، وبعضهم يرجع الجانب العروضى ، فيقف في أواخر الأشر ، ولو أدى الوقوف إلى شطر الجملة أو الكلمة . وفي كلتا الحالتين يؤدى التنازع بين الشعورين إلى شيء قليل أو كثير من الشعور بالتوتر . ويشد هذا الشعور كلما اشتدت حاجة أحد الشطرين إلى غيره ، كما في حالة التدوير ، وكلما كان التقاطع بين الشطر والجملة خارجا عن المؤلف في الشعر ، كما في بعض حالات التضمين . ويلاحظ أن التضمين بكل صوره شائع في الشعر الجديد ، لا تكاد تخلو منه قصيدة^(٢) .

وبعض حالات التقاطع شائعة مألوفة تكاد تكون هي الأصل^(٣) . والجمع بين التطابق والتقاطع في كل تكوين ، هو — على أية حال — مصدر من مصادر التنوع في التكوين ، بل في القصيدة الواحدة .

(٢) وقد يتضمن البيت نوعا من « الإيقاع اللفظى » يتعارض مع الإيقاع الوزنى ، فيساعد على خفاء التفاعيل ، ويضفى على الموسيقى شيئا من التركيب .

(١) على يونس : النقد الأدبى وقضايا الشكل الموسيقى في الشعر الجديد — ص ٧٣ ، ٧٧

(٢) بل يونس — السابق — ص ٧٦ وما بعدها .

(٣) ويلاحظ أن التدوير لا يؤدى إلى إحساس بالتعارض أو الاضطراب حين يكون في الأوزان القصيرة ، كما في قصيدة « حافظ إبراهيم » التى سبق الاستشهاد بها ، فالبيت لقصره يمكن أن ينطق دفعة واحدة دون حاجة إلى التقسيم إلى شطرين . وهو من ناحية أخرى — مألوف شائع في هذه الأوزان .

وقد ينشأ هذا « الإيقاع اللفظي » من انقسام البيت إلى أقسام متشابهة في تركيبها النحوي ، كقول « دواد بن مسلم » :

في بـاعـه طـول/ وفي وجـهـه نور/ وفي العـرـنـين مـهـ شمـ (١)
وقول المتنبي :

بـدت قـمـرا/ ومـالـت خـوط بـان/ وفـاحـت عـنـبرا/ ورنـت غـزـالا (٢)

وقد ينشأ الإيقاع اللفظي من تشابه صوت في أواخر بعض الكلمات ، كقول المتنبي : وترى المروّة/ والفتوة/ والأبوة/ في كلّ مليحة ضراتها (٣)
وقول شوقي : بين الرفارف/ والمشارف/ والزخارف/ والحرير (٤) .
وقد يجتمع التشابه التركيبي مع التشابه الصوتي ، ومن ذلك قول « مسلم بن الوليد » :

يـورـى بـزئـدك/ أو يـسـمـى بـجـدك/ أو يـفـرى بـحـدك/ كلّ غـير مـجـدود (٥)
وهذا الإيقاع اللفظي قد ينضم إلى الإيقاع الوزني فيزيد التفاعيل جلاء ، كقول « البحتري » :

قـف مـشـوقـا/ أو مـسـعـدا/ أو حـزـينا/ أو مـعـينا/ أو غـادـرا/ أو عـدـولا (٦)

ويكثر ذلك في البسيط إذا قسّمت تفاعيله على هذا النحو :

مستفعلن فعِلن/ مستفعلن فعِلن

وهذه أمثلة على ذلك أوردها « الثعالبي » ليستشهد بها على « حسن التقسيم » في شعر « المتنبي » :

فـنـحـن في جـدل/ والروم في وـجـل/ والبرّ في شُغـل/ والبحر في خـجـل

، الدهر معتذر/ والسيف منتظر/ وأرضهم لك مصطاف ومرتبـع

(١) ابن رشيق - ح ٢ - ص ٢٢ .

(٢) المتنبي - ص ١٤٠ .

(٣) المتنبي ص ١٨٦ .

(٤) شوقي - ح ١ - ص ١٠٦ .

(٥) ابن رشيق - ح ٢ - ص ٢٣ .

(٦) السابق - ص ٢٢ .

للسبي ما نكحوا/ والقتل ما ولدوا/ والنهب ما جمعوا/ والنار ما زرعوا (١)

(٣) في بعض الأبيات تظهر حدود التفاعيل أكثر مما تظهر في غيرها . وأوضح ما تكون هذه الحدود حين تتطابق التفاعيل مع الكلمات . وقد سبق التمثيل على ذلك . ويساعد على وضوحها بعد ذلك أن تنتهي التفاعيل بصوائت طويلة (٢)، كما في الأمثلة التالية من معلقة « عنترة » ، ووزنها (متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن ، والمعجز مثل الصدر) :

— (إذ تستبِك بذي غروب واضح) عذب مقبله لذيذ المطعم

وتقطيع الصدر إذ تستبِك/ك بذي غروب واضح

(سبقت يداي له بعاجل طعنة) ورشاش نافذة كلون العندم

وتقطيع الصدر : سبقت يداي له بعاجل طعنة

(إذ لا أزال على رحالة سابح) نهد تعاورة الكماة مكلم

وتقطيع البيت :

ذلا أزال على رحالة سابح نهد تعاورة الكماة مكلم (٣)

ويبدو وضوح التفاعيل في هذه الأمثلة إذا قورنت بالأمثلة التالية من المعلقة نفسها :

— هل غادر الشعراء من متردّم (أم هل عرفت الدار بعد توهم)

أم هل عرفت الدار بعد/دتوهم

— لوقفت فيها ناقتي وكأنها (فدن لأقضى حاجة المتلوم)

فدن لأقضى حاجة الد/متلوم

— ونحل عبلة بالجواء وأهلنا (بالحزن فالصيان فالمتلثم) (٤)

بالحزن فالص/صمان فال/متلثم

(١) الشعالي : يتيمة الدهم في محاسن أهل العصر — ح ١ — ٤ — (أعاد تحقيقه : إيليا حاوي) — الشركة

الشرقية — بدون تاريخ — ط ١ — ص ٣١١ .

(٢) المقصود هنا تفاعيل الحشو ، أما العروض والضرب فنهاية كل منها واضحة لا تحتاج الى علامة .

(٣) الزوزن — ص ١٣٧ وما بعدها .

(٤) الزوزن — نفسه .

ولعل السبب يرجع إلى الفرق بين عمليتي نطق الصائت الطويل ونطق الصامت ؛ فعند نطق الصائت الطويل تتحرك أجهزة النطق ثم تثبت عند وضع معينٍ لمدةٍ معينة ، يخرج الهواء في أثنائها قبل الانتقال إلى الصوت التالى . وفترة الثبوت هذه أطول من نظيرتها في حالة نطق الصامت . ويؤدى هذا إلى إحساس بوجود ثغرة بين الصائت الطويل والصوت التالى له . ويتضح ذلك إذا قارنا — مثلا — بين الكلمتين : (عُدْنَا) و (عادت) ، فالأولى أكثر تلاحما من الثانية ، إذ يشعرا الصائت الطويل فى الثانية كأنها قطعتان ملتصقتان : (عا/دت) .

وإذا قارنا بين الصوامت الاستمرارية مثل (السين والميم واللام) والصوامت الشديدة (أو الوقفية أو الانفجارية) مثل (الباء والبدال والقاف) ، وجدنا أن الصوامت الاستمرارية أقرب — من هذه الناحية — إلى الصوائت الطويلة ، لأن الهواء فى أثناء نطق الصامت الاستمرارى يخرج عبر عقبة غير محكمة أو متفاديا عقبة محكمة ، ويستمر خروجه مدة أطول من المدة التى يستغرقها خروجه عند نطق الصامت الشديد . ولهذا تبدو التفاعيل التى تنتهى بصوامت استمرارية أوضح من التفاعيل التى تنتهى بصوامت شديدة ، وإن كانت أقل وضوحا من التفاعيل المنتهية بصوائت طويلة . وفيما يلى أمثلة للأشطر التى تنتهى تفاعيل الحشو فيها بصوامت استمرارية ، وهى من معلقة « عنترة » أيضا :

— (أثنى علىّ بما علمت فإننى) سمح مخالفتى إذا لم أظلم
أثنى عليّ/ى بما علمت/ت فأننى

— (وإذا ظلمت فإن ظلمى باسل) مرّ مذاقته كطعم العلقم
وإذا ظلمت/ت فإن ظلم/مى باسل

— (فشككت بالرمح الأصمّ ثيابه) ليس الكريم على القنا محرم^(١)
فشككت بالر/ومح الأصم/م ثيابه

وهذه أمثلة للأشطر التى تنتهى معظم تفاعيل الحشو فيها بصوامت شديدة ، وهى من شعر « ابن زيدون » ، وتفاعيل كل منها : متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن :

(١) الزوزنى — نفسه .

— إن الغنى هو القناعة لا الذى (يشتف نطفة ماء وجه القانع)

يششف نطفة ماء وجهه القانع (١)

— (فى آل عباد حططت فأعصمت) همى ، بحيث أناسخت الأطواد (٢)

فى آل عب/باد حطط/ت فأعصمت

— (فاستقبلتنى الشمس تبسط راحة) للبحر من نفحاتها استمداد (٣)

فاستقبلت/نى الشمس تب/سط راحة .

أما التفاعيل المنتهية بصائت قصير فورودها أقل كثيرا من غيرها ، ومنها التفاعل المزاحفة : (فعول — مفاعيل — فاعلات) . وكذلك بعض التفاعيل التى تستعمل فى المنسرح والمقتضب والمضارع . وعملية نطق الصائت القصير شبيهة بعملية نطق الصائت الطويل ، إلا أن الوقت الذى يستهلك فى نطق الصائت أقل من نظيره فى حالة نطق الصائت الطويل .

ولهذا لا يؤدي الصائت القصير إلى الأثر الذى يحدثه الصائت الطويل ، أى أنه إذا وقع فى نهاية تفعيلة لا يشعر القارئ بوجود ثغرة بين التفعيلة التى يقع فى آخرها وما بعدها . وعلى ذلك تكون التفاعيل المنتهية بصائت قصير أقل وضوحا من المنتهية بصائت طويل مالم يكن الصائت القصير واقعا فى نهاية كلمة .
وفىما إلى أبيات لـ « بشامة بن عمرو بن هلال » ، ووزنها من أوزان « المتقارب » :

(فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن)

وفى حالة التصريع : (فعولن فعولن فعولن فعولن) فى كلا الشطرين ، وقد أوردت بعد كل بيت تقطيعا له ، ووضعت خطا تحت كل تفعيلة تنتهى بصائت قصير لا يقع فى نهاية كلمة :

هـجـرت أـمـامـة هـجـرا طـويـلا وـجـمـلـك النـأى عـبـثـا ثـقـيـلا
هـجـرت أـمـامـة هـجـرا طـويـلا وـجـمـلـك النـأى عـبـثـا ثـقـيـلا

(١) ابن زيدون — ص ١٤٠ .

(٢) ابن زيدون — ص ٢٢٢ .

(٣) ابن زيدون — ص ٢٢٥ .

وبدلت منها على نأيا خيالا يوافي ونيلًا قليلا
وبدلت منها على نأيا خيالا / يوافي / ونيلًا / قليلا
ونظرة ذى علق وامق إذا ما الركائب جاوزن ميلا
ونظرة ذى علق وامق إذا ما الركائب جاوزن ميلا^(١)

وهكذا تتفاوت القصائد المنتمة إلى تكوين واحد ، بل الأبيات المنتمة إلى قصيدة واحدة في مدى وضوح التفاعيل ، وتتفاوت — بناء على ذلك — في مدى وضوح الموسيقى .

(٤) حاولت في الفصل الأول من هذا البحث أن أدلل على أن النبر ليس عنصرا أساسيا في أوزان الشعر العربي ، وأنه أقل شأنًا من الكم . ولا يعني هذا تجريد النبر من كل قيمة موسيقية ، فالنبر له أثر كمّي ، لأن المقطع حين ينطق منبورا يكون أطول من المقطع نفسه حين ينطق بغير نبر^(٢) . وهذه الإطالة — بطبيعة الحال — لا تصل إلى حد تحويل المقطع القصير إلى مقطع طويل . ويبدو أثر الزحاف واضحا في الكلمات التي تتكون من مقطع مكرر ، مثل كلمة « بابا » في هذه الجملة (فتحت نافذة وبابا) ، فالألف الأولى أطول من الثانية نتيجة لنبر المقطع الأول . (با)^(٣) .

ويؤدى النبر أحيانا إلى تغيير في المعنى ؛ فمثلا (أَلَمْ) بنبر المقطع الأول « أ » تختلف عن (أَلَمْ) بنبر المقطع الثانى « لَمْ » ؛ فالأولى اسم ، والثانية فعل أو همزة الاستفهام + حرف النفى « لَمْ » .

و (وَعَدَا) بنبر المقطع الأول « وَ » هى الفعل « وعد » المسند إلى ألف الاثنين ، فإذا وقع النبر على المقطع الثانى « عَدَ » فهى واو العطف + الفعل « عدا » . وكذلك « وَكَفَا » و « أَبَدَا » . . وغيرهما . وليس معنى ذلك أن النبر « فونيم » . وعلى سبيل المثال نجد ان الاسم « أَلَمْ » منبور المقطع الأخير « لَمْ » عند بعض الجماعات العربية ، في حين يجعل المصريون مقطعه الأول منبورا . ولكن الذى أَسْتَتَجِه من أثر

(١) ابن الشجرى — ح ١ — ص ١٤ .

(٢) د . تعريد السيد عبر — محاضرات بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية ١٩٧٨ / ١٩٧٩ م .

(٣) يختلف النبر باختلاف أساليب الأداء بين الجماعات العربية المختلفة . والأمثلة التى تورد هنا تخضع « لقواعد » النثر التى تحكم أداء معظم المصريين ، وبخاصة فى القاهرة وأكثر المناطق التى تقع فى شمالها .

النبر في المعنى أن المتكلم بالعربية يشعر به ، على الأقل في بعض المواقع . وقلما تشابه مواضع النبر في شطرين من قصيدة واحدة ، وكثيرا ما تتفاوت الأشرطة في عدد المقاطع المنبورة ، كما رأينا في الفصل الأول . وهذا التباين مصدر من مصادر التنوع في داخل التكوين الواحد ، بل في داخل القصيدة الواحدة . وبيان التنوع الناتج عن تباين مواضع النبر ، وتفاوتها في العدد أحيانا أورد هذه الأبيات من دالية الحصرى التي سبق الاستشهاد بها ، وقد قُسمت إلى تفاعيل ، ووضع تحت كل بيت العلامات الدالة على المقاطع وأنواعها ومواضع النبر^(١) .

صنم للفتنة منتصب	أهواه ولا أتعبده
٧٧ / - ٧٧ / - - / - ٧٧	- ٧٧ / - ٧٧ / - ٧٧ / - -
صاح والخمر جنى فمه	سكران اللحظ معربده
٧٧ / - ٧٧ / - - / - -	- ٧٧ / - ٧٧ / - - / - -
ينضو من مقلته سيفا	وكان نعاسا يغمد
- - / - ٧٧ / - - / - -	- ٧٧ / - - / - ٧٧ / - ٧٧
فيسرى دم العشاق به	والويل لمن يتقلده ^(٢)
- ٧٧ / - - / - ٧٧ / - ٧٧	- ٧٧ / - ٧٧ / - ٧٧ / - -

ليس بين هذه الأبيات بيتان متشابهان في مواقع النبر ، وبين الأشرطة الثمانية لا تتفق في مواقع النبر إلا ثلاثة أشرطة هي الأعجاز الثلاثة الأخيرة ، وعدد النبرات ليس واحدا في كل الأشرطة ، بل يتراوح بين أربع وثلاث . وبين هذه الأشرطة يقف الصدر الثالث (ينضو من مقلته سيفا) متميِّزا فمع مخالفته للأشرطة الأخرى في التركيب المقطعي - كما سبق في هذا الفصل - يخالفها كذلك في النبر ، إذ يقع فيه على المقطع الأول من كل تفعيل ، وهو يفرد بذلك بين هذه الأشرطة الثمانية ،

(١) اتبع في تحديد مواضع النبر الأسلوب الشائع ، وقد أظهره الاستقراء الذي أوردت نتائجه في الفصل الأول . أي أن مواضع النبر في الشعر تخضع لـ « القواعد » نفسها التي تحكم مواضع السرفى النثر .

(٢) المرزوقى والحاج يحيى - ص ١٧٣ .

بل يكاد يتميز بذلك بين أشطر القصيدة كلها . أى أنّ النبر قد ساعد الكم على تأكيد التميز في هذا الشطر .

وأوضح ما يكون الأثر الناشئ عن تباين النبر حين يكون في منطقة التقفية أو التصريع^(١) ، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية :

— من شعر « طرفة بن العبد » :

أصبحوت اليوم أم شأقتك هر ومن أحب جنون مستعر^(٢)

منطقة التصريع في الشطر الأول « قَتْلَ هِرْ » = — ٧ — ، والمقطعان الأول والأخير فيها منبوران ، وفي الشطر الثاني (مستعر = — ٧ — ، والمقطع الثاني هو المنبور .

— من شعر « ابن زيدون » :

أنت الحبيب الذى ما زلت أحفه ظل الهوى وأسقيه الرضا عللا
هذى الحقيقة ، لا قولى مخادعة لو كان قولك : مت ، ما كان ردّى لا^(٣)

منطقة القافية في البيت الأول « ضاعللا » = — ٧٧ — ، والمقطع الثانى هو موضع النبر ، وفي البيت الثانى « رَدَّى لآ » = — ٧٧ — والنبر على المقطعين الثانى والأخير .

— من شعر « حافظ » :

لا تلّم كفى إذا السيف نبا صح منى العزم والذهر أبى
ربّ ساع مبصر فى سعيه أخطأ التوفيق فيما طلبا^(٤)

أحرف القافية في البيت الأول « ذَهْرُ أبى » = — ٧٧ — والمقطعان الأول والثالث منبوران ، وفي البيت الثانى « ما طَلَبَا » = — ٧٧ — والمقطع الثانى منبور . وقد بلغ من إحساس د . « طه حسين » بهذا التباين النبرى وأثره فى الموسيقى الشعرية أنّه أنكره على الشاعر « إيليا أبى ماضى » ، وإن لم يذكر مصطلح « النبر » . قال « طه حسين »

(١) التصريع كالتقفية ، إلا أنّ التقفية تكون بين الأبيات ، والتصريع يكون بين شطرى بيت .

(٢) ابن الشجرى ح ١ — ص ٣٣ .

(٣) ابن زيدون — ص ٧٠ .

(٤) حافظ — ح ٢ — ص ٧ .

عن قصيدة إيليا أبي ماضي التي مطلعها : (نسي الطينُ ساعة أنه طين حقيق فصال
تيها وعريد) إنها من أردا الشعر العربي قافيةً وأشدّه نبوّاً عن السمع والذوق ،
فالشاعر (قد اختار الدال الساكنة قافية لهذه القصيدة ، وسكون الدال ثقيل ...
ولكن الشاعر يضيف إلى هذا الثقل الطبيعي أثقالاً أخرى ، فانظر إليه كيف يضيف
سكوناً إلى سكون وانقطاع نفس إلى انقطاع نفس في هذا البيت : (لك في عالم النهار
أمانٌ/ورؤى والظلام فوقك ممتد) ، فهذه الدال المدغمة لا تطاق ، وأنت إن قبلتها
على إدغامها كلّفت نفسك جهداً ثقيلاً ، وأنت إن خففت الإدغام أفسدت اللغة
إفساداً بغيضاً) . وقال مثل ذلك أو أشدّ عن هذين البيتين في القصيدة نفسها :

أنت مثلي من الشرى وإليه فلماذا يا صاحبي التيه والصد
وأرى للنمال ملكاً كبيراً قد بتته بالكدح فيه وبالكد^(١)

وما يسمّيه « د . طه حسين » « إدغام الدال » هو في الحقيقة نبر المقطع الأخير
الذي يتضمن صوت الدال ، وما يسمّيه « تخفيف الإدغام » هو تخفيف نبر المقطع
الأخير ، وتقوية نبر المقطع الذي يسبقه .

وللنبر أثر آخر ، فهو يساعد في بعض الأحيان على وضوح معالم التفعيلة ، وفي
أحيان أخرى يعمل على خفائها . فالتفعيلة المجردة أصوات ركبت بحيث تأخذ
سمت الكلمة ، ولذا فالتكلم ينطق التفعيلة مجردة — كما ينطق الكلمة ، ويخضعها
لنظام النبر الذي يحكم أدائه اللغوي ، فالتفعيلة « فَعْلُنْ » مثلاً ينطقها المصري —
مجردة — بنبر المقطع الأول « فَعْ » ، وكذلك التفعيلة « فَعْلُنْ » ينبر فيها المقطع الأول
« فْ » ، أما التفعيلة « مستفعلن » فالمقطع المنبور فيها هو الثالث « عـ » ، وهكذا .
فإذا اتفق نبر التفاعيل المجردة في الشطر مع نبر الكلمات المكوّنة لهذا الشطر ساعد
ذلك على وضوح التفاعيل . فمثلاً في أبيات الحصري السابقة نجد هذا الاتفاق في
الشطر (ينضو من مقلته سيفاً) ، لأن النبر في تفاعيله المجردة يكون على المقطع
الأول في كل منها ، ونبر الكلمات نفسها يتطابق مع نبر التفاعيل المجردة على النحو
التالي :

(١) د . طه حسين : المجموعة الكاملة لمؤلفات د . طه حسين ، المجلد الثاني : حديث الأربعاء - دار
الكتاب اللبناني — بيروت — ط ٢ — ١٩٧٤ — ص ٧٧٩ .

يَنْضُو/مِنْ مَق/لَيْتَهُ/سَيَفَا
فَعَلَنْ/فَعَلَنْ/فَعَلَنْ/فَعَلَنْ/فَعَلَنْ
↑ ↑ ↑ ↑ ↑

فإذا لم تكن المقاطع الموافقة لأوائل التفاعيل في هذا الوزن منبورة ، لم يتحقق هذا التطابق ، ولم تبرز حدود التفاعيل هذا البروز . وقد انفرد هذا الشطر بن الأشرار الأخرى ، فلم يتحقق هذا التطابق النبري كاملا إلا فيه .

وبيت المتنبي الذي ذكرته من قبل :

وهو اجل وصواهل ومناصل وذوا بل وتوعد وتهدد

وينفرد بين أبيات القصيدة بتعاقب النبرين في كل تفعيلة من تفاعيله ، كما يلي :

- وهَوَاجِلَنْ/وَصَ-وَاهِلَنْ/وَمَ ناصِلَنْ
م ت فاعِلَنْ/م ت فاعِلَنْ/م ت فاعِلَنْ
- وَذ وَا-لَنْ-وَتَ عُدْ-دَنْ/وَتَ اَهْدُ-دُو
م ت فاعِلَنْ-م ت فاعِلَنْ/م ت فاعِلَنْ

(٥) من أهم عوامل التنوع في الموسيقى الشعرية طبيعة الأصوات المكونة للعمل الشعري ، والعلاقات بينها . وأوجه الاختلاف بين الأصوات اللغوية كثيرة لا يمكن استقصاؤها وتفصيلها في هذا المجال ، فهي تشمل :

(أ) مخرج الصوت ؛ والمخارج متعددة ؛ تمتد من الشفتين إلى الحنجرة .

(ب) كيفية نطق الصوت ؛ فهو إما صامت يخرج الهواء عند نقطة بحرية دون أن تقابله عقبة ، وإما صامت شديد ينطق نتيجة لتكوين عقبة تسد مجرى الهواء ثم تنفتح بمرور الهواء ، وإما صامت رخو ينطق نتيجة لمرور الهواء عبر عقبة غير محكمة تضيق المجرى ولا تسدّه ، وإما صامت متوسط أو متممّع تقابل الهواء عند نقطة عقبة محكمة ، ولكن الهواء يجد له مسارا بالرغم من هذه العقبة .

(ج) مقدار ما يبذل من جهد عند نطق الصوت ؛ فمن الأصوات قسم سهل كالأصوات ، ولا سيما الطويلة ، والباء والميم ، وقسم أقل سهولة كالكاف والطاء والهمزة .

(د) وقع الصوت على السمع ، فبعض الأصوات أكثر حدة من بعض ، كما

أن بعضها أوضح وأشد إسماعاً من البعض الآخر .
وتتشكل ملامح النغم الشعري نتيجة لطبيعة الأصوات المكونة له ، والعلاقات بين هذه الأصوات ، فيبدو العمل الشعري سلساً أو وعراً ، وقد نشعر بطلاوة الموسيقى الشعرية وحلاوتها أو نشعر بغير ذلك ، وقد تبدو الموسيقى جهيرة أو خافتة .

ويأتى الشعور بالسلاسة والليونة من سهولة نطق الأصوات المكونة ، كلها أو معظمها ، وكذلك من « حسن-الجوار » بين الأصوات . وأعنى به أن تكون الأصوات المتلاصقة أو المتقاربة بحيث يسهل الانتقال من الصوت إلى ما يليه .

أما الشعور بالطلاوة أو العذوبة أو ما يشبهها من صفات فيبدو أنه لا يختلف عن « الميلودى » أو « النغم » فى الموسيقى ، أى أنه علاقة بين أصوات متتابعة ، تقوم على أساس درجات هذه الأصوات ، أى حذتها أو غلظها^(١) .

ولا يمكن تفصيل القول فى « الميلودى » الشعرى فى اللغة العربية إلا إذا أتيت للدارس معلومات كافية عن درجات الأصوات اللغوية العربية ، وهو أمر لم يتحقق حتى الآن فيما أعلم ، ولا مناص من الاعتماد على الحس والذوق حتى تتاح هذه المعلومات . ولا أرى مبرراً لحصر الميلودى فى الصوائت دون الصوامت كما رأى بعض الدارسين^(٢) ، بل يقوم « الميلودى » الشعرى على العلاقة بين الأصوات بنوعيتها ، وإلا لتشابهت أو تقاربت فى الأذن العربية كلمتان مثل « مَرَمَرٌ » و « وَفَهْقَةٌ » وكذلك « تَأْمِرٌ » و « عَائِقٌ » من ناحية الأثر الموسيقى بمقدار تشابه كل صائت مع نظيره فى الكلمة الأخرى .

والسلاسة أوسع نطاقاً من الطلاوة ، فالموسيقى إذا كانت مستحسنة فى عمل شعري فلا بد أنها سلسلة بعيدة عن الوعورة والجفاف . ولكنها قد تكون سلسلة دون أن تبعث فىنا الشعور بالاستحسان . وقد اشتهر بالسلاسة والعذوبة شعر البحترى ، ومنه قوله :

(١) دانهـ وزير - ص ١٧ ، ١٩ ، عائشة صبرى ود . آمال صادق - ص ٣٢ .

(٢) د . عياد : موسيقى الشعر - ص ١٠٩ وما بعدها ، د . البجراوى - موسيقى الشعر - ص ٢٣ .
وفى كتاب « النقد الأدبى وقضايا الشكل الموسيقى فى الشعر الجديد » مناقشة لهذا الرأى - ص ١٧٥ وما بعدها .

أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكا
وقد نبّه النيروز في غلس الدجى
يفتّقها برد الندى فكأنه
ومن شجر ردّ الربيع لباسه
أحلّ فأبدى للعيون بشاشة
ورق نسيم الريح حتى حسبته
لما يجبس الراح التي أنت خلّها
ومازلت شمسا للندامى إذا انتشوا
من الحسن حتى كاد أن يتكلّمها
أوائل ورد كنّ بالأمس نوّما
يبث حديثا كان أمس مكتما
عليه كما نشرت وشيا متمنما
وكان قنذى للعين إذ كان محرما
يجيء بأنفاس الأحبة نغمها
وما يمنع الأوتار أن تترنّما
وراحو بدورا يستحثّون أنجها^(١)

ويمثّلون على التنافر الصوق بهذا البيت :

قبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر^(٢)

وهذا البيت :

لم يضرها والحمد لله شيء وانثنت نحو عزف نفس ذهول^(٣)

وذكر بعض القدماء أن الشعور بـ « التلاؤم » أو « الائتلاف » أو « الطلاوة » أو « الحسن » شعور يتعدّر تفسيره في بعض الأحيان ، فهو كاستحسان بعض الألحان وبعض الألوان^(٤) .

وروى بعضهم عن « الخليل بن أحمد » وغيره أن التنافر هو تقارب الحروف في المخارج أو تباعدها بعدا شديدا ؛ فالبعد الشديد بمنزلة الطفر ، والقرب الشديد بمنزلة مشى المقيد ، وكلاهما صعب على اللسان ، والسهولة في الاعتدال^(٥) . ولكن

(١) البحتري : ديوان البحتري (تحقيق حسن كامل الصيرفي) - دار المعارف القاهرة - بدون تاريخ -

مجلد ٢ - ص ٢٠٩٠ الى ٢٠٩٢ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين - ص ٤٩ ، ابن رشيق - ح ١ - ص ١٧٥ ، حازم ص ٢٤ .

(٣) الجاحظ : الموضع نفسه ، ابن رشيق - السابق ص ١٧٤ .

(٤) ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة - (شرح وتحقيق : عبد المتعال الصعيدي) مكتبة صبيح -

القاهرة - ١٩٦٩ - ص ٥٤ .

، حازم ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ .

(٥) الخفاجي - ص ٩١ .

آخرين فسروا التنافر بالتقارب بين مخارج الحروف ، وفسروا الائتلاف بالتباعد بين المخارج (١).

وقسم بعضهم جهاز النطق الى مناطق ثلاث ، المخرج الأعلى والمخرج الأوسط والمخرج الأدنى ، وصنف الكلمات الثلاثية اثني عشر صنفا تبعا لمخارج حروفها الأصلية . وأحسن التراكيب عنده ما كانت مخارجه الأعلى فالأوسط فالأدنى ، مثل « ع د ب » ، وأقلها استعمالا ما كانت مخارجه الأدنى فالأعلى فالأوسط مثل « ب ع د » (٢) .

ويلاحظ على بعض هذه الآراء أنها ركزت على الصوامت وأهملت الصوائت ، فعند « الخفاجي » (٣) وبهاء الدين (٤) و « السيوطي » (٥) يكون الحكم على الكلمة بالنظر الى أصولها ، وبذلك يستوى عندهم مثلا : « صُقْع » و « صَقِيع » ، وكذلك « شُدْر » و « شُدَر » ، ويستوى رَطْب و « رُطْب » ، وغيرها . ومن الواضح أن بعض هذه الكلمات أسلس نطقا من بعض ؛ فالصائت صوت له قيمته وأثره ؛ وهو - كالصامت - يأتلف مع بعض الأصوات ويتنافر مع بعضها ، ولذا نجد « رَطْب » أخف من « رُطْب » . والصائت من ناحية أخرى قد يقع بين صوتين يصعب التصاقهما ، فيسهل بذلك تجاوزهما ، وعلى ذلك كانت « صَقِيع » أخف من « صُقْع » ، و « شُدْر » أخف من « شُدَر » .

ويلاحظ أيضا أن هذه الآراء قد ركزت على « مخارج الحروف » ، وليست هي

(١) الخفاجي - ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٤

، حازم ص ٢٢٢ وما بعدها .

وذكر « حازم » من أسباب الائتلاف بين الكلمات أن تتماثل الكلمات في مواد لفظها أو في صيغها أو في مقاطعها . واستعمل عبارات غير محددة المعاني كقوله : (من قبح الوضع والتأليف أن تكون الألفاظ - مع عدم تراخيها - بعيدة أنحاء التطلّب ، شتيّة النظم ، متخاذلا بعضها عن بعض) ص ٢٢٤ .

(٢) ذكر ذلك « الشيخ بهاء الدين » فيها روى « السيوطي »

(السيوطي : المزهري - ج ٢ - ص ١٩٧ ، ١٩٨)

د . تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها - ص ٢٦٥ وما بعدها)

وقد سار « د . تمام حسان » في الاتجاه نفسه ، ولكنه أدخل على منهج « الشيخ بهاء الدين » تعديلات مهمة ليكون أكثر دقة .

(٣) ٥ ، ٤ ، ٣) المراجع السابقة .

العامل الوحيد ؛ فحركة الشفاه مثلا قد يكون لها أثر قوى في الإحساس بالخفة أو الثقل ؛ ففي معلقة « عمرو بن كلثوم » وردت الكلمات :

بأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمَرُو بَنَ هِنْدَ

بفتح الراء والنون . والقاعدة تميز ضمهما وهو المؤلف المعروف . ولا شك أن الفتح هنا أخف من الضم ، لأن الضم يؤدي إلى توالى الميم ثم ضمة الراء فالباء ثم ضمة النون ، وكل صوت من هذه الأصوات الأربعة يستلزم تحريك الشفاه ، واستمرار هذا التحريك مدة طويلة نسبيا يؤدي إلى شئ من الشعور بالثقل . وفي بيت « الشريف الرضى » :

إذ يلتقى كل ذى دَيْنٍ وما ظله / منا ويجتمع المشكُّ والشَّاكِي^(١)

نجد ثقلا في عجز البيت بسبب توالى الضمة فالواو فالضمة فالواو ، وهو يؤدي إلى استمرار تدوير الشفاه مدة طويلة نسبيا^(٢) .

والجانب العضوى — من ناحية أخرى — ليس العامل الوحيد في الشعور بالخفة والثقل والائتلاف والتنافر وما شابهها من صفات ، فالعادة اللغوية لا تقل عنه أثرا ، بل ربما كانت أرجح منه ؛ فالمتكلم بالعربية يألّف تجاور الصوتين على نحو ما إذا شاع تجاورهما في العربية على هذا النحو ، والعكس صحيح^(٣) . والدليل على ذلك أن العربية تأبى أن يتتابع صوتان مثل الدال والزاي في كلمة واحدة دون فاصل . ولكنها تقبل أن يتابعا إذا كان أحدهما في نهاية كلمة والآخر في بداية الكلمة التالية ، مثل « ساعد زميلك » و « لم أجِدْ زهورا » والصوتان (d) و (z) المناظران للدال والزاي يتتابعان في الكلمة الواحدة في الإنجليزية دون فاصل، بل هو أمر شائع فيها كما في :

. loads - needs

(١) الشريف الرضى : ديوان الشريف الرضى — دار صادر — بيروت — بدون تاريخ — ص ٢ — ص ١٠٨ .

(٢) لا تعد الشفتان خرجا للصوائت ، وإنما تقوم الشفتان بدور ثانوى عند نطقها، ويلاحظ أن المثالين الأخيرين يدلان أيضا على أثر الصوائت .

(٣) أشا . د . أنيس الى أثر الشيوخ والألفة . (موسيقى الشعر — ص ٢٩ وما بعدها) .

ويتتابعان كذلك حين يكون أحدهما في نهاية كلمة والآخر في بداية كلمة أخرى
مثل : good zoo .

ولو كان العامل العضوي هو العامل الوحيد لما حدث مثل هذا الخلاف ،
فأعضاء النطق واحدة عند البشر . أما صفتا الجهارة والخفوت في الشعر فتعودان إلى
طبيعة الأصوات من حيث الوضوح أو درجة الإسماع . وقد اختلف العلماء بعض
الاختلاف في ترتيب الأصوات اللغوية وفق درجة الوضوح^(١) . ولعل المتفق عليه أن
الصوائت وأشباه الصوائت تحتل المرتبة الأولى بين الأصوات . ولا شك أن الإطالة
تكسب الصوت مزيدا من الوضوح ، وعلى ذلك تكون الصوائت الطويلة أوضح من
الصوائت القصيرة . ويلى الصوائت وأشباهها ، الأصوات المتميعة أو المتوسطة ،
وهي اللام والميم والنون والراء^(٢) . وكلما كثرت الأصوات الواضحة في العمل
الشعري زادت جهارة ، والعكس صحيح .

وصفة السلاسة أو الخفة ليست مطلوبة دائما وفي كل الأحوال كما قد يفهم من
آراء بعضهم ، فقد نترك اللفظ السهل في بعض الأحيان ونختار مرادفا صعبا له ،
سواء أكان ذلك في الشعر أم في النثر ، فقد نستعمل « حُزَن » ونترك « أَسَى »
ونستعمل « بغِضْر » ونترك « كَرِيه » ، ونقول « عِشْق » بدلا من « حُب » ، و
« ملَطَخ » بدلا من « ملوث » ، و « غَضنفر » بدلا من « أسد » . بل قد نعد - في
العامية - إلى اللفظ السهل فنضيف إليه ما يجعله أثقل نطقا ، فتقول « شقلب » بدلا
من « قلب » . إننا نميل إلى الأصعب إن كان أنسب ، ويكون أنسب عندما يكون
أقوى تعبيرا .

وقد يختار الشاعر أن يجعل موسيقاه على درجة من الشدة والخشونة ، كما في هذه
الآبيات للمتنبي :

أتوك يجرون الحديد كأنما سروا بجياد مالهن قوائم

(١) د . أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٤٤ : ٢٤٦

(٢) د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية - مكتبة الانجلو - القاهرة - ط ٥ - ١٩٧٥ - ص ٢٧ ،
٦٣ ، ٤٢ .

د . أحمد مختار عمر - نفسه . وأيضا .

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم
خيس بشرق الأرض والغرب زحفه
تجمع فيه كل لسن وأمة
فلله وقت ذوب الغش ناره
تقطع مالا يقطع اسدرع والقنا
وقفت وما في الموت شك لواقف
ثياهم من مثلها والعمائم
وفي أذن الجوزاء منه زمائم
فما يفهم الحداث الا التراجم
فلم يبق إلا صارم أو ضبارم
وفر من الفرسان من لا يصادم
كأنك في جفن الردى وهو نائم^(١)

فهذه الأبيات إذا قورنت بأبيات « البحرى » تبين أنها أشد منها وأكثر خشونة .

ومن الواضح أن الموسيقى هنا وهناك تأتلف مع المحتوى اثتلافا مقبولا .

وما يقال عن السلاسة أو الخفة ، يقال عن خفوت الموسيقى وجهارتها ، فلا هذه الصفة من الصفات الموسيقية تطلب لذاتها ولا تلك ، وإنما ينظر إلى كل صفة في ضوء علاقتها ببقية عناصر العمل الشعرى .

من المفيد هنا أن نساءل عن العلاقة بين الأصوات اللغوية والمعاني ، هل هي عرفية اصطلاحية أم طبيعية ؟ أو بعبارة أخرى : ما الذى يعطى الكلمة معناها ، أهر اصطلاح الجماعة على ربط هذه المجموعة من الأصوات بهذا المعنى ، أم أن لأصوات الكلمة في ذاتها إيجاء بالمعنى أو دلالة عليه .

الأدلة كثيرة قوية على أن هذه العلاقة اصطلاحية أو عرفية ؛ منها اختلاف اللغات في تسمية الشيء الواحد ، ومنها أن اللفظ الواحد قد يوجد في لغتين بمعنيين مختلفين^(٢) . بل قد يدل اللفظ الواحد في اللغة الواحدة على فعنيين مختلفين^(٣) .

ومع ذلك فقد يكون لبعض الألفاظ إيجاء بمعنى معين ، كالكلمات الدالة على أصوات طبيعية ، مثل ؛ حفيف - خرير - زقزقة - زئير . والكلمات المضعفة قد توحى بمعنى التكرار ، مثل الأفعال : ذَبَذَب - قَلَقَل - زُلْزَل - قَهَقَه .

(١) المتنبي - ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٢) من ذلك الكلمات الإنجليزية : (Sad-Fat-mat-ban) ويشبهها في العربية : (ساد - فات -

مات - بلن) إذا تجاوزنا عن فروق في النطق ، طفيفة وغير فونيمية .

(٣) مثل « جبن » و « قصور » و « شجون » و « سائل » و « زائر » .

أما الأصوات sounds فقد يكون لبعضها - في رأى - إحاء بمعنى ما ؛ فالصوت اللغوى الذى يتشابه مع صوت بشرى غير لغوى قد يكتسب شيئا من دلالة ؛ فالحاء والحاء يشبهان - إلى حد ما - أصوات التنهد والتأوه وتنفس الارتياح يعد التعب ، والصوائت الطويلة تشبه صيحات الانفعال ، والفاء تشبه الزفرة التى تعبر عن الضجر أو الغضب أو الحزن .

ولابد من مراعاة أن هذه الدلالة الصوتية ذات أثر ثانوى ، فإن توافقت مع الدلالة العرفية عضدتها ، أما إن تعارضت معها فالدلالة العرفية هى الراجحة ، لأنها هى الأصل .

ويراعى أيضا أن الصوت لكى يكتسب إحاء تعبيريا يجب أن يتردد بدرجة تجعل له وجود بارزا لافتا ، فوجود صائتين طويلين فى جملة ، أو فى شطر من الطويل أو البسيط الوافى مثلا ، أمر معتاد لا يلفت السمع ، أما تجمع خمسة صوائت طويلة أو أكثر فى جملة أو شطر فهو يلفت السمع ويفرض نفسه على إحساس القارئ ، كما فى هذا البيت « للنابغة » :

كلينى هم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطيء الكواكب^(١)

وعجز هذا البيت « للمتنبى » :

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا فلما دهتنى لم تزدن بها علما^(٢)

وهذا البيت « لابن زيدون » :

أضحى الثنائى بديلا من تدائينا وناب عن طيب لقيانا نجافينا^(٣)

وصدر هذا البيت لـ « ابن زريق » :

لا تعذليه فإن العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه^(٤)

(١) النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني (تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم) دار

المعارف - القاهرة - بدون تاريخ (الإيداع بتاريخ ١٩٧٧) - ص ٤٠ .

(٢) المتنبى - ص ١٧٤ .

(٣) ابن زيدون - ص ٩ .

(٤) أورد نص القصيدة وقدم لها :

جمود . محمد الطنحاحي ، عينية « ابن زريق » - مجلة الشعر - القاهرة - يناير ١٩٧٦ - ص ١٠٤

وإلهامها .

وصدر هذا البيت « للعقاد » :

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا عذب المدام ولا الأنداء ترويني^(١)

والروى وغيره من الأصوات الملتزمة في القافية (كالهاء والصائت التالى لها في بيت « ابن زريق ») لها شأن كبير في هذا الصدد (وإن لم تكن من عوامل التنوع غير المنتظم) لترددها في القصيدة^(٢) ، فالهاء والصائت الطويل الذى يليها في قصيدة « ابن زريق » — « متضامين » مع المعنى — يوحيان بالانفعال الشديد .

والشعر العربى — بأشكاله المتباينة — يشترك في عوامل التنوع غير المنتظم التى تناولتها في هذا الفصل ، ولكن الشعر الجديد (شعر التفعيلة) ينفرد دونها بإمكانات أخرى للتنوع ؛ منها : التفاوت بين الأبيات في الطول ، واختلاف الأضرب ، واختلاف القوافي ، والجمع بين التقفية والإرسال أحيانا والاقتصار على الإرسال في أحيان أخرى^(٣) .



(١) العقاد : وهج الظهير - ص ٦٤ .

(٢) نحدث بعض الدارسين عن القيمة التعبيرية للصوت المفرد ، وبخاصة حرف الروى ، ولكنهم ربطوا بين بعض الأصوات وبعض الموضوعات ؛ فعند « البستانى » أن القاف تجود في الشدة والحرب ، والدال في الفخر والحماسة ، واللام في الوصف والخبر ، والباء والراء في الغزل والنسيب . وقد قال إنه رأى إجمالى ، إذا صبح من باب التغليب فلا يصح من باب الإطلاق .
(البستانى - ص ٩٧) .

ويبدو أن « د . صفاء خلوصى » يتفق مع البستانى في رأيه ذلك (د . خلوصى - ص ٢٥٧) .
وعند « العياشى » أن النون والميم والسين والحاء تتناسب والمواضيع الوجدانية ، لتصوير الانكسار والأنين . أما الدال والقاف والراء فتتلاءم مع الأغراض الحماسية (العياشى ص ٣٢٧)
وقال « د . عبده بدوى » عن « الباء » في (السيف أصدق أنباء من الكتب) إنه يتفق مع طبيعة التجربة الشعرية في القصيدة ، لأنها تتحدث أساسا عن حرب يمكن القول أنها كانت قوية وشديدة ومجهورة . ثم إنها تعطى موسيقى فخمة تتسق مع المعنى دائما (د . عبده بدوى - ص ٢٠ ، ٢١)
والربط بين الصوت وبعض الموضوعات على هذا النحو ليس له سند أو مبرر ، وإنما تكون القيمة التعبيرية للصوت في الحدود التى ذكرتها .

(٣) على يونس - السابق .

« مراجع ومصادر باللغة العربية »

- الأمدى : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى (تحقيق : السيد أحمد صقر) — دار المعارف — القاهرة — ط ٢ — ١٩٧٢ م .
- د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية — مكتبة الأنجلو — القاهرة — ط ٥ — ١٩٧٥ م .
- د . إبراهيم أنيس : بحور الشعر وأوزانه — ضمن : محمد مندور وآخرون : آراء حول قديم الشعر وجديده — كتاب « العربي » — الكويت — أكتوبر ١٩٨٦ م .
- د . إبراهيم أنيس : عناصر الموسيقى في الشعر العربي — مجلة الشعر — القاهرة — أبريل — ١٩٧٦ م .
- د . إبراهيم أنيس : فاعلاتن — مجلة الشعر — القاهرة — يناير ١٩٧٧ م .
- د . إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر — مكتبة الأنجلو — القاهرة — ط ٤ — ١٩٧٢ م .
- د . إبراهيم عبد الرحمن : من أصول الشعر العربي ، الأغراض والموسيقى — مجلة « فصول » — يناير — فبراير — مارس — ١٩٨٤ م .

* رتبت أسماء المعاصرين على أساس الاسم الأول .

- إبراهيم عبد القادر المازني : قبض الريح — الدار القومية — القاهرة — ١٩٦٠ م .
- ابن جني : كتاب العروض (تحقيق د . حسن شاذلي فرهود) — مطابع دار القلم — بيروت — ١٩٧٢ م .
- ابن رشد : تلخيص كتاب الشعر (تحقيق : د . تشارلي بيروت ود . أحمد عبد الحميد هريدي) — هيئة الكتاب — القاهرة — ١٩٨٧ م .
- ابن رشيق : العملة — مطبعة هندية — القاهرة — ط ١ — ١٩٢٥ .
- ابن زيدون : ديوان ابن زيدون — دار صادر — بيروت — ١٩٧٥ م .
- ابن سعيد (علي بن موسى) وآخرون : المغرب في حلى المغرب (تحقيق د . شوقي ضيف) — دار المعارف — القاهرة — ١٩٥٣ ، ١٩٥٥ م .
- ابن سناء الملك : دار الطراز (تحقيق : د . جودت الركابي) — دمشق — ١٩٤٩ م .
- ابن سنان الحفاجي : سر الفصاحة (شرح وتعليق : عبد المتعال الصعيلدي) — مكتبة صبيح — القاهرة — ١٩٦٩ م .
- ابن الشجري : مختارات ابن الشجري (ضبيلها وشرحها : محمود حسن زناقي) — مطبعة الاعتماد — القاهرة — ط ١ — ١٩٢٦ م .
- ابن عبد ربه : العقد الفريد (شرحه وضبطه وصححه : أحمد أمين وآخرون) — لجنة التأليف والترجمة — القاهرة — ١٩٤٦ م .
- ابن عربي : ديوان ابن عربي — مطبعة بولاق — القاهرة — ١٢٧١ هـ .
- ابن فارس : الصحاحي (تحقيق : د . مصطفى الشويحي) —

- مؤسسة أ . بدران - بيروت - ١٩٦٣ م .
- ابن الفارض : ديوان ابن الفارض المكتبة الحسينية المصرية - القاهرة - ط ٢ - ١٣٥٢ هـ .
- ابن القطاع : البارع في علم العروض (تحقيق د . أحمد محمد عبد الدايم) - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة - ١٩٨٥ م .
- ابن مالك : شرح الكافية الشافية (تحقيق : د . عبد المنعم أحمد هريدي) - دار المأمون للتراث ، ومركز البحث العلمي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة - ط ١ - ١٩٨٢ م .
- أبو تمام : ديوان الحماسة - (شرحه ونشره : محمد عبد القادر الرافعي) - القاهرة - ١٣٢٢ هـ .
- أبو العلاء المعري : سقط الزند - دار صادر - بيروت - ١٩٨٠ م .
- أبو العلاء المعري : الفصول والغايات - (ضبطه ونشره : محمود حسن زناق) - مطبعة حجازي - القاهرة - ١٩٣٨ م .
- أبو العلاء المعري : لزوم مالا يلزم - (تحقيق : أمين عبد العزيز) - على نفقة محمود الكتبي - القاهرة - ط ١ - ١٩١٥ م .
- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني - دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٢٨ م .
- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة - منشورات دار الكتب الشرقية - تونس - ١٩٥٥ م .
- أبو نواس : ديوان أبي نواس (تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالي) - مطبعة مصر - القاهرة - ١٩٥٣ م .
- د . أحمد حافظ رشدان ، د . فتح الباب عبد الحليم : التصميم - مطبعة غيمر - القاهرة - بدون تاريخ - (المقدمة ١٩٧٠ م) .

- أحمد شوقي : الشوقيّات — مكتبة التربية — بيروت — ١٩٨٧ م .
- د . أحمد كشك : محاولات للتجديد في إيقاع الشعر — مطبعة المدينة — القاهرة — ط ١ — ١٩٨٥ م .
- د . أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوى — عالم الكتب — القاهرة — ط ١ — ١٩٧٦ م .
- د . أحمد مستجير : أبحر الخليل نظام رياضى مغلق — مجلة الشعر — القاهرة — أكتوبر — ١٩٨٨ م .
- د . أحمد مستجير : فى بحور الشعر — الأدلة الرقمية لبحور الشعر العربى — مكتبة غريب — القاهرة — بدون تاريخ .
- د . أحمد مستجير : مدخل رياضى إلى عروض الشعر العربى — المكتب الدولى للتصوير العلمى — القاهرة — ط ١ — ١٩٨٧ م .
- د . أحمد نعيم الكراعى : اللغة وموسيقى الشعر بين النظرية والتطبيق — مجلة الدراسات اللغوية — مركز اللغات — جامعة صنعاء — أكتوبر — ١٩٨٥ م .
- الأخطل الصغير (بشارة عبد الله الخورى) : شعر الأخطل الصغير — دار الكتاب العربى — بيروت — ط ٢ — ١٩٧٢ م .
- الأخفش : كتاب العروض — (تحقيق د . سيد البحراوى — مراجعة د . محمود مكى) — مجلة «فصول» — هيئة الكتاب — القاهرة — مارس — ١٩٨٦ م .
- الأخفش : القوافى (تحقيق د . عزة حسن) — دمشق — ١٩٧٠ م .
- أدلف دانهاوزير : نظرية الموسيقى (ترجمة ؛ محمد رشاد بدران) — نهضة مصر — القاهرة — الإيداع ١٩٧٩ م .
- امرؤ القيس : ديوان امرؤ القيس (تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم) — دار المعارف — القاهرة — ط ٣ — ١٩٦٩ م .

- أمل دنقل : الأعمال الشعرية الكاملة — دار العودة بيروت —
ومكتبة مدبولي بالقاهرة — ط ٢ — ١٩٨٥ م .
- أمل دنقل : تعليق على ماحدث — مكتبة مدبولي — القاهرة —
ط ٢ — ١٩٧٨ م .
- إيليا أبو ماضي : الجداول — دار العلم للملايين — بيروت —
ط ١٧ — ١٩٨٦ م .
- إيليا أبو ماضي : الحمائل — دار العلم للملايين — بيروت —
ط ١١ — ١٩٧٧ م .
- البحتري : ديوان البحتري (تحقيق : حسن كامل
الصيرفي) — دار المعارف — القاهرة — بدون تاريخ .
- بدر شاكر السياب : في انتظار رسالة — مجلة الشعر — وزارة الثقافة
والإرشاد — القاهرة — يونية — ١٩٦٤ م .
- د . بدير متولى حميد : ميزان الشعر — دار المعرفة — القاهرة — ط ٢ —
١٩٦٧ م .
- بشار بن برد : ديوان بشار (نشرة وشرحه ؛ محمد الطاهر بن
عاشور) — لجنة التأليف والترجمة — القاهرة — ط ٢ —
١٩٦٧ م .
- بهاء الدين زهير : ديوان بهاء الدين زهير — دار صادر — بيروت —
١٩٨٠ م .
- بيرم التونسي : الأعمال الكاملة لبيرم التونسي — ح ٤ — بيرم
وحياة كل يوم (إشراف : أحمد رشدي صالح) — هيئة
الكتاب — ١٩٨٤ م .
- بيرم التونسي : مقامات بيرم — مكتبة مدبولي — القاهرة — ط ٢ —
١٩٨٥ م .
- د . تغريد السيد عنبر : محاضرات بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية —
الخرطوم — ١٩٧٨/١٩٧٩ م .
- د . تمام حسان : اللغة العربية ، معناها ومبناها — القاهرة — ط ٢ —
١٩٧٩ م .

- توفيق الحكيم : يوميات نائب في الأرياف — دار الكتاب اللبناني — بيروت — ١٩٧٤ م .
- الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر — (أعدد تحقيقه : إيليا حاوي) — الشركة الشرقية — البلد والتاريخ غير مذكورين .
- الجاحظ : البيان والتبيين (تحقيق : فوزى عطوى) — مكتبة محمد حسين النورى بدمشق ومكتبة الطلاب وشركة الكتاب — بيروت — ١٩٦٨ م .
- جلال الحنفى : العروض ، تهذيبه وإعادة تدوينه — مطبعة العاني — بغداد — ١٩٧٨ م .
- جميل بثينة : ديوان جميل شاعر الحب العذرى (تحقيق د . حسين نصار) — مكتبة مصر — القاهرة — بدون تاريخ .
- جون كوين : بناء لغة الشعر (ترجمة : د . أحمد درويش) — مكتبة الزهراء — القاهرة — الإيداع بتاريخ ١٩٨٥ م .
- الجوهري : عروض الورقة (تحقيق : د . صالح جمال بدوى) — نادى مكة الثقافى — مكة المكرمة — ١٩٨٥ م .
- جيروم ستولنيتز : النقد الفنى — دراسة جمالية وفلسفية (ترجمة : د . فؤاد زكريا) — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة — ط ٢ — ١٩٨١ م .
- حازم القرطاجنى : منهاج البلغاء وسراج الأدباء (تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجه) — دار الكتب الشرقية — تونس — ١٩٦٦ م .
- حافظ ابراهيم : ديوان حافظ (ضبطه وصححه : أحمد أمين وآخرون) — دار الكتب — القاهرة ١٩٣٧ م .
- د . حسن نصار : الشعر الشعبي العربى — المؤسسة المصرية العامة — القاهرة — ١٩٦٢ م .

- الخطيب التبريزي : الكافي في العروض والقوافي (تحقيق : الحسانى حسن عبد الله) — دار الكاتب العربى — القاهرة — الإيداع — ١٩٦٩ م .
- الدمامينى : العيون الفاعزة على خبايا الرامزة (تحقيق : الحسانى حسن عبد الله) — القاهرة — ١٩٧٣ .
- الدمنهورى : الحاشية الكبرى على متن الكافي — دار إحياء الكتب العربية — القاهرة — بدون تاريخ .
- د . رجاء عيد : دراسة موسيقى الشعر — الناشر والمكان غير مذكورين — ١٩٧٩ م .
- د . رمضان عبد التواب : فصول في فقه العربية — مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض — ط ١ القاهرة — ١٩٨٣ م .
- الزمخشري : أعجب العجب فى شرح لامية العرب — طبع على نفقة أحمد الجمالى ومحمد الخانجي وأخيه — مكان الطبع غير مذكور — ط ٢ — ١٣٢٤ هـ .
- الزمخشري : القسطاس فى علم العروض (تحقيق د . فخر الدين قباوة) — المكتبة العربية — حلب — ط ١ — ١٩٧٧ م .
- زهير بن أبى سلمى : شعر زهير بن أبى سلمى (صنعة : الأعلام الشنفرى — تحقيق : فخر الدين قباوة — بيروت — ط ٣ — ١٩٨٠ م .
- الزوزنى : شرح المعلقة السبع — دار صادر — بيروت — بدون تاريخ .
- د . سعد مصلوح : المصطلح اللسانى وتحديث العروض العربى — مجلة « فصول » — هيئة الكتاب — القاهرة — يوليو — أغسطس — سبتمبر — ١٩٨٦ م .
- سعدى يوسف : بعيداً عن السماء الأولى — دار الآداب — بيروت — ١٩٧٠ م .
- سلمى الخضراء الحيوشى : مجلة الآداب — بيروت — أبريل — ١٩٥٩ م .

- سليمان البستاني : إلباذة هو مروس (معربة نظما ، وعليها شرح تاريخي أدبي) — دار إحياء التراث العربي ودار المعرفة — بيروت — بدون تاريخ .
- د . سد البحراوى : التضمين فى العروض والشعر العربى — مجلة « فصول » — القاهرة — أبريل : سبتمبر — ١٩٨٧ م .
- د . سيد البحراوى : موسيقى الشعر عند شعراء أبو اللو — دار المعارف — القاهرة — ط ١ — ١٩٨٦ م .
- د . سيد البحراوى : نحو علم عروض عربى معاصر — مجلة « إبداع » — القاهرة — أكتوبر — ١٩٨٧ م .
- د . سيد غازى : ديوان الموشحات الأندلسية — منشأة المعارف — الاسكندرية — ١٩٧٩ م .
- السيوطى : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها — دار إحياء الكتب العربية — القاهرة — بدون تاريخ .
- شارل لالو : مبادئ علم الجمال (ترجمة خليل شطا) — دار دمشق — دمشق — ١٩٨٢ م .
- الشريف الرضى : ديوان الشريف الرضى — دار صادر — بيروت — بدون تاريخ .
- د . شكرى عياد : كتاب « أرسطو طاليس » فى الشعر — دار الكاتب العربى — القاهرة — ١٩٦٧ م .
- شكرى عياد : موسيقى الشعر العربى — دار المعرفة — القاهرة — ١٩٦٨ م .
- د . شوقى ضيف : العصر الجاهلى (مجموعة : تاريخ الأدب العربى) — دار المعارف — القاهرة — بدون تاريخ .
- د . شوقى ضيف : العصر الإسلامى (مجموعة : تاريخ الأدب العربى) — دار المعارف — القاهرة — بدون تاريخ — المقدمة ١٩٦٣ م .
- الصاحب بن عباد : الإقناع فى العروض وتخريج القوافى (تحقيق :

- محمد حسن آل ياسين) - منشورات المكتبة العلمية -
بغداد - ط ١ - ١٩٦٠ م .
- د . صفاء خلوصى : فن التقطيع الشعري والقافية - مطابع دار
الكتب - بيروت - ط ٤ - ١٩٧٤ م .
- صلاح عبد الصبور : أقول لكم - دار الشروق - بيروت والقاهرة -
١٩٨١ م .
- صلاح عبد الصبور : عمر من الحب - مؤسسة روز اليوسف -
القاهرة - بدون تاريخ .
- صلاح عبد الصبور : الناس في بلادى ط ١ - بيروت - ١٩٥٧ م .
- د . طه حسين : المجموعة الكاملة لمؤلفاته ، المجلد الثانى - حديث
الأربعاء - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ط ٢ -
١٩٧٤ م .
- عائشة صبرى ،
د . آمال أحمد شختار صادق : طرق تعليم الموسيقى - مكتبة الأنجلو المصرية -
القاهرة - ط ٢ - ١٩٧٨ م .
- عباس محمود العقاد : يوميات - دار المعارف - القاهرة - ط ٢ - بدون
تاريخ .
- عباس محمود العقاد : وهج الظهيرة - دار العودة - بيروت -
١٩٨٢ م .
- عبد الفتاح الديدى : علم الجمال - الأنجلو المصرية - القاهرة -
ط ١ - ١٩٨١ م .
- د . عبد الله الطيب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها - دار
الفكر - بيروت - ط ٢ - ١٩٧٠ م .
- عبد اللطيف عبد الحليم : لزوميات وقصائد أخرى - دار الثقافة العربية -
القاهرة - إيداع ١٩٨٥ م .
- عبد المحسن عبده
أبو عاليه : العروض العربى بعد الخليل - مجلة الشعر -
القاهرة - يناير ١٩٨٠ م .

- د . عبد الهادى الفضلى : فى علم العروض ، نقد واقتراح — نادى الطائف الأدبى — الطائف — ١٣٩٩ هـ .
- عبده بدوى : دراسات فى النص الشعري ، العصر العباسى — دار الرفاعى — الرياض — ١٩٨٤ م .
- عبد الوهاب البيانى : أشعار فى المنفى — دار الكاتب العربى — القاهرة — ط ٤ — ١٩٦٨ م .
- عبيد بن الأبرص : ديوان عبيد بن الأبرص (تحقيق . د . حسين نصار) — البابى الحلبي — ط ١ — ١٩٥٧ م .
- د . عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية فى النقد العربى — القاهرة — ١٩٥٥
- د . عز الدين اسماعيل : التفسير النحسى للأدب — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٣ م .
- د . عز الدين اسماعيل : الشعر العربى المعاصر ، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية — دار الفكر العربى — القاهرة — ط ٣ — ١٩٧٨ م .
- على محمود طه : الملاح التائه — دار العودة — بيروت — ١٩٧٢ م .
- على يونس : النقد الأدبى وقضايا الشكل الموسيقى فى الشعر الجديد — هيئة الكتاب — القاهرة — ١٩٨٥ م .
- عمر توفيق سفر آغا : علم العروض — دار الرشاد — البلد غير مذكور — ١٩٦٩ م .
- د . عوفى عبد الرؤوف : بدايات الشعر العربى بين الكم والكيف — القاهرة — ١٩٧٦ .
- النارابى : جوامع الشعر — ضمن كتاب :
- ابن رشد : تلخيص كتاب أرسطو طاليس فى الشعر — (تحقيق : محمد سليم سالم) — لجنة إحياء التراث الاسلامى — القاهرة — ١٩٧١ م .
- قدامة بن جعفر : نقد الشعر (تحقيق : كمال مصطفى) — الخانجى — القاهرة — الإيداع ١٩٧٩ م .

- د . كمال أبو ديب : في البنية الإيقاعية للشعر العربي — دار العلم للملايين — بيروت — ط ١ — ١٩٧٤ م .
- كمال عمار : أنهار الملح — دار الكاتب العربي — القاهرة — ١٩٦٨ م .
- كمال نشأت : أحلى أوقات العمر — مجلة الشعر — القاهرة — أبريل — ١٩٧٦ م .
- كمال نشأت : كلمات مهاجرة — دار الكاتب العربي — القاهرة — بدون تاريخ .
- د . لويس عوض : دراسات عربية وغربية — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٥ م .
- المتنبي : ديوان المتنبي — دار بيروت — بيروت — بدون تاريخ .
- مجاهد عبد المنعم مجاهد : مجلة « الآداب » — بيروت — فبراير — ١٩٧٦ .
- محمد إبراهيم أبو سنة : مرايا النهار البعيد — هيئة الكتاب — القاهرة — ١٩٨٧ م .
- محمد طارق الكاتب : موازين الشعر العربي باستعمال الأرقام الثنائية — مطبعة مصلحة الموانئ العراقية — البصرة — ط ١ — ١٩٧١ م .
- محمد عبد المجيد الطويل : في عروض الشعر الغربي ، قضايا ومناقشات — نادي أبها الأدبي — أبها — ط ١ — ١٤٠٥ هـ .
- محمد عبد المنعم خفاجي : فن الشعر ، عروض الشعر العربي وقوافيه — القاهرة — ١٩٤٩ م .
- محمد عفيفي مطر : رسوم على قشرة الليل — دار آتون — القاهرة — ١٩٧٢ م .
- محمد العلمي : العروض والقافية ، دراسة في التأسيس والاستدراك — دار الثقافة — الدار البيضاء — ١٩٨٣ م .
- محمد العياشي : نظرية إيقاع الشعر العربي — المطبعة العصرية —

- تونس - ١٩٧٨ م .
- محمد محمد عناني : النقد التحليلي - الأنجلو المصرية - القاهرة - بدون تاريخ .
- د . محمد محمود الدش : أبو العتاهية ، حياته وشعره ، القاهرة - ١٩٦٨ م .
- محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى : على الحصري ، دراسة ومختارات - الشركة التونسية للتوزيع - تونس ط ٢ - ١٩٧٤ م .
- د . محمد مندور : الشعر العربي - غناؤه . إنشائه ، وزنه - مجلة كلية الآداب - جامعة فاروق الأول - الإسكندرية - مجلد ١ - ١٩٤٣ م .
- د . محمد مندور : في الميزان الجديد - نهضة مصر - القاهرة - ط ٣ - بدون تاريخ .
- د . محمد التويهي : قضية الشعر الجديد - مكتبة الخانجي ودار الفكر - القاهرة - ط ٢ - ١٩٧١ م .
- محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في « الشوقيات » - منشورات الجامعة التونسية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تونس - ١٩٨١ م .
- محمد سامي البارودي : ديوان البارودي - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧١ م .
- د . محمود علي السمان : أوزان الشعر الحر وقوافيه - دار أسو العينين - طنطا - ١٩٨٠ م .
- محمود محمد الطناحي : عينية ابن زريق - مجلة « الشعر » - القاهرة - يناير ١٩٧٦ م .
- محمود مصطفى : أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، العروض والقافية - مكتبة صبيح - القاهرة - ط ١٦ - ١٩٧٦ م .
- مصطفى لطفى المنفلوطي : النظرات - دار الثقافة - بيروت - بدون تاريخ .

- المعري ، انظر : أبو العلاء المعري
— المفضل الضبي : المفضليات (تحقيق : أحمد شاكر وعبد السلام هارون) — دار المعارف — القاهرة — ١٩٥٢ م
— ملك عبد العزيز : بحر الصمت — دار الكتّاب العربي — القاهرة — بدون تاريخ .
- المنفلوطي : انظر : مصطفى لطفى المنفلوطي
— النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني (تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم) — دار المعارف — القاهرة — الإيداع بتاريخ ١٩٧٧ م .
- نازك الملائكة : شظايا ورماد — المكتب التجارى — بيروت — ط ٢ — ١٩٥٩ م .
- نازك الملائكة : قرارة الموجة — دار الكتّاب العربي — القاهرة — بدون تاريخ .
- نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر — دار العلم للملايين — بيروت — ط ٤ — ١٩٧٤ .
- د . نبيلة إبراهيم : المفارقة — مجلة « فصول » — القاهرة — أبريل ؛ سبتمبر — ١٩٨٧ م .
- نزار قباني : أشعار خارجة على القانون — بيروت ومكتبة مدبولي بالقاهرة — بدون تاريخ .
- د . هيثم الأمين : مجلة « الفكر العربي » — دار العلم للملايين — بيروت — ط ٤ — ١٩٧٤ م .



مراجع باللغة الانجليزية

- Abdel- Malek, Zaki N., Towards a New Theory of Arabic Prosody,
مجلة اللسان العربي - الرباط مجلد ١٦ - ج ١ - ١٩٧٨ م مجلد ١٨ - ج ١ -
١٩٨٠ ، مجلد ١٩ - ج ١ - ١٩٨٢ م .
- Aboulmagd, Nadia, O. M., Notes on English Prosody, The Anglo
Egyptian Bookshop, Cairo, Date not mentioned.
- Arberry, A.J., Arabic Poetry, Prime for Students, Cambridge Uni-
versity Press, 1965.
- Chatman, Seymour, The Component of English meter, in : Donald C.
Freeman : Linguistics and Litrary Style, Holt, Rinchart and Winston,
Inc. New York, 1970.
- Drable, Margaret (Editor), The Oxford Companion to English Litera-
ture, Oxford University press, Fifth Edition 1985.
- Fussell, Paul (J.R.) , Poetic Metre and Poetic Form, Random House,
Inc. New York.
- Hartman, R.R.K. & Stark, F. C., Dectionary of Language and Linguis-
tics, Applied Science Publicher Ltd. London, 1976.
- Reaves, James, Understanding Poetry, Pan Books, London and Syd-
ney, Third Print, 1975.
- Scholes, Robert, Elemenents of poetry, Oxford University press, Lon-
don, Toronto, Fifth printing, 1977.
- The New Encyclopedia Britannica, U.S.A., 1984.
- Weil, W, in: Encyclopedia of Islam, London, 1960, Arud.
- Wright, William, A Grammar of The Arabic Language, The University
press, Cambridge, 1976.

المحتويات

٥	تمهيد : نظرة عامة على الدراسات السابقة
١٧	الفصل الأول : الأسس
	(الوزن والإيقاع — عناصر الوحدات العروضية — الأساس الكمي للوزن في العربية — إحساس القدماء بهذا الأساس — التدليل عليه — مناقشة فكرة الأساس النبري وفكرة الأساس النغمي — دراسة استقرائية صوتية لعدة نصوص شعرية تتناول التركيب المقطعي والنبر والنغمة وغيرها — الأساس الكمي للثقافية — العلاقة بين لغة الشعر ولغة النثر من ناحية التركيب المقطعي — إمكان التجديد في الصيغ والتراكيب الوزنية)
٩٩	الفصل الثاني : التكوينات
	(محاولات سابقة لدراسة خصائص البحور والأوزان — إدراك العرب القدماء لخصائص الأوزان وتصنيفهم إياها — مقارنة آراء عدد من الكتاب في خصائص البحور — مناقشة فكرة ربط البحر بلون معين من الأغراض أو الانفعالات — أوجه التمايز بين التكوينات — عوامل التمايز — تضامن هذه العوالم أو تعارضها في التكوين — إمكان التوافق أو التقابل بين التكوين والمحتوى — ملامح الموشحات وأشعار التنويع المنتظم وعلاقتها بالمعنى — أثر التفعيلة الأساسية في صنع ملامح التكوين في الشعر الجديد — أواخر الأبيات وأثرها في تكوينات الشعر الجديد) .

(تقسيم التنوع إلى قسمين : الخروج على النسق والعوامل الأخرى -
 قيمة الخروج على النسق - كسر الوزن والزحاف - ظهور الكسر في الشعر الجاهل
 والموشحات والشعر الجديد - متى يؤدي الزحاف إلى الخروج على النسق ومتى
 لا يؤدي إلى ذلك - أثر الزحافات في التركيب المقطعي وتصنيفها تبعاً لذلك -
 تصنيف الزحافات عند العروضيين إلى حسن وصالح وقبيح - الدعوة إلى التصنيف
 على أساس مدى الشيوع ومقدار ما يسببه الزحاف من اختلاف - عوامل متعددة
 تؤثر في الزحاف ومدى بروزه - كثرة الزحافات في بعض الشعر العربي وتفسيرها
 وربطها بالكسر - الوظيفة التعبيرية للزحاف - العلاقة بين الوحدات الوزنية
 والوحدات اللغوية الأخرى - الإيقاع اللفظي وعلاقته بالإيقاع الوزني - ظهور
 حدود التفاعيل أو خفاؤها - أثر النبر في التنوع - طبيعة الأصوات والعلاقات
 بينها - القيمة التعبيرية للصوت اللغوي بذاته - عوامل تنوع خاصة بالشعر
 الجديد)

مطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الأيداع بدار الكتب ٩٣/ ٢٣٥٨

I.S.B.N.977-01-3274-8

ما زالت موسيقى الشعر العربى ارضا خصبة قابلة
لجزيد من الجهد ومزيد من العطاء ككل شىء جميل :
يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نفرا وهذه نظرة اخرى
فى هذا الوجه الجميل سبقتها نظرات لرواد قدامى
ومحدثين ، حاولت ان تبحث عن الاساس الذى تقوم
عليه هذه الموسيقى : اهو الخم ام النبر ام التنغيم .
ولم تعتمد على الفراضات نظرية مسبقة بل بدأت
باستقراء النصوص الشعرية . وتناولت الدراسة بعد
ذلك « التكوينات » الموسيقية فى الشعر العربى
لتحدد ملامح كل تكوين وقيمه التعبيرية . واخيرا
درست عوامل التنوع التى تميز بين قصيدتين بل بين
بيتين فى داخل التكوين الواحد .

والدراسة بمنهجها ونتائجها تعد إضافة جديدة إلى
ما سبقها من دراسات يرجو صاحبها ان تسهم فى تقوية
وشائج الفهم والحب بيننا وبين الشعر العربى .